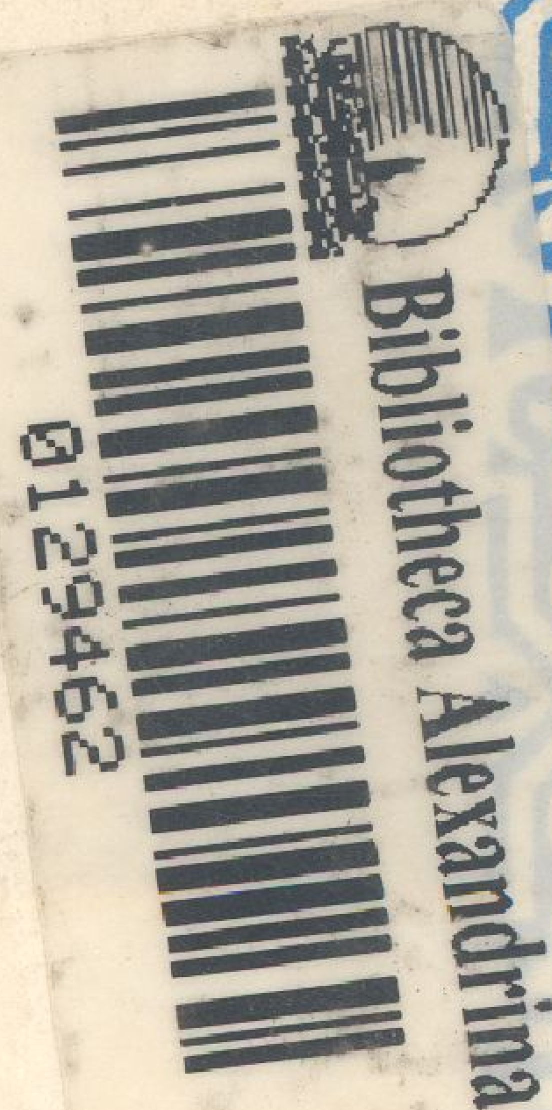
شعر السيرة النبوية

دراسة توثيقية

تأليف

دكتور شوقي رياض أحمد

كلية الآداب - جامعة القاهرة



الطبعة الأولى

١٩٨٧م

شعر السيرة النبوية

دراسة توثيقية

تأليف
دكتور شوقي رياض أحمد
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تزخر السيرة النبوية بالكثير من النصوص الشعرية ، التى تمثل جانبا مهما من تراثنا الأدبى ، والتى لا تقف أهميتها على الناحية الأدبية فحسب ، بل تتجاوزها إلى نواحى أخرى دينية وتاريخية ؛ إذ صورت لنا كثيرا من الأحداث والمواقف فى الحقبة الأولى من تاريخ الإسلام ، وتضمنت فخرا وافرا من المعانى والأفكار ، التى أفرزها ذلك التغير الشامل ، والتطور الهائل ، الذى أحدثه الإسلام فى جميع جوانب الحياة .

وقد حظيت السيرة النبوية باهتمام كثير من الرواة والعلماء والمؤرخين ، على مدى الأجيال المتوالية ، منذ ظهور الإسلام حتى عصرنا الحديث ، وحظى الشعر الذى ورد فيها بجانب كبير من هذا الاهتمام ، وخاصة لما أثير حوله من شبهات وشكوك ، كان ابن سلام الجمحى أول من أثارها ، موجها سهام نقده العنيف إلى ابن إسحاق ، وما حمله على السيرة النبوية من أشعار بيّنة الوضع والنحل ، معترفا بأنه لا علم له بالشعر ، وبأنه كان يؤتى بهذه الأشعار ، فيضيفها إلى السيرة ، دون نظر فى صحتها ، أو تمحيص لحقيقتها .

وكانت قضية الانتحال ، التى أثارها ابن سلام حول الشعر الجاهلى ، من أبرز القضايا التى شغلت الدارسين لأدبنا العربى قديما وحديثا ، والتى نالت من المستشرقين والباحثين العرب فى العصر الحديث كثيرا من العناية والاهتمام . وكانت هذه القضية منفذا لهجمات شرسة من هؤلاء المستشرقين

الذين غلبت على معظمهم نزعة التعصب ضد الإسلام والعرب ، مثل مارجليوث وبلاشير وغيرهما ، وإن أظهروا انتهاج المنهج العلمى ، والالتزام بالحيدة والموضوعية ، وانتهوا إلى التشكيك فى الأدب الجاهلى بصفة عامة . وشاركهم فى هذا الاتجاه من الباحثين العرب الدكتور طه حسين بدراسته المشهورة لقضية الانتحال .

ولم تقف هذه الدعاوى المشككة عند حدود الشعر الجاهلى فحسب وإنما تجاوزته لتشمل الشعر الذى ورد فى السيرة النبوية من إسلامى وجاهلى ، متخذين من فعل ابن إسحاق ، الذى فضحه ابن سلام . ذريعة أساسية فى شكهم ، ومضيفين إلى ذلك الحجج المؤيدة لدعواهم ، دون نظر إلى الحجج الأخرى التى تنفى هذه الشكوك ، أو دون بحث للقضية من جانبيها ، للوقوف على الحقيقة التي اختفت وراء تلك النزعات المغرضة للمستشرقين ، أو التى حجبتها نزعة الإثارة والظهور بالرأى المخالف لما استقر عليه جمهور العلماء والدارسين لأدبنا العربى .

وانبرى لهذه القضية عديد من الباحثين العرب ، يحاولون دفع تلك الهجمات الهادفة إلى التشكيك فى تراثنا الأدبى ، وتمزيق روابط الثقة التى تربط بين دارسيه المحدثين وعلمائه الأقدمين ، فكتبوا الكثير من الأبحاث والدراسات ، التى عرضت لمشكلة الانتحال ، إيجازاً وتفصيلا ، ولعل أبرز هذه الدراسات ما كتبه الدكتور ناصر الدين الأسد فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » .

وهذه الدراسات — بوجه عام — غلب عليها الاهتمام بمشكلة الشعر الجاهلى بالدرجة الأولى ، ولم تنل مشكلة شعر السيرة اهتماما مماثلا ، وظلت

محمولة على مشكلة الشعر الجاهلى ومرتبطة بهـا ، وصحيح أن هناك عناصر مشتركة بينهما ، ولـكن ذلك لا ينفى أن لـكل مشـكلة منهما عناصرها الخاصة ، والتى تنفرد بهـا دون الأخرى ، ولم يراع الدارسون هـذه الحقيقة واكتفوا بعرض مشـكلة شعر السيرة فى إطار بحثهم لقضية الانتحـال فى الشعر الجاهلى ، ومن ثم كانت دراساتهم لهـذه القضية فى شعر السيرة غـير وافية ، إذ لا تتجاوز الوقوف عند بعض عناصرها الظاهرة ، ولا تتعمق التفاصيل التى تـكشف عن جوهر القضية ، وتلقى الأضواء على جمـيع جوانبها ، الظاهرة منها وغير الظاهرة ، أو القريبة منها والبعيدة .

هناك إذن قصور واضح فى دراسة شعر السيرة النبوية دراسة توثيقية ، تعالج مشكلاته معالجة تفصيلية دقيقة ، كالتى حظى بهـا الشعر الجاهلى ، ومن ثم كان اقتناعى بوجوب هذه الدراسة ، وبأهميتها لدرء هذا القصور ، وسد هذا النقص ، واستقر رأيى على القيام بهـا ، على الرغم ممـا يكتنفها من صعوبات ، وما تتطلبه من جهد وعناء . وقد تـكون الدراسات التى عرضت لهـا بإيجاز ، أو التى تناولت قضية الانتحال بوجه عام ، ممهدة لهـا ، وفاتحة لبعض المنافـذ إليهـا ، ولـكنها فى الوقت نفسه تضيف أعباء وملابسات ، وتحتاج إلى جهود من التمحيص والتدقيق والمناقشة لفصل ما يخص شعر السيرة النبوية — دون غيرها — من الشواهد والأدلة، والأخبار والأقوال والآراء ، وتركيز البحث فى قضيته ، حتى لا نساق إلى متاهات من الخلط والتخبط ، فتضيع الجهود هباء ، دون تحقيق للهدف المرجو .

واقتضت طبيعة الموضوع منهجا خاصا فى البحث ، يتناسب معها ، ويلم

بالجزئيات والتفاصيل ، وصولا إلى القضايا والمشكلات التى تطرحها الدراسة التوثيقية ، وعلى ذلك وضعت خطة البحث فى ستة فصول ، لكل فصل منها عناصره المكونة له ، وتتتابع هذه الفصول فى اتساق وترابط حسبما يقتضى المنهج العلمى ، لتستوفى جوانب البحث فى صورته المكتملة على ما أرجو .

عرضت فى الفصل الأول لقضية لها أهميتها ، وهى « موقف الإسلام من الشعر والشعراء » وقد تناول هذه القضية كثير من الباحثين فى دراساتهم العامة للشعر فى صدر الإسلام ، أو فى دراسات خاصة للقضية ذاتها . وهى قد تبدو قضية منفصلة عن موضوع دراستنا ، ولكننا إذا أمعنا النظر وجدنا العلاقة قائمة بينهما ، لأن أغلب الأشعار الواردة فى السيرة النبوية قد واكبت أحداث الإسلام منذ بزوغ فجره ، حتى وفاة رسوله الكريم ، وهذا يقتضى ضرورة استجلاء موقف الإسلام من الشعر وقائليه ، وإزالة ما قد يكون من لبس فى فهم هذا الموقف ، لتقوم الدراسة التوثيقية على رؤية واضحة للعلاقة بين الإسلام والشعر ، وفهم سليم لها ، يتيح للباحث سهولة الوصول إلى الرأى الأصوب ، أو الحكم الأرجح ، فيما يعرض له من شبهات خلال فصول البحث التالية .

وقسمت هذا الفصل إلى عنصريه الرئيسيين ، أولهما : فى موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء ، وما نزل فى ذلك من آيات ، توضح هذا الموقف ، وتحسم الأقاويل التى كانت تدعى إلى العلاقة بين القرآن والشعر ، أو تزعم صدورهما عن مصدر واحد هو الجن ، أو تربط بينه وبين السحر والكهانة ، وهما كذلك تتصلان بقوة الجن ، وفى تأكيد الآيات الكريمة على نفى الشاعرية عن نبى الإسلام دحض لهذه الشبهة ، وتحطيم لما قد تسببه من بلبلة وفتنة . وكانت الآيات التى ذمت الشعراء المناوئين للإسلام

مجالا للتأويل والتخمين فى فهم مقصدها . كما ذهب بعض الباحثين المسلمين إلى أن العرب انصرفوا عن الشعر بمجىء الإسلام ، وأخرسوا عن قوله لاندهاشهم بأسلوب القرآن ونظمه ، مما أوجب مناقشة هذه الآراء لتوضيح الموقف الصحيح .

وثانيهما : فى موقف الرسول (ص) من الشعر والشعراء ، وأنه على الرغم من أن الله عز وجل قد نشأه تنشئة خاصة لحمل رسالة الإسلام ، فجنبه مفاسد الجاهلية ، كما جنبه الميل إلى الغناء وقول الشعر إنشاء أو إنشاداً ، إلا أنه كان على علم به ومعرفة بقائليه ، وبأساليبهم الفنية ، كما كان حسن التذوق له ، يعجب بجيده ، ويتأثر بمعانيه وصوره المبدعة ، وأنه كان يستنشد الشعراء أشعارهم ، ويستنشد صحابته ما يروون من أشعار يحب سماعها ، بل إنه اتخذ الشعر سلاحا دعائيا فى المعركة الدائرة بين الإسلام وأعدائه ، فكان يشجع شعراءه ويحثهم على القول دفاعا عن الإسلام والمسلمين ، ودحضا لأقاويل أعداء الدين ، كما كان يوجههم إلى النهج الصالح من القول الذى يوافق تعاليم الإسلام ومثله . وقد سقت فى كل ذلك من الأخبار والأقوال ما يوضح موقفه توضيحا يساعد على استجلاء الرؤية الصحيحة له .

وفى الفصل الثانى تناولت مصادر شعر السيرة التى حملته إلينا ، فقسمتها حسب اتجاهاتها الموضوعية إلى : مصادر أدبية ، ومصادر تاريخية ، ومصادر أخرى ، من دينية ولغوية وجغرافية . وعرضت فى كل قسم منها لأهم المصادر بترتيبها التاريخى من الأقدم إلى الأحدث ، وما قدمه كل منها من نصوص شعرية ومن أخبار أو معلومات أو آراء حول هذه النصوص

وكل ذلك يفيد الباحث فى توثيق هذه الأشعار وفى دراستها . وحاولت تقديم هذه المصادر ، وإبراز أهميتها فيما يخص الجانب التوثيقى لشعر السيرة ، ولا شك أن ذلك يساعدنا كثيرا فى تصحيح النظرة إلى هذا الشعر ، ومعالجة الشبهات التى أحاطت به .

وفى الفصل الثالث عرضت لقضية أساسية فى الدراسة التوثيقية ، وهى « شعر السيرة بين الرواية والتدوين » إذ تعالج مادار حول هذا الشعر من تساؤلات عن طرق نقله وروايته حتى وصل إلى مرحلة التدوين ، وما تعرض له خلال هذه الفترة من عوامل الضياع والخلط والانتحال ، وقد تتبعت اهتمامات الخلفاء الراشدين والصحابة بالشعر وروايته ، ثم تدرجت إلى عصر بنى أمية للتعرف على مدى عناية خلفائه وعلمائه وشعرائه برواية شعر أسلافهم من جاهلى وإسلامى ، ثم ختمت هذا الفصل بتناول تدوين شعر السيرة وكتابته إلى جانب روايته الشفوية ، منذ صدوره عن قائليه إلى أن دونه العلماء فى مصنفاتهم ، مؤيدا ذلك بالشواهد والأخبار التى تبرز عنايتهم برواية شعر السيرة وتدوينه على وجه الخصوص .

وفى الفصل الرابع : ترجمت لرواة شعر السيرة الذين نقلوه بطريق المشافهة والتدوين جيلا بعد جيل حتى وصل إلينا فى مصنفات بعضهم ، أو فى مصنفات غيرهم . وقد تناولت أهم هؤلاء العلماء الرواة بترتيب تاريخى وهم : الشعبى ، والزهرى ، وابن إسحاق ، وخلف الأحمر ، ويونس النحوى ، وزياد البكائى ، وأبوعمرو الشيبانى ، والواقدى ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد الأنصارى ، وابن هشام ، وابن سعد ، وابن سلام ، والبلاذرى ، والطبرى وأبو الفرج الأصفهانى . فهؤلاء هم أبرز العلماء الذين اضطلعوا بحمل أشعار

السيرة ، فمنهم من أخذ عنهم روايتها والعلم بها ومنهم من دونها ، ومنهم من بذل جهدا فى تمحيصها وتنقيتها .

وقد راعيت فى ترجماتهم إبراز مكانتهم العلمية بوجه عام ، وعلمهم بالسيرة وأشعارها بوجه خاص . وعرضت لأقوال العلماء والباحثين الآخرين فيهم بالتوثيق أو التجريح ، مع مناقشتها إذا احتاج الأمر ، للوصول إلى الحكم الأرجح فى تحديد مدى الثقة فى علمهم وحفظهم وأمانتهم ، وفى ذلك ما يساعد على وضوح الرؤية فى توثيق شعر السيرة .

وفى الفصل الخامس : بحثت « ظواهر التشويه والنقص فى شعر السيرة » فحصرتها فى ثلاث ظواهر هى : النحل والوضع ، ثم الخلط والتداخل ، ثم الضياع والترك .

وظاهرة النحل والوضع عرفها الشعر العربى فى عصوره المختلفة ، وكان لها وجودها فى شعر السيرة ، لعوامل خاصة قمت بتبيانها ، وسقت الشواهد والأدلة عليها ، كما ناقشت آراء الباحثين حولها ، محاولا وضعها فى إطارها المحدود ، حتى لا تؤخذ على إطلاقها فتعمى الحقيقة على الباحث ، وتوقعه فى معاهة من الحيرة والبلبلة .

وظاهرة الخلط والتداخل فى أشعار السيرة ، هى ظاهرة تعددت وجوهها وأسبابها ، نتيجة للظروف والملابسات ، التى أحاطت بنظم تلك الأشعار وروايتها وتدوينها وتناقلها عبر الأجيال . وقد أوقفنا تمحيص العلماء لشعر السيرة على الكثير من مواضعها ، حتى أمكننا حصرها وتحديد نطاقها إلى درجة توضح لنا حقيقة وجودها ، وتجلى لنا صورتها الصحيحة ، لنحدد

من الأحكام التى تطلق على شعر السيرة إطلاقا عشوائيا يشوه نظرتنا إليها .

وظاهرة الضياع والترك كان لها أيضا أثرها ووجودها فى شعر السيرة ، كما كان لها أسبابها وعواملها وشواهدها التى بسطت فيها القول لتحديد معالمها وتبيين مدى النقص الذى اعترى تلك الأشعار ، وما كان منه عن تعمد وقصد ، وما كان منه نتيجة لظروف الرواية والنقل ، لنأخذ ذلك فى الاعتبار ، ونكون على بينة من الأمر فى توثيقنا لشعر السيرة ، أو إذا ما تناوله أحد من الباحثين على أى وجه من وجوه الدراسة.

أما الفصل السادس والأخير ، فقد خصصته لتوثيق شعر السيرة ، فدرست منهج ابن هشام بجانبيه التوثيقى والتنقيحى ، وعرضت ما بذله من جهود فى ذلك ، تمثلت فى حذفه الكثير من الأشعار التى أوردها ابن إسحاق فى سيرته ، منها المنحولة ، ومنها الرديئة ، ومنها المقذعة ، ومنها أشعار حذفها للاختصار . ثم ما قام به من تنبيه على الأشعار المشكوك فيها ، بتعليقات وعبارات لها مدلولاتها التى تغلب الشك فى بعض المواضع ، وتقلله فى مواضع أخرى . ثم جهوده الأخرى فى تمحيص الأشعار والإضافة إليها ونقدها فى بعض الأحيان ، وعززت الدراسة لكل عنصر من هذه العناصر بالشواهد المبيِّنة ، والإحصاءات المحدَّدة ، تحريا للدقة ، واستجلاء للصورة الصحيحة ، التي تقوم لنا حقيقة الجهود التى بذلها ابن هشام ، وتبين عن قدر العمل الذى اضطلع به فى هذا المجال .

وأتبعت ذلك بعرض منهج مقترح لتوثيق شعر السيرة ، يقوم على التحقيق العلمى الدقيق ، مع الإفادة من جهود ابن هشام ، وغيره من العلماء

الذين أبدوا بعض الآراء ، أو قدموا بعض المعلومات حول عدد من النصوص الشعرية ، التى يقع فيها خلاف .

وفى خاتمة البحث أجملت القول عن عناصره الرئيسية ، مركزا على أهم النتائج التى توصلت إليها ، والتى أراها — فى جملتها — نتائج مهمة وجديدة أضافت إلى هذا المجال من الدراسات الأدبية ما قوم الخلل ، وسد النقص ، وقشع الغيامات التى كانت تغلف الأذهان ، وتحجب عنها الرؤية الواضحة الصافيـــة .

وبعـــد . . .

فإننى إذ أقدم للدارسين فى الحقل الأدبى هـذا العمل المتواضع لأرجو أن تتحقق الفائدة المأمولة ، وإن أكن حظيت فيه بتوفيق فما توفيقى إلا بالله ؟

دكتور شوقى رياض أحمد

جمادى الاولى ١٤٠٧ — يناير ١٩٨٧ م

الفصل الأول

موقف الإسلام من الشعر والشعراء

١ ـ موقف القرآن الكريم :

من الحقائق الثابتة في تاريخنا الأدبي ، والتي كتب عنها وأكدها كثير من العلماء والباحثين القدماء والمحدثين ؛ أن العرب كانوا يحتفلون في جاهليتهم بالشعر والشعراء احتفالا كبيرا ، وأن هذا الاحتفال كان أمرا طبيعيا ، يتفق مع ظروف حياتهم القبلية ، التي قامت على العصبية الشديدة وما نتج عنها من تناحر وتفاخر . وقتال وغزو ، وسلب ونهب ، وسيطرة للقوى على الضعيف . وكان للشعر دوره البارز في هذه الحياة المتناحرة يوضح ذلك قول حسان بن ثابت (١) :

لنا في كلِّ يوم من مَعَدٍّ ... قتالٌ أو سبابٌ أو هجاءُ
فنحكمُ بالقوافي من هجانا ... ونضربُ حيث تختلطُ الدماء

فالشعر هو السلاح الماضي للحرب النفسية والمعنوية ، وهو وسيلة الإعلام الأولى التي يشهرون بها أمجادهم ومفاخرهم ، ويعلنون بها مآثرهم ومكارمهم ويفضحون بها مثالب خصومهم ونقائصهم .

---

(١) ديوانه ص ٧٤ .

كان الشعر إذن هو السجل الحافل بأحداث الحياة الجاهلية . ومتغيرات أحوالها وظروفها ، يقول الجاحظ : « فكل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب ، وشكل من الأشكال . وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى . وكان ذلك هو ديوانها »[١]. ويقول ابن قتيبة أيضا مبرزا أهمية الشعر لديهم : « إن الله جعله لعلوم العرب مستودعاً ، ولآدابها حافظا ، ولأنسابها مقيدا ، ولأخبارها ديوانا لا يرثّ على الدهر ؛ ولا يبيد على مر الزمان »[٢] . ويورد ابن سلام قولا جامعا موجزا لعمر بن الخطاب يؤكد هذه الحقيقة : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »[٣].

ونتيجة لهذا الأهمية الكبيرة التى بلغها الشعر فى حياة الجاهليين ؛ أن يحتل الشاعر مكانة مرموقة فى مجتمعهم ؛ وأن يبلغ فى نفوسهم أعلى درجات الهيبة والإجلال ، وكيف لا وهو الذى يدفع عنهم بلسانه ما تعجز سيوفهم عن دفعه ، ويشيد بأمجاد قومه ومآثرهم ، فيرفع من شأنهم بين القبائل ، كما نجد فى قول الأعشى البكرى[٤] :

وأدفعُ عن أعراضكم وأعيرُكم لساناً كمقراض الخفاجىِّ مِلْحَبا[٥]

ولم تقف مكانة الشاعر وهيبته عند حدود قومه أو قبيلته فحسب ، بل تجاوزت ذلك إلى غيرها من القبائل . فالكل يبتغى رضاه ، ويتمنى

---

(١) الحيوان للجاحظ جـ١ ص ٧١ — ٧٢ .
(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤ .
(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٢٢ .
(٤) ديوانه القصيدة رقم ١٤ البيت ٣١ .
(٥) الملحب : القاطع .

ثناءه ، ويخشى غضبه ، ويتجنب هجاءه ، فهذا سيد بنى مازن — مخارق ابن شهاب — أتاه محرز بن المكعبر العنبرى الشاعر ، فقال : « إن بنى يربوع قد أغاروا على إبلى ، فاسع لى فيها . فقال مخارق : وكيف وأنت جار وردان ابن مخرمة ؟ فلما ولى عنه محرز محزونا بكى مخارق حتى بل لحيته ، فقالت له ابنته : ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكى ، واستغاثنى شاعر من شعراء العرب ولم أغثه ؟ والله لئن هجانى ليفضحنى قوله ، ولئن كف عنى ليقتلنى شكره ! ثم نهض فصاح فى بنى مازن ، فردت عليه إبله »[(١)] .

وكان خوفهم الشديد من هجاء الشعراء ، يضطرهم إلى القيام بأى عمل يسترضونهم به لينجوا من سلاطة ألسنتهم . ومن المعروف أن الغزو والنهب كان أمرا دائرا فى حياتهم ، فإذا أغارت قبيلة على أخرى ، ونهبت فيما نهبت إبلا أو مالا لشاعر منها ، وتعرض لهم هذا الشاعر متوعدا بالهجاء ، فإنهم يضطرون اضطرارا إلى رد كل مانهبوه ، أو على الأقل يردون ما يخص الشاعر . يروى الرواة أن الحارث بن ورقاء الأسدى أغار على عشيرة زهير — الشاعر المعروف — واستاق فيما استاق إبلا له وغلاما ، فنظم زهير أبياتا يتوعده فيها بالهجاء المقذع ، يقول فيها :

ليأتينك منى منطق قذعٌ   باقٍ كما دنَّس القُبطيَّةَ الوَدَكُ

ففزع الحارث ورد عليه ما سلبه منه »[(٢)] .

---

(١) البيان والتبين للجاحظ ج ٤ ص ٤١ — ٤٢ وانظر تفصيل أثر الشعر فى القبائل والأفراد فى المصدر نفسه ج ٤ من ص ٣٥ إلى ص ٤٨ .

(٢) انظر الأبيات فى ديوانه ص ١٨٣ ومختار الشعر الجاهلى للسقا ص ٢٥٥ وانظر الخبر فى الأغانى ج١ ص٣٠٧ . القذع : القبيح . القبطية : الثوب الأبيض . الودك : الدسم .

ونظرا لتلك الخطورة الكبيرة التي كان يمثلها الشاعر فى مجتمعهم ، والأهمية البالغة التى احتلها فى قومه ، نجد القبيلة تعلن عن فرحتها الكبرى إذا نبغ فيها شاعر من أبنائها ، وتحتفل بهذا الحدث احتفالا عظيما ، وتأتى إليها القبائل لتهنئها بذلك ، وتصنع الأطعمة ، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن فى الأعراس (١) .

* * *

وقد شاعت بين العرب خرافات تربط بين الشعر وبين الكهانة والسحر ، فكانوا يزعمون أن الشياطين تنزل على الشعراء كما تنزل على الكهان ، وأن لكل شاعر شيطان يلهمه القول ، من ذلك — على سبيل المثال — أن الأعشى كان له شيطان ، ينفث فى وعيه الشعر ، يسمى مسحلا ، وأن شاعرا كان يهاجيه ، يسمى عمرو بن قطن ، كانت له تابعة من الجن اسمها جهنام (٢) .

وأكد هذه الخرافات إيمان الشعراء بها ، واعتقادهم فى حقيقة هذه العلاقة بين الشاعر وشيطانه الجنى ، يدل على ذلك ترديدهم لها فى أشعارهم كما نجد فى قول الراجز :

إنى وإن كنتُ صغيرَ السنِّ ‏ ‏ وكان فى العين نُبُوٌّ عنّى

فإن شيطانى أميرُ الجنِّ ‏ ‏ يذهبُ بى فى الشعر كلَّ فنّ

---

(١) انظر ما كتبه ابن رشيق فى « العمدة » عن ذلك جـ١ ص ٤٩ .

(٢) الحيوان للجاحظ جـ ٦ ص ٢٢٦ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ٢٠٣ . ومادة جهم فى لسان العرب .

ونسجوا الحكايات الطريفة حول هذه الخرافة [١] ، وجعلوا الشياطين قبائل ، كما نرى فيما رواه أبو بكر بن دريد ، قال : ذكر أبو عبيدة ، وأحسب الأصمعي قد ذكره أيضا ، قال : لقيت السعلاة حسان بن ثابت فى بعض طرقات المدينة ، وهو غلام قبل أن يقول الشعر ، فبركت على صدره وقالت : أنت الذى يرجو قومه أن تكون شاعرهم ؟ قال نعم . قالت : فأنشدنى ثلاثة أبيات على روىّ واحد وإلا قتلتك . فقال [٢] :

إذا ما ترعرعَ فينا الغلام فما إن يقال له من هُوَه
إذا لم يسدْ قبل شدِّ الإزار فذلك فينا الذى لا هُوَه
ولى صاحب من بنى الشيصبان فطوراً أقولُ وطوراً هُوه

ويدل على تمكن هذه الخرافة فى نفوسهم ، أنها استمرت عند بعض الشعراء فى الإسلام رغم شجبه لها ، كما نرى فى قول أبى النجم العجلى [٣] :

إنى وكلّ شاعرٍ من البشرْ شيطانه أنثى وشيطانى ذكر
فما رآنى شاعرٌ إلا استتر فعلَ نجوم الليل عاينَّ القمر

ومن مظاهر إيمان الشعراء بهذه الخرافات ، أنهم كانوا يؤدون بعض الشعائر الشبيهة بشعائر الكهان ، ففى أخبارهم أن الشاعر كان إذا أراد الهجاء لبس حلة خاصة ، ولعلها كحلل الكهان ، وحلق رأسه ، وترك له ذؤابتين ، ودهن أحد شقى رأسه ، وانتعل نعلا واحدة . ومعروف أن

---

(١) انظر بعض هذه الحكايات عن علاقة الجن بالشعراء فى جمهرة أشعار العرب ، فصل ما حفظ عن الجن من الشعر .
(٢) انظر الخبر والأبيات فى ديوان حسان ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .
(٣) الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٢٢٩ .

حلق الرأس كان من سننهم فى الحج ، وكأن شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التى يصنعها فى حجه ، وأثناء دعائه لربه أو لأربابه ، حتى تصيب لعنات هجائه خصومه بكل ما يمكن من ألوان الأذى وضروب النحس المستمر . ولعلهم من أجل ذلك كانوا يتطيرون منه ويتشاءمون ، ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا (١) .

* * *

كانت هذه حال الشعر والشعراء فى المجتمع الجاهلى ، حين بعث الله رسوله محمدا (ص) . برسالة الإسلام ، وأنزل عليه كتابه العزيز ، وقرآنه الكريم بلسان عربى مبين ، ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية وضلالاتها ، إلى نور الحق ، وهداية الدين القويم .

وكان من الطبيعى أن يصطدم القرآن الكريم بتلك الأوهام والخرافات التى سيطرت على عقول القوم ، ورانت على قلوبهم وأفئدتهم ، وأن يبهر العرب بآياته البينات ، التى هزت مثل الفصاحة والبلاغة والبيان الماثلة فى أذهانهم ، والمتغلغلة فى أعماق وجدانهم .

ولما كان الشعر عندهم هو قمة الإبداع الأدبى بكل عناصره الأسلوبية والتصويرية ، فما من سبيل تهتدى إليه عقولهم المغلفة بتلك الأوهام إلا أن يصفوا محمدا (ص) بأنه شاعر ، وأن ما جاءهم به من آيات هذا القرآن ليس إلا ضربا من الشعر ، وإن لم يألفوه من قبل عند شاعر آخر . ونزلت الآيات تتوالى كاشفة عن مزاعمهم الواهمة ، مدحضة لدعاواهم

(١) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص١٩٧ .

الباطلة على نحو ما نرى فى قوله عزوجل : « ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدّق المرسلين »[١] وفى قوله : « بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون[٢] » وفى قوله : « وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين »[٣].

وواضح فى هذه الآيات الكريمة أنها تذكر ما تقوّل به الكفار عن النبى (ص) بأنه شاعر ، وأنها تنفى عنه هذه الصفة نفيا قاطعا ، فما ينبغى له أن يقول الشعر ، حتى لو كان ذلك فى كلامه الخاص ، الذى لا يتصل بالوحى ، أو فى أحاديثه التى يخاطب بها الناس مناقشا داعيا ، أو معلما هاديا ، وأنها تؤكد لهم أن ما جاءهم به هو الحق من عند الله ، وهو ذكر وقرآن مبين ، وليس من تأليفه هو ، أو من افترائه على حسب زعمهم .

كذلك يتضح من الآيات ربط الشعر بالجنون فى قول الكفار ، فمن المعروف أن العرب — شأنهم فى ذلك شأن كثير من الشعوب الأولى فى نظرتهم إلى الأدباء والفنانين — كانوا يظنون بعقول الشعراء الظنون ، فيعتقدون أحيانا أن بهم ما يشبه الجنون ، أو أن بهم مسًّا من الجن ، أو أن بعض الشياطين يوحون إليهم بما يجرى على ألسنتهم من شعر[٤] وقد رأينا أن هذا الاعتقاد كان شائعا بينهم ، وهذا ما عرضت له آيات أخرى من الذكر الحكيم . نافية تلك الصلة بينها وبين الشياطين ، الذين يلهمون

---

(١) سورة الصافات . الآية ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) سورة الأنبياء . الآية ٥ .
(٣) سورة يس . الآية ٦٩ .
(٤) فى الشعر الإسلامى والأموى للدكتور عبد القادر القط ص ١٦ .

الشعراء في زعمهم. كما نرى في قوله تعالى : « وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون »[1] وتواصل الآيات مناقشة القضية لتوضيح الحقيقة « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون »[2].

وإذا كانت هذه الآيات قد كشفت مزاعم القوم وأوهامهم التي تربط بين الشعر والجنون ، أو بين الشعراء والشياطين ، فهناك آيات أخرى تكشف عن ربطهم بين الشعر والكهانة والسحر في اتهامهم للرسول (ص) . يقول عز وجل : « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإني معكم من المتربصين »[3] ويقول: « إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون »[4] . هذا إضافة إلى آيات أخرى تبين عن اتهامهم للرسول (ص) بأنه ساحر ، وأن قرآنه سحر ، كما في قوله تعالى : « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » .[5] . وقوله: « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين »[6] وغير ذلك من الآيات .

ومعروف أن الكاهن عندهم كانت له قداسة دينية ، لأن أكثرهم

---

(١) سورة الشعراء . الآيات ٢١٠ — ٢١٢ .
(٢) سورة الشعراء . الآيات ٢٢١ — ٢٢٦ .
(٣) سورة الطور . آيات ٢٩ — ٣١ .
(٤) سورة الحاقة . آيات ٤٠ — ٤٢ .
(٥) سورة ص . آية ٧ .
(٦) سورة الأحقاف آية ٤ .

كان يخدم بيوت أصنامهم وأوثانهم ، وكانوا يعتقدون أن لكل كاهن تابع من الجن يوحى إليه ، ويسمى « الرَّئيّ » [1] حتى إن بعض من أسلم منهم ، مثل « خنافر الحميرى » كان يقول إنه أسلم بمشورة تابعه « شصار » [2] .

ولم يكن غريبا أن يقوم هؤلاء الكهان بضروب من السحر والشعوذة ، ليدعموا هيبتهم فى نفوس القوم ، وليحكموا السيطرة على معتقدهم فى قدراتهم الخطيرة . وكثيرا ما كانوا ينذرون قبائلهم بوقوع غزو غير منتظر . [3] كما كانوا كثيرا مايفسرون رؤاهم وأحلامهم. [4] ولذلك كانوا يستشيرونهم ويصدرون عن آرائهم فى كثير من شئون حياتهم ، كوفاء زوجة ، أو قتل رجل أو نحر ناقة . [5] أو تمود عن نصرة أحلاف ، أو نهوض لحرب [6] .

ومن الواضح أن اعتقادهم بوجود علاقة بين الكاهن والجن ، شبيه بما يعتقدونه عن وجود علاقة بين الشاعر والجن ، وعلى ذلك يمكننا أن نفهم اتهامهم للرسول (ص) بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر إنما يصدر عن إيمانهم بوجود قوة غيبية وراء هذا القرآن ، وأن هذه القوة الغيبية ماثلة فى شياطين الجن الذين قامت حولهم كل تلك الخرافات والأساطير ، وتغلغلت فى أعماق نفوس القوم إلى درجة يصعب عليهم الفكاك من تأثيرها . ويكشف

---

(١) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص ٢٤٠ .

(٢) الأمالى جـ١ ص ١٣٣ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام جـ١ ص ٤٣ ، ٢٢١ وأمالى القالى جـ١ ص ١٢٦ .

(٤) سيرة ابن هشام جـ١ ص ١٥ .

(٥) انظر الأغانى جـ١ ص ١٠٨ .

(٦) نفسه جـ ٩ ص ٨٤٠ ، جـ١١ ص ١٤٠ .

القرآن عن طبيعة هذا الاتهـام القائمة على هـذا المعتقد ، فيقول عز وجـل :
« وقال الذين كفروا إن هذا إلاّ إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جـاءوا ظلمـا وزورا ، وقالوا أسـاطير الأولـين اكتتبها فهى تُملى عليه بُكرة وأصيلا ، قـل أنزله الذى يعلم السرّ فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيما »(١) .

وهذه الاتهامات كلها وإن كانت نابعة من معين الخرافات والأوهـام والأساطير الشائعة بينهم ، إلا أنهـا فى الوقت نفسه تـكشف عن عنادهم وكفرهم . وتهدف إلى وضع العراقيل فى سبيل هـذه الدعوة ومنع انتشارها خشية من خطورتها على أوضاعهم الاجتماعية ومصالحهم الدنيوية ، يوضح ذلك ماورد فى السيرة « أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش . فقال لهم : يامعشر قريش ، إنه قد حضر هـذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه . وقد علموا بأمر صاحبكم هذا . فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضا . قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن . لقد رأينا الـكهان فما هو بزمزمة (٢) الـكاهن ، ولا سجعه قالوا : فنقول مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقة ، ولا تخالجه ـ ولا وسوسة . قالوا : نقول ساحر . قال : ما هو بساحر . لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم (٣) قالوا : نقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ،

(١) سورة الفرقان . آيات ٤ـ٦ .
(٢) الزمزمة : الـكلام المدغوم الذى لا يبين نطقه .
(٣) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطا ثم ينفث فيه ، وعليه قوله تعـالى « ومن شر النفاثات فى العقد » يعنى الساحرات .

ومقبوضه ومبسوطه — فما هو بالشعر ، قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة [١] ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك [٢] .

ونخرج من هذا الخبر بحقيقة لها أهميتها ، وهى اعتراف القوم ببطلان كل هذه التهم التى افتروها على النبى (ص) وإقرارهم بروعة هذا القرآن الذى جاءهم به ، وماله من حلاوة وطلاوة يقصر دونها شعر شعرائهم ، ويتضاءل أمامها سجع كهانهم فى الإبداع الأدبى ، وفيما يتفاخرون به من اللسن والذلاقة والفصاحة والذرابة ، ويتنافرون فيه [٣] .

وإذا كانوا يزعمون أن شياطين الجن تعين محمدا (ص) ، وتوحى إليه بآياته ، كما تعين كهانهم وشعراءهم وتوحى إليهم بالقول ، فلماذا لا يستعينون بشياطينهم على الإتيان بسورة من مثله ؟ . « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » [٤] . « أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . » [٥]

وقف العرب أمام هذا التحدى عاجزين ، فلم يستطع شعراؤهم

---

(١) يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى .
(٢) انظر سيرة ابن هشام جـ١ ص ٢٧٠ .
(٣) إعجاز القرآن للباقلانى ص ٩٨ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٣ .
(٥) سورة يونس آية ٣٨ .

الذين يمتلكون ناصية الكلام ، ويتميزون بفصاحة القول ، وبلاغة التعبير ، وجمال الأسلوب ، وحلاوة البيان ، لم يستطيعوا بكل مواهبهم الإبداعية ، وبإلهام شياطينهم المزعومة ، أن يواجهوا هذا التحدى ، أو ينافسوا هذا الإعجاز ، ولم يستطع كهانهم بسجعاتهم المرصوفة ، وعباراتهم الموهمة ، ونفثاتهم المعقودة ، وسحرهم الشيطانى أن يأتوا بآية تضارع آى القرآن ، أو فكرة محكمة تماثل قولة حق نزل بها الذكر الحكيم .

وليس لنا أن نقف أمام المعجز الذى أشاب بلغاء العرب وفصحاءهم ، لندعى أننا توصلنا إلى حقيقة جديدة فى البحث ، إذ أنها حقيقة أجمع عليها جمهور العلماء والباحثين . ولكننا نقف على هذه الحقيقة نحاول استكشاف ما وراءها من آفاق ، واستجلاء ما يترتب عليها من نتائج ، وأول ما يتراءى لنا فى تلك الآفاق أن هالة الإجلال والمهابة ، التى كانت تحيط بهؤلاء الشعراء أو أولئك الكهان ، أخذت تنحسر شيئا فشيئا أمام المد الإسلامى ، وأن صرح القيم الأدبية والمثل الفنية ، الذى أقامه شعراء الجاهلية ، بكل إبداعات مواهبهم ، وقدرات فحولتهم ، بدأ يتخلخل ويهتز فى نفوس العرب عامة ، والمؤمنين منهم خاصة ، وتهبط ذروته العالية إلى المستوى الذى أنزله إليه القرآن ، وحدده له الإسلام .

* * *

وننتقل من ذلك إلى محاولة تحديد الإطار الذى رسمه القرآن الكريم للشعر والشعراء واستجلاء المفهوم الدقيق للمعانى والأهداف التى تضمنتها آياته المحكمات فى ذكرها للشعر أو الشاعر أو الشعراء .

وبمراجعة الآيات التى عرضناها من قبل ، والتى ورد فيها ذكر هذه الكلمات ،

يمكننا أن نستجلى بوضوح موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء ، إذ أكدت الآيات الكريمة على الفصل الكامل بين القرآن والشعر ، من حيث فنية القول وأسلوبه ، ومن حيث فكره ومضمونه ، ومن حيث مصدره أو قائله ، فالقرآن كلام الله عز وجل ، والشعر كلام البشر ، وشتان بين هذا وذاك .

وفى إطار تنزيه القرآن الكريم عن الشعر ، جاء تنزيه الرسول (ص) عن تعلمه وقوله « وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين »(١) وقد ذكر السيوطى تعليلا لهذا التنزيه ، فيه اجتهاد محمود ، ونظر ثاقب ، حيث يقول : « إن علماء العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض ، وصناعة الإيقاع ، إلا أن صناعة الإيقاع تقسيم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع ، والإيقاع ضرب من الملاهى ، لم يصلح ذلك لرسول الله (ص) ، وقد قال رسول الله (ص) : ما أنا من دد ، ولا دد منى »(٢) .

وقال بعض المفسرين فى شرح هذه الآية : « إن الرسول حين تحدى العرب بالقرآن فأعجزهم ، وهم أهل الفصاحة واللسن ، زعموا أنه شاعر ، وأن القرآن من قبيل الشعر ، وأن إعجازه قد جاء من هذه الناحية ، مع أن القرآن واضح المباينة للشعر ، لفظا ومعنى ، لخلوه من الوزن والتقفية ، ومغايرته لنظام الشعر وأسلوبه ، وبعده من الكذب والتجميل وتزوير القول . أما الشعر فأعذبه أكذبه ، على ماقالوا ، وكيف يكون القرآن شعرا وما محمد

---

(١) سورة يس . الآية ٦٩ .

(٢) المزهر للسيوطى جـ٢ ص ٢٩١ ط الحلبى ، جـ٢ ص ٤٧ ط دار إحياء الكتب .

بشاعر ، فما علمه الله الشعر وما ينبغى له ، ولا يليق بجليل شأنه وعالى قدره أن يكون من الشعراء ، مداحا أو هجاء ، أو خائضا فيما يخوضون ، أو مقيدا من قيود الشعر بما قد يجر نقصا فى المعنى ، وفى هذا نفى الشعر عن النبى ، وتنزيه القرآن تبعا لذلك عن أن يكونه ، فما هو إلا حكم وعقائد وشرائع وهدى وموعظة حسنة وذكر للعالمين ، وقرآن من لدن رب العالمين ، وليس فى نفى الشعر عن النبى غض من قدر الشعر ، فقد وصفه القرآن بالأمية ، ولو صح أن كونه غير شاعر قدح فى الشعر ، لكانت أميته قدحا فى الكتابة ، وما يقول بهذا أحد» [1] .

وهناك خبر طريف يزيدنا توضيحا لهذا الأمر ، إذ روى أن المأمون قال لأبى على المعروف بأبى يعلى المنقرى : بلغنى أنك أمى ، وأنك لا تقيم الشعر ، وأنك تلحن فى كلامك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه ، وأما الأمية وكسر الشعر ، فقد كان النبى أميا ، وكان لا ينشد الشعر ، فقال المأمون : سألت عن ثلاثة عيوب فيك ، فزدتنى رابعا ، وهو الجهل ياجاهل . إن ذلك كان للنبى (ص) فضيلة ، وهو فيك وفى أمثالك نقيصة ، وإنما منع ذلك النبى (ص) لنفى الظنة عنه ، لا لعيب فى الشعر والكتابة . وقد قال الله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذا لارتاب المبطلون » [2] .

وإذا كانت هذه الشروح تركز على الجانب الشخصى فى تنزيه الرسول (ص) عن الشعر ، فإن ذلك لا يمنع النظر من جانب آخر ، لنتفهم الحكمة التى أرادتها

---

(١) انظر الكشاف للزمخشرى ج٣ ص٢٩٢ ، وتفسير الرازى ج ٧ ص١١٠ ، وتفسير الخازن ج ٤ ص٨ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٥٤ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٢٩٨ .

المشيئة الإلهية حين حجبت عنه موهبة الشعر ، سواء كان ذلك من ناحيــة إبداعه وقرضه ، أو من ناحيه حفظه لأشعار الشعراء وإنشادها بلسانه . والحـكمة الإلهية فى ذلك بينة واضحة ، فهى تهدف إلى استبعاد أدنى مظنة وتجنب أوهن شك ، يمكن أن يفتح مجالا للتقول والطعن من المنكرين أو المضلين ، فينسبون القرآن إلى محمد ، ويدعوا أنه من قوله وافترائه ، وإذا كان هؤلاء المنـكرون ، قد ادعوا فعلا تلك الأقاويل مع علمهم بنبو محمد عن الشعر بصورة لم يألفوها فى أى عربى ، فما بالك لو كان محمد شاعرا بالفعل ، أو حافظا منشدا له ؟ ألا يكون ذلك عاملا قويا لإحداث البلبلة بين الناس ، وإثارة الشكوك فى نفوسهم ؟ وعندئذ ستحتاج هذه البلبلة إلى جهود مضنية لإزالة آثارها ، كشف مـا سببها من زيف وتضليـل . ومن هنـا اقتضت الحـكمة الإلهية أن تجتث جذورها من البداية ، حتى تجنب الرسول (ص) مخاطر فتنة عاتية ، وتؤمن الإسلام على المدى الطويل من طعنات كل مرتاب أثيم ، وشكوك كل مضل خصيم .

* * *

ويسوقنا تنزيه الرسول (ص) عن الشعر إلى موقف القرآن من الشعراء الذين وقفوا من الإســلام موقف العداء والإنـكار ، إذ يندد بغوايتهم وغواية كل من يتبعهم ، تلك الغواية التى تجعـلهم يهيمون فى كل واد ، ويحلقون فى أجواء من الرؤى والأوهام بعيدين عن أرض الحقيقة والواقع ، ويتشدقون بأقوال تناقض ما يأتون من أفعال ، « والشعراء يتّبعهم الغاوون، ألم ترَ أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون »[1].

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بهذه الآيات الـكريمة ، هم أولئـك

(١) سورة الشعراء . آيات ٢٢٤ ــ ٢٢٦ .

النفر من الشعراء ، الذين يدافعون عن الكفر والمعصية ، ويؤذون الرسول (ص) ، وينالون من المسلمين ، ويقولون فى الأعراض الباطلة التى يحاربها الإسلام ، كالهجاء ، والقدح فى الأنساب ، ونهش الأعراض ، وبعث الضغائن ، وإشاعة الفساد ، ثم لا يبالون بمجاوزة القصد فى المديح والهجاء ، فيفرطون فى المديح إذا أعطوا ، وفى الهجوم والذم إذا منعوا ، فيعظمون الحقير ، ويرفعون الوضيع ، ويحطون من شأن العظيم [1].

أما الشعراء المسلمون ، الذين آمنوا وصدقوا ، وانطلقت ألسنتهم دفاعا عن دين الحق ، وذودا عن رسوله وعن تعاليمه ومبادئه ، وانتصارا لأنفسهم ولإخوانهم المسلمين ، الذين هجاهم ونال منهم شعراء الكفر ، فقد استثناهم الله عز وجل بقوله بعد آيات التهديد السابقة مباشرة « إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » [2].

فالقرآن الكريم ، أو هذه الآيات منه بالتحديد ، قد حصرت الذم فى نطاق هؤلاء الشعراء ، الذين حادوا عن الحق ، وجعلوا من شعرهم بوقا للغى والضلال ، ومنبرا للكذب والنفاق ، ولكن ذلك لا ينبغى أن يقودنا إلى فهم خاطئ لموقف القرآن من الشعر والشعراء ، يرمى إلى تحريم الشعر وحظر قوله ، أو الانتقاص من قدر الشعراء وتسفيه أحلامهم . وإنما ينبغى أن نتبين المفهوم الصحيح للهدف الذى ترمى إليه الحكمة الإلهية ، من توجيه الشعر والشاعر إلى الوجهة الصحيحة التى يحسن المسار صوبها ، ليكون هذا

(١) انظر تفاسير : القرطبى ج١٣ ص١٥٢ والطبرى ج٩ ص٧٢ والخازن ج٣ ص٣٧٣ والكشاف للزمخشرى ج٣ ص١٣٠ ، والرازى ج٦ ص٤٣٢ والبيضاوى ج ٣ ص٤١٦ .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٧ .

الفن البشرى عونا للتعاليم الإلهية على صلاح الفرد والمجتمع ، فهو إذن قد فرق بين شعر وشعر ، وشعراء وشعراء ، يقول الجاحظ : « فإذا وجب أن الكلام غير محرم ، فإن وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعله من علة ، وإن الترجيع له أيضا لا يخرج إلى حرام »[١] . ويؤكد هذه الحقيقة أيضا ما يقوله ابن رشيق : « فلو أن الشعر حرام ، ما اتخذ النبى شعراء يثيبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم »[٢] . ولكن القرآن يحرم ذلك النوع من الشعر ، الذى يخرج على تعاليمه ، ويتعدى حدوده ، ويتجاوز القصد فى المديح والذم ، وذلك الذى يدعو إلى إحياء العصبية وبعث الأحقاد ، أما غيره من الشعر فهو مباح لا حظر عليه .

ورغم وضوح هذا القصد من الآيات الكريمة ، فإننا نجد شعراء المسلمين قد أوجسوا فى أنفسهم خيفة حين نزلت تلك الآيات ، وتحرجوا من القول خشية الوقوع فى الإثم ، فيروى أن رسول الله (ص) قال لعبد الله بن رواحة : « انزل فحرك بنا الركاب (يعنى أن يحدو بالشعر) قال : يارسول الله إنى تركت ذلك » . وعندما أنزل الله فى الشعر ما أنزل ، جاء حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه ، وغيرهم من شعراء المسلمين إلى النبى (ص) فقالوا : يارسول لله ، إن الله أنزل فى الشعر ما أنزل ، فقال الرسول : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ماترمونهم به نضح النبل »[٣] .

* * *

(١) رسائل الجاحظ ج٢ ص ١٦٠ .

(٢) العمدة لابن رشيق ج١ ص ١٢ .

(٣) تفسير الخازن ج٣ ص ٣٧٣ .

وتبقى قضية لها أهميتها نتجت عن موقف القرآن الكريم من الشعر ، وهل كان هذا الموقف سببا فى انصراف العرب عن الشعر أو انشغالهم عنه ؟ وهل كان هذا الانصراف لفترة محدودة ، أم كان لفترة أطول ؟.

وأول من عرض لهذه القضية من قدامى مؤرخى الأدب هو ابن سلام ، ولكن عرضه لها كان سريعا موجزا فى قوله « فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب (أى عن الشعر) ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته »(١) فهو يجعل مجىء الإسلام سببا لانشغال العرب عن الشعر ولهوهم عن روايته . وحكمه فى ذلك حكم عام دون تفصيل أو توضيح لوجهة نظره ، وهو حكم تنقصه الدقة ، وينقضه الواقع الحقيقى — على الأقل — فيما يتصل بانشغال العرب عن الشعر بسبب مجىء الإسلام ، سواء كان ذلك فى بداية الدعوة الإسلامية ، أو طيلة فترة السيرة النبوية .

ويأتى بعد ذلك ابن خلدون ، فيعيد النظر فى القضية ، ولكن بتفصيل أكثر ، حيث يقول : « انصرف العرب عن الشعر أول الإسلام ، بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك ، وأونس الرشد فى الملة ، ولم ينزل الوحى فى تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبى (ص) وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه »(٢).

وكلام ابن خلدون يفتقر كذلك إلى الدقة والصواب ، لأنه عمم فى قوله

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٢٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٤٢٧ . ط البهية .

بانصراف العرب عن الشعر أول الإسلام ، إذ كانت الدعوة فى بدايتها تنحصر فى دائرة محدودة بمكة وما حولها ، أما بقية مناطق شبه الجزيرة ، فكانت على حالها الجاهلية ، وإن سمعت عن دعوة الإسلام ، ثم إن قوله بأنهم أخرسوا عن الشعر لاندهاشهم بأسلوب القرآن ونظمه ، لا يمثل الحقيقة الماثلة فى تاريخ السيرة النبوية ، ولا يقوم على منطق أو تعليل سليم ، لأننا إذا سلمنا باندهاشهم لأسلوب القرآن ونظمه ، فلا ينبغى أن نجعل من هذا الاندهاش سببا فى إخراسهم عن الشعر ، إذ أنهم لم يخرسوا ولم يتوقفوا عن نظمه ، سواء من كان منهم مؤمنا أو من لا يزال على كفره ، وما دام الوحى لم ينزل بتحريم الشعر وحظره ، فليس ثمة سبب إذن للتوقف أو السكوت عن نظمه وإنشاده . وهو نفسه ينقض ما قاله فى أول كلامه بما قاله فى آخره ، من أن الرسول (ص) سمع الشعر وأثاب عليه ، ونحن نعرف أنه كان يقف بجانبه ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه ، ويردون على شعراء مكة وغيرهم من خصومه ذائدين مدافعين [1] .

وقد ناقش هذه القضية عديد من الباحثين المحدثين إيجازا وتفصيلا ، نذكر منهم الدكتور يحيى الجبورى ، الذى يرى « أن الإسلام اتخذ من الشعر مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التى شهدتها الدعوة ، والمواقف الإسلامية تلك كانت منبثقة من ظروف الدعوة نفسها ، فنجد أن الدين قد ذم الشعر والشعراء ، وهون من أقدارهم فى فترة البدء بنشر الدعوة حين كان الشعر يهاجم الدين وينتقص منه ، ويرمى المرجفون الرسول بأنه شاعر ، وقوله الشعر ، فهو سلاح من أسلحة الشرك ، ثم يكون الإسلام موجها للشعر والشعراء ، وذلك حين أتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر

(١) انظر مناقشة الدكتور شوقى ضيف لقول ابن خلدون فى كتاب العصر الإسلامى ص ٤٣ .

سلاحًا من أسلحة الحرب ، يقاتلون أعداءهم المشركين ، الذين شهروا بوجوههم السلاح ذاته[١].

وهذا الرأى يقوم القسم الأول منه على أن الدين قد ذم الشعر والشعراء وهون من أقدارهم فى فترة البدء بنشر الدعوة ، التى كان يرمى المرجفون فيها الرسول (ص) بأنه شاعر ، إلا أن الآيات التى عرضت لهذا الاتهام فى تلك الفترة ، لم تقصد ذم الشعر والشعراء ، وإنما قصدت دفع تلك التهمة عن الرسول (ص) فحسب ، وكما سبق أن أوضحنا فى مناقشة هذه الآيات ، أما الآية التى ذمت الشعراء المناوئين للدعوة فهى آية مدنية ، لم تنزل فى الفترة الأولى المكية ، ومن هنا يتبين لنا وجه الخطأ الذى يقوض دعوى المرحلية فى موقف الإسلام من الشعر . والحقيقة أن المرحلية هنا هى مرحلية أحداث وظروف فى تاريخ الدعوة . ولكنها ليست مرحلية مواقف تتغير بحسبها نظرة الإسلام إلى الشعر والشعراء .

ويتفق معى فى الرأى بصدد هذه القضية الدكتور عبد الله الحامد ، الذى يذهب إلى أن موقف الإسلام من الشعر والشعراء كان واحدا ، بدايته كنهايته ، ولم يكن مرحليا على فترتين ، كراهية أولا ، وإباحة ثانيا ، بل كان موقفا واحدا ، ليس فيه حكم ناسخ لآخر منسوخ . فهذه القضية ليست من القضايا التى يسرى فيها نظام التدرج فى التشريع[٢] .

* * *

---

(١) شعر المخضرمين للدكتور يحيى الجبورى ص ٤ ط ثانية .

(٢) الشعر الإسلامى . للدكتور عبد الله الحامد ص ٥٣ ط ثانية .

من كل ذلك يتبين لنا بوضوح موقف القرآن الكريم من الشعر والشعراء وهو موقف ثابت لايتغير بتغير الظروف والأحوال ، ويقوم على مبادئ تتفق مع تعاليم الإسلام الهادفة إلى صلاح الفرد والمجتمع ، والتى ترمى إلى تهذيب الإنسان والسمو بأخلاقياته إلى مستوى رفيع من المثالية والفضيلة . والشعر فن أدبى جعله الله طبيعة من طبائع النفس البشرية ،وليس من المعقول أن يحرم الله على هذه النفس موهبة وهبها إياها . ولكن المعقول أن يوجه الإنسان إلى تهذيبها والسمو بها ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من من الطباع والغرائز ، وإن كان هذا التوجيه التهذيبى قد حد من إنطلاق الشاعر فى مجالات القول ، ومن تهويماته فى آفاق الخيال والتصوير . وهذا جانب فنى من القضية لسنا بصدد بحثه ، وقد تناوله العديد من الباحثين .

ولم يكن تنزيه الله للقرآن عن الشعر ، أو تنزيه رسوله (ص) عن قوله يعنى الحط من قدر الشعر أو الشاعر ، وإنما كان ذلك لإحقاق الحق ،ووضع الأمور فى نصابها ، ودحض دعاوى المتعرضين من أعداء الإسلام . وحتى تستكمل الصورة عن موقف الإسلام من الشعر والشعراء ، ينبغى أن نتبين موقف الرسول (ص) فى هذه القضية ، وذلك ما سوف نتناوله فيما يلى :

* * *

٢ ـ موقف الرسول (ص) :

رأينا كيف تصدت آيات الذكر الحكيم لدفع تهمة الشعر عن نبى الإسلام ، وكيف حسمت صلته به حسما قاطعا ، فنفت عنه الشاعرية إنشاءً

أو إنشادا ، تنزيها لشخصه العظيم ، وتنزيها للقرآن الكريم ، وحفظا له من الظنون المشوشة والشكوك المشوهة .

وهنا علينا أن نفصل القول فى حقيقة هذه القطيعة الفاصلة ، بين الرسول (ص) والشعر ، حتى لا تفهم فهما خاطئا ، يمكن أن يؤدى إلى نتائج منافية للحقيقة ، أو مجافية للمفهوم الصحيح . وقد أوردت المصادر كثيرا من الأخبار والأحاديث التى تكشف عن مواقف عديدة للرسول (ص) من الشعر والشعراء ، وتساعد على توضيح كل الملابسات فى هذه القضية .

إن الله اصطفى محمدا ليكون رسوله لهذه الأمة ، وطبيعى أن يعده لحمل أعباء هذه الرسالة الجليلة منذ نعومة أظفاره ، وأن ينشئه تنشئة طيبة صالحة تتوافق مع المبادئ والمثل التى سوف تكون أساسا لدعوته حين يكلفه بها فى سن الأربعين . يقول عليه الصلاة والسلام : « لما نشأت بُغّض إلىّ الأوثان ، وبُغّض إلىّ الشعر ، ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، فعصمنى الله منهما ثم لم أعد »[1] .

ولما كانت الصلة بين الشعر والغناء صلة وثيقة ، والغناء ضرب من اللهو ، واللهو لا يليق بسلوك نبى ، فبديهى أن يبغض إليه الشعر حتى لا يكون منفذا إلى اللهو الذى قطعت عنه أسبابه حيث يقول . « ما أنا من دد ، ولا ددٌ منى »[2] . وبون بعيد بين رسالة نبى يدعو إلى عقيدة الحق ، وبين مهمة شاعر يسعى إلى الإمتاع الفنى ، يقول ابن فارس : « ورسول الله وإن كان أفضل المؤمنين إيمانا ، وأكثر الصالحين عملا للصالحات ، فلم يكن

---

(١) إعجاز القرآن وبلاغة النبى للرافعى ص٣٢٩ ، ودلائل الإعجاز للجرجانى ص٢١–٢٢ .

(٢) الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص٢٢٩ – ٢٣٠ ط السلفية القاهرة ، والمزهر للسيوطى ج٢ ص٢٩١ ط السعادة ، ج٢ ص٤٧٠ ط دار إحياء الكتب .

ينبغي له الشعر بحال ، لأن للشعر شرائط لا يسمى الإنسان بغيرها شاعرا ، وذلك أن الإنسان لو عمل كلاما مستقيما موزونا يتحرى فيه الصدق ، من غير أن يفرط أو يتعدى أو يمين ، أو يأتي بأشياء لا يمكن كونها البتة ، لما سماه الناس شاعرا ، ولكان ما يقوله مخسولا ساقطا ، كما أن الشاعر بين مادح ضارع ، وهاج قذع ، وهذه أوصاف لا تصلح لنبي »(١).

من هنا يمكننا تفهم الأسباب التي بغض الشعر من أجلها لنفس الرسول (ص) وهي أسباب تتفق مع تلك التي أوردها المفسرون للآية الكريمة . « وما علمناه الشعر وما ينبغي له . . . » والتي سبق أن فصلنا القول فيها .

الرسول (ص) وإنشاء الشعر :

وصلة الإنسان بالشعر لها جانبان : جانب الإنشاء ، وجانب الإنشاد . وعلى ذلك ينبغي أن نتحرى البحث في صلة النبي (ص) بالشعر من كلا الجانبين ، فإذا نظرنا إلى الجانب الأول ، أي إلى إنشاء النبي (ص) للشعر ، وجدنا أنه أمر لم يكن ليتأتى له بأي حال من الأحوال ، بناء على ما أوضحته الآيات والأحاديث التي عرضنا لها . ومع ذلك فقد وردت بعض الأقوال التي تنسب إليه بيتين من الرجز . وينبغي أن نعرض لهذه الأقوال بالتحليل الدقيق ، حتى نستجلي حقيقة الأمر .

وأول البيتين اللذين نسبا إليه ما روى عن قوله مرتجزا يوم أحد(٢) :

ما أنت إلا إصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت

(١) المزهر للسيوطي جـ٢ ص ٤٦٩ — ٤٧٠ ط دار إحياء الكتب والصاحبي لابن فارس ص٢٢٩ — ٢٣٠ .

(٢) صحيح مسلم جـ٥ ص١٨٢ . والعمدة لابن رشيق جـ١ ص١٢٣ .

أما البيت الثانى فهو الذى نسب إليه أنه قاله مرتجزا يوم حنين :[1]

أنا النبيُّ لا كَـــذِبْ   أنـا ابنُ عبـد المطلبْ

وبخصوص البيت الأول نجـد أقوالا متضاربة فى صحة نسبته إليه ، وفى صحة المناسبة التى قيل فيها ، فقد ورد هذا البيت فى السيرة النبـوية منسوبا إلى الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومى[2] . وقد قاله حينما جرحت إصبعه أثناء هجرته إلى المدينة . وهنـاك رواية أخرى ذكرها ابن عبدربه ، فيها مناسبة أخرى لقول هذا البيت ، وهى أن النبي (ص) لمـا دخـل الغار محتميا به فى هجرته ، أصابت الحجارة إصبعه فدميت ، فقال ذلك[3] .

وهذا التخبط فى نسبة البيت إلى قائله ، أو فى مناسبة قوله من شـأنه أن يثير الشك فى صحـة الروايات عنه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن أحـداث غزوة أحد ، وما أصاب النبى (ص) من جراح خلالها ، كانت أشـد بكثير من مجرد جرح الإصبع . مما يجعل منها مناسبة غير سائغة ولا ملائمة لقول هذا البيت ، سواء كان إنشاء له أو تمثلا به . ممـا يزيد الشك فى صحة نسبة قوله إلى النبى (ص) .

وإذا نظرنا من ناحية أخرى إلى وزن البيتين ، وهما من الرجز ، وجـدنا لعلماء اللغة موقفا ينفى أن يـكون البيت الواحد من الرجز شعرا . «قال الخليل فى كتاب العين : ما جـاء من السجع على جزئين لا يكون شعرا ، وقال الأخفش : إن قوله عليه السلام : أنا النبى لا كذب ... ليس بشعر » .[4]

(١) صحيح مسلم جـ٥ ص١٦٨ .
(٢) سيرة ابن هشام ق١ ص٤٧٦ .
(٣) العقد الفريد لابن عبدربه جـ٥ ص٢٨٢ .
(٤) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص٥٢ .

قال أنيس أخو أبي ذر « لقد وضعت قوله عليه السلام على أقراء الشعر — نواعه وطرقه وبحوره ومقاصده — فلم يلتئم أنه شعر [١] » .

ويجمع علماء اللغة على أن كل من قال قولا موزونا لا يقصد به إلى شعر فليس بشعر ، وإنما وافق الشعر ، وأن الذى نفاه الله عن نبيه هو العلم الشعر وأصنافه وأعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ، وأنه لم يكن موصوفا بذلك بالاتفاق [٢] .

وللتدليل على صحة ماذهب إليه اللغويون فى ذلك ما ذكره المفسرون عن بعض من آيات القرآن جاءت على وزن الشعر ، وهى ليست من الشعر فى شىء كقوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله « وجفان كالجواب ، وقدور راسيات » إلى غير ذلك من الآيات [٣] .

وعلى ذلك يمكننا أن نؤكد أن قول الرسول (ص) الشعر إنشاء منه أمر مستبعد تماما ، ولا يمكن ثبوته ، حتى لو افترضنا صحة قوله لبيتى الرجز السابقين ، لأن كل بيت منهما قيل على أنه نثر مسجوع على جزئين ، وأنه ليس بشعر وإن وافق وزن الشعر ، وهذا المقدار من الوزن يوجد فى جميع أنواع الكلام ، ولا أحد فى الأرض يجعل ذلك شعرا [٤] وهذه حقيقة تلتقى مع مفهوم الآيه الكريمة التى تنفى عن الرسول (ص) تعلم الشعر ، وتنزهه عن قوله ، وتتقارب أو تتفق معها فى المضمون والهدف ، والمماراة فى ذلك أمر يتسم بالتعسف ، ولا يستقيم مع المنطق العلمى السليم .

---

(١) نفسه جـ ١٥ ص ٥٣ .

(٢) نفسه جـ ١٥ ص ٥٥ . والعمدة لابن رشيق جـ١ ص ١٢٣ .

(٣) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٥٤ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ص ٢٨٩ تحقيق السندوبى ط ٣ ; والعمدة لابن رشيق جـ١ ص ٢٧ ط ١٩٣٤ .

الرسول (ص) وإنشاد الشعر :

وإذا نظرنا إلى الجانب الثانى من صلة الرسول (ص) بالشعر وهو الإنشاد ، وجدنا أنه لم يكن يقيم وزن البيت من الشعر حين يتمثل به أو ينشده ، وهذا مما يزيد حقيقة عدم إنشائه للشعر تأكيدا وثبوتا . وقد وردت أخبار كثيرة عن كيفية إنشاده لأبيات من أشعار بعض الشعراء . من ذلك ما ذكره ابن هشام فى السيرة ، قال : حدثنى بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله (ص) فقال له الرسول : أنت القائل :

فأصبح نهبى ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع . فقال رسول الله : هما واحد ، فقال أبو بكر الصديق : أشهد أنك كما قال الله تعالى «وما علمناه الشعر وما ينبغى له »(١) .

وروى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان رسول الله يتمثل من الشعر ببيت أخى بنى قيس طرفة العبدى فيقول :

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ من لم تُزود بالأخبار

فقال أبو بكر : ليس هكذا يا رسول الله ، فقال : إنى لست شاعرا ، ولا ينبغى لى » (٢) .

وروى أنه سئل يوما عن يكون أشعر الناس فقال : الذى يقول :

ألم ترياني كلما جئتُ طارقا وجدت بها وإن لم تطيّب طيبا

ورواية البيت الصحيحة :

---

(١) سيرة ابن هشام ق ٢ ص ٤٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٠١ .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٨٣ وتفسير القرطبي ج ١٥ ص ٥١ ، وتفسير الرازى ج ٣ ص ١١ وأرا جيز العرب للبكرى ص ٣ والزينة لأبى حاتم الرازى ص ٩٨ .

ألم تريانى كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيَّب[1]

وحينما قام الرسول (ص) ببناء مسجده بالمدينة، كان يعمل بيديه، والمسلمون يعملون معه وهم يقولون :

لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة اللهمّ ارحم الأنصارَ والمهاجرة

وأن الرسول كان يقول :

لاعيشَ إلا عيشُ الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار[2]

وفى رواية أخرى أنه كان يردد عجز البيت فقط بالصيغة غير الموزونة : « اللهم ارحم المهاجرين والأنصار »[3] .

وهناك روايات تذكر أنه كان ينشد صدر البيت ويسكت عن سائره، وقد ينشد عجز البيت دون صدره ؛ من ذلك ماروى عن الحسن بن أبى الحسن أن رسول الله كان يتمثل بهذا الشطر من البيت :

كفى بالإسلامِ والشّيبِ للمرءِ ناهيا .

فقال أبو بكر : يارسول الله، إنما قال الشاعر :

كفى الشّيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا .

ورسول الله ينشده كما فعل أولا، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله، ما علمك الشعر وما ينبغى لك[4] .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص٥١ - ٥٢ وأراجيز العرب للبكرى ص٣، وإعجاز القرآن للرافعى ص٣٢٣ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ٣ ص٢١٥ .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر جـ٣ ص ٣٣٥ وإعجاز القرآن للرافعى ص٣٢٣ .

(٤) طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٣٨٣ .

وكان يتمثل أحيانا بشطر صحيح من البيت دون أن يكمله بالشطر الآخر حتى لا يكون شاعرا ، كما فعل ببيت لبيد بن ربيعة حيث قال : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

أَلاَ كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ . . . . ولم يكمل البيت .[1]

كما كان يتمثل بقول الأعشى المازني عند مقدمه عليه بقوله :

أَخلَفتِ العهدَ ولطَّتْ بالذَّنب وهنَّ شرُّ غالبٍ لمن غلبْ

فجعل النبي الكريم يتمثل بقوله « وهن شر غالب لمن غلب »[2] .

وهناك مواقف أخرى للرسول (ص) مع الشعر ، تبين أنه حين كان يريد الاستماع إلى بيت أو أبيات ، يبدأ بالكلمة الأولى ليتم الشاعر ما يريد ، أو أو لينشد أحد من صحابته ما يرمي إليه من شعر ، روى ، أن عبد الله بن رواحة استأذنه في هجاء أبي سفيان بن الحارث ، والدفاع عن أعراض المسلمين ، فقال له : أأنت الذي يقول : فثبت الله . . . ؟ ولم يتم البيت ، فأنشده عبد الله . ولما وثب كعب بن مالك مستأذنا بهجاء أبي سفيان بن الحارث وقريش ، قال له : أنت الذي تقول : همت . . . ؟ فقال : نعم ، ثم أنشد البيت[3] .

وربما أشار إلى أبي بكر ، أو إلى غيره من أصحابه لينشد بيتا أو أبياتا لشاعر معين ، دون أن يذكر شيئا من هذا الشعر ، من ذلك أنه سأل كعب بن زهير عندما مثل بين يديه : أنت الذي تقول ؟ والتفت إلى

---

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٥٣ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٤٩ ، وتفسير القرطبي ج ١٣ ص١٤٨ ، والأغاني ج ١٥ ص ٢٨ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٥٥ .

(٣) الإسلام والشعر للدكتور يحيى الجبوري ص ٤٧ .

أبي بكر الصديق يسأله : كيف قال يا أبا بكر ؟ فأنشده أبو بكر شعرا لكعب حتى إذا بلغ إلى قوله :

سقاك أبو بكر بكأس رويّة وأنهلك المأمونُ منها وعلّكا

فقال رسول الله : مأمون والله(١) .

كل هذه الأخبار والروايات تبين لنا إلى أى مدى كان الرسول(ص) يتحرج من إنشاد الشعر ، فى بعضها رأيناه ينشد البيت بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها ، حتى لا يقيم وزنه ، وفى مواقف أخرى رأيناه يكتفى بإنشاد شطر واحد من البيت، ولا يتمه حتى لا يكون شعرا ، أو يذكر كلمة منه ليتمه غيره ، أو يسأل أحد صحابته لينشد ما يريده .

وننتقل إلى قضية أخرى فى إنشاد النبى (ص) للشعر ، وهى إنشاد البيت الكامل المستقيم الوزن ، فقد وردت بعض الروايات التى تفيد أنه ربما أنشد البيت المستقيم فى النادر ، إذ روى القرطبى أنه أنشد بيت عبد الله ابن رواحة :

يبيتُ يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجع(٢)

وأورد المقريزى أنه أنشد فى حفر الخندق ، وهو يحمل التراب فى المكاتل والقوم يرتجزون :

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبرّ ربنا وأطهر(٣)

وفى رواية أخرى أنه أنشد هذا البيت فى بناء مسجد المدينة(٤) .

---

(١) ديوان كعب بن زهير فى التقديم لقصيدته « بانت سعاد »

(٢) تفسير القرطبى ج ١٥ ص٥٢ .

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزى ج ١ ص ٢٢٠ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٧ .

وأورد ابن حجر فى حديث عكرمة عن ابن عباس أن النبى (ص) أنشد قول أمية بن أبى الصلت :

زُحَلٌ وثورٌ تحت رجل يمينه والنسرُ للأخرى وليثٌ يُرصد

فقال : صدق هكذا صفة حملة العرش (١) .

وأورد البغدادى أن الرسول(ص) أنشد قول سحيم عبد بنى الحسحاس :

الحمد لله حمداً لا انقطاع له فليس إحسانُه عنا بمقطوع (٢)

وذهب الرافعى إلى أن النبى(ص) لم يكن يتمثل بأكثر من البيت الواحد من الرجز كبيت أمية :

إنْ تغفر اللهمَّ تغفرْ جمّا وأىّ عبدٍ لك لا ألمّا (٣)

وإذا كانت هذه الروايات قد ذكرت إنشاد النبى (ص) للبيت الواحد المستقيم الوزن ، فهناك رواية أخرى أوردها ابن هشام فى السيرة تفيد ، أنه كان يتمثل بثلاثة أبيات كاملة لعبد الله بن رواحه فى غزوة الأحزاب ، وهى قوله :

لاهمّ لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلنْ سكينةً علينا وثبّتْ الأقدامَ إن لاقينا

والمشركون قد بغَوْا علينا وإنْ أرادوا فتنةً أبينا (٤)

هذا مجمل الروايات التى وردت فى المصادر ناسبة إلى النبى (ص) إنشاد البيت الكامل المستقيم الوزن ، أو ما هو أكثر من بيت . ولكننا لا ينبغى أن نأخذ بما أوردته هذه الروايات دون تحقق وتمحيص ، حتى يمكننا

(١) الإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٣٣ .

(٢) خزانة الأدب للبغدادى ص ٢٧٣ ط بولاق .

(٣) إعجاز القرآن للرافعى ص ٣٢٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ق ٢ ص ٣٢٨ .

أن نقف على صحيح القول ، ونتعرف على سليم الرأى . والملاحظ أن بعض العلماء الذين أوردوا هذه الروايات تتناقض أقوالهم فى هذه القضية ، من ذلك أن ما ذكره القرطبي — مقدما لبيت أنشده الرسول (ص) لعبد الله ابن رواحة — أنه ربما أنشد البيت المستقيم فى النادر ، فقوله هذا يتناقض مع قول آخر له : « وكان إذا حاول إنشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه ، وإنما كان يحرز المعنى فقط »[1].

وكذلك ما ذكره الرافعى من أن النبى (ص) لم يكن يتمثل بأكثر من البيت الواحد من الرجز ، مناقضا بذلك قوله فى موضع آخر : « كان الرسول لا يتهدى إلى إقامة الوزن ، إذا هو تمثل بيتا من الشعر ، بل كان يكسره ويتمثل البيت مكسوراً ، وذلك لا يعرض لأحد من الناس فى كل حالاته ، عربيا كان أو أعجميا ، فقد يتمتع المرء فى بيت من الشعر ينساه أو يفنى الكلمة منه ، فلا يقيم وزنه لهذه العلة ، ولكنه يعرف أبيات كثيرة مما يحفظه ويحسن قراءته »[2].

أما ما أورده المقريزى من إنشاد الرسول (ص) لبيت من الرجز فى حفر الخندق ، والقوم يرتجزون به ، فقد رده محقق كتابه الأستاذ محمود شاكر معلقا عليه بقوله : « هذا كلام لم أجده فيما بين يدى من أصول الكتب ، ولا أدرى ما هو »[3].

ومن محصلة هذه الأقوال يعترينا كثير من الشك فى تلك الروايات التى نسبت إلى النبى (ص) إنشاده لأبيات مستقيمة الوزن من الرجز أو الشعر ،

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٥٥ .
(٢) إعجاز القرآن للرافعى ص ٣٣٤ .
(٣) انظر حاشية ص ٢٢٠ جـ ١ من إمتاع الأسماع للمقريزى .

وإذا قارنا هذه الروايات بما يناقضها من الروايات الأخرى التى سبق ذكرها ، والتى تنفى إنشاد النبى (ص) لبيت مستقيم الوزن ، أو بيت كامل الشطرين ، وتعقيبه أو تعقيب أحد صحابته على ذلك ، بأنه لم يعلمه الله الشعر ، وأن ذلك لا ينبغى له ، تذكيرا بما أكدته الآية الكريمة ، تبين لدينا صحة هذه الروايات النافية عنه إنشاد أبيات مستقيمة الوزن ، وزاد شكنا فيما نسب إليه من إنشاد تلك الأبيات الصحيحة الموزونة .

وإذا أضفنا إلى ذلك ما سبق أن أشرنا إليه من آراء علماء اللغة والأدب بخصوص إنشاد أبيات الرجز ، ومباينتها لمفهوم الشعر ، وإن جاءت على وزنه ، وكذلك إذا أخذنا فى الاعتبار الظروف التى أنشدت فيها بعض هذه الأبيات ، كبناء المسجد فى المدينة ، أو حفر الخندق فى غزوة الأحزاب وأن القوم كانوا يرتجزون بها وهم يعملون ، وأن النبى (ص) كان يعمل معهم ، وربما ردد معهم ما ينشدونه من قبيل التشجيع لهم ، وإثارة الحمية والحماس فى نفوسهم ، فالإنشاد فى مثل هذه الظروف إنشاد جماعى ، وليس إنشادا تفرد به الرسول (ص) وحده ، والعامل هنا فى إقامة وزن الأبيات هو الإنشاد الجماعى ، ولا ينبغى إرجاعه إلى النبى (ص) نفسه ، ومن ثم لا يكون فى موقفه من إنشاد الشعر تغير ذو أهمية تذكر .

أما بالنسبة للأبيات الأخرى من الشعر أو الرجز التى أنشدت فى غير هذه الظروف أو المناسبات الجماعية ، وهى لا تتجاوز أربعة أبيات منفردة أو متناثرة ، لو افترضنا جدلا صحة هذه الروايات التى نسبت إليه إنشادها مستقيمة الوزن ، فإن ذلك لا ينبغى أن يقودنا إلى القول بتغير موقفه من الشعر عن النحو الذى طبعه الله به ، لأنه بشر رسول ، وهو فى جانب الرسالة معصوم من الخطأ والنسيان ، وفى جانب البشرية يجوز عليه ما يجوز على البشر

وإن كان فى أرقى صور البشرية وأمثلها ، وكما لا ينسلخ عن بشريته بحكم القرآن الكريم ، كذلك لا ينسلخ عن عروبته ، والشعر للعربى جبلة وسجية لا تفارق طبيعته (١) . كما يوضح ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين » (٢) لذلك أبقى الله على جبلته العربية المطبوعة بالشاعرية ، وإن جنبه قول الشعر إنشاء أو إنشادا فى عامة أحواله لحكمة أرادها الله — كما سبق أن فصلنا فيها القول — وما دامت حكمة الله قد آتت ثمارها ، وأبعدت عنه تماما كل الادعاءات الرامية إلى وسمه بأنه شاعر ، وما قد يترتب عليها من عواقب تمس شخصه ، وتمس ما جاء به من وحى منزل ، فلا ضير إذن من أن يجرى على لسانه إنشاد هذه الأبيات القليلة بل النادرة ، والتى لا تعد شيئا يذكر بالنسبة لأى عربى آخر ، وإن تنفهم من طبيعته التى عرف واشتهر بها فى علاقته بالشعر .

تذوقه للشعر وتأثره به :

ولا ينبغى أن يقودنا موقف الرسول (ص) من إنشاء الشعر وإنشاده بنفسه أو بلسانه إلى فهم خاطئ فى تذوقه للشعر ، فقد يتبادر إلى الذهن أن ثمة قطيعة كاملة بينه وبين الشعر ، وأنه يبغضه بغض الكاره الجافى ، ولا يستسيغه أولا يقبل على سماعه حين ينشد أمامه . إذ أن واقع الأمر الذى تثبته الأخبار والروايات ينافى ذلك تماما .

والأمر الطبيعى الذى يتفق مع سجية العربى وجبلته ، أن يتذوق الشعر تذوقا يمتعه ، ويعجب بفنيته إعجابا يبلغ منه أعماق النفس ، والرسول (ص) كان من أفصح العرب ، وقد جمعت له أسباب البلاغة ، وأوتى من البيان

(١) انظر دور الشعر فى معركة الدعوة الإسلامية لعبد الرحمن خليل إبراهيم ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

(٢) العمدة لابن رشيق جـ ١ ص ٢٩ .

منزلة رفيعة في كلامه يأتي بالمنزلة العالية لكلام الله عز وجل ، وبذلك تضافرت لديه مقومات الذوق الرفيع ، الذي يميز به جيد الكلام من رديئه ، ويستشعر به جميل القول من قبيحه ، والشعر من فنون القول التي استوعبت الكثير من آيات الإبداع البشرى ، بل هو عند العرب الفن الرئيسى الذى صبوا فيه كل طاقات فصاحتهم وبلاغتهم وإبداعهم ، فليس غريبا إذن أن يكون له في نفس النبى (ص) موقع إعجاب وتأثير ، وأن يكون تذوقه له كما يقول الخليل بن أحمد : « كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام ، ولكنه لا يتأتى له »(١) .

وتتوارد كثير من الروايات التى تبين حب النبى (ص) للشعر ، وإقباله على سماعه ، وبصره بجودته وقيمته الأدبية والفنية ، وعلمه بروايته الصحيحة ، واستنشاده لصحابته وما يحفظون منه ؛ من ذلك ما رواه السيوطى « أن أبا وداعة قال : رأيت رسول الله وأبا بكر عند باب بنى شيبة ، فمر بهما رجل وهو ينشد :

يا أيها الرجلُ المحوّلُ رحلَهُ ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلتَ برحلهم منعوك من عُدم ومن إقتار

فالتفت رسول الله إلى صاحبه فقال : أهكذا قال الشاعر ؟ قال : لا والذى بعثك بالحق ، ولكنه قال :

يا أيها الرجلُ المحوّلُ رَحْلَهُ ألا نزلتَ بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلتَ برحلهم منعوك من عُدم ومن إقراف
الخالطين فقيرَهم بغنيِّهم حتى يعود فقيرُهم كالكافى
ويكلّلون جفانَهم بسديفهم حتى تغيبَ الشمس فى الرجّاف

(١) تفسير القرطبى حـ ٥ ، ص ٥٢ .

فتبسم رسول الله وقال : هكذا سمعت الرواة ينشدونه»[1] . وفى ذلك دليل على علمه برواية الشعر ، وسؤاله لأبى بكر إنما هو من قبيل التأكد من صحة ما يعلمه حين سمع الأبيات تنشد محرفة عن وجهها الصحيح ، ولما يشأ هو أن ينشدها مصححة بلسانه التزاما منه بموقفه من الشعر .

ومن الأمثلة الدالة على علمه بالشعر وروايته ما نراه فى خبر آخر ، روى «أن سودة زوج النبى (ص) أنشدت :

ألا مَن رأى العبدين أو ذُكِرا له عدىٌّ وتَيمٌ تبتغى من تُحالف

فظنت عائشة وحفصة أنها تعرض بهما ، لأن عائشة من تيم وحفصة من عدى ، فجرى بينهن كلام فى هذا المعنى ، فأخبر النبى فدخل عليهن وقال : ياويلكن ، ليس فى عديكن ولا تيمكن قيل هذا ، إنما قيل فى عدى تيم وتيم تيم» .[2] فعلمه الصحيح برواية الشعر هو الذى مكنه من إزالة الخلاف وسوء الظن بين زوجاته .

ومما يبين حبه للشعر ، ورغبته فى سماعه ما رواه أبو الفرج فى الأغانى «أن الرسول جلس فى مجلس ليس فيه إلا خزرجى ، ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم (الأوسى) يعنى قوله :

أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهب لعمرةَ وحشاً غير موقف راكب

فأنشد بعضهم إياها ، فلما بلغ إلى قوله .

أجالدُهمْ يوم الحديقة حاسراً كأن يدى بالسيف مِخراقُ لاعب

---

(١) المزهر للسيوطى ص ٣٣٥ . والسديف : شحم السنام . والرجاف : البحر .

(٢) دلائل الإعجاز للجرجانى ص ٢٧ .

فالتفت إليهم رسول الله فقال : هل كان كما ذكر ؟ فشهد له ثابت بن قيس ابن شماس وقال له : والذى بعثك بالحق يارسول الله ، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مورّسة ، فجالدنا كما ذكر »(١) .

وكان إذا جلس بين أصحابه ، ربما سألهم عما يحفظون من الشعر ، ومن ذلك « أنه سأل العلاء بن الحضرمى يوما : هل تروى من الشعر شيئاً ؟ فأنشده :

حىِّ على الأضغان تسب عقولهم   تحيتُك الحسنى وهل يُرفع النّغَلْ

فإن دَحسوا بالكرْه فاعفُ تكرُّماً   وإن خَنَسوا عنك الحديثَ فلا تسلْ

فإن الذى يؤذيك منه سماعُه   وإن الذى قالوا وراءك لم يُقل

فقال النبى (ص) : إن من الشعر لحكما أو حكمة »(٢) .

وقال مسلم الخزاعى : « كنت عند رسول (ص) وهنشد ينشده :

لا تأمنَنّ وإن أمسيتَ فى حرَمٍ   حتى تلاقىَ ما يَمنى لك المانى

فالخيرُ والشرُّ مقرونان فى قرَنٍ   بكلٍّ ذلك يأتيكَ الجديدان

فقال النبى (ص) : لو أدرك هذا الإسلام ! »(٣) .

وروى عمرو بن الشريد عن أبيه قال : « ردفت وراء النبى (ص) فقال : هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء ؟ قلت : نعم ، قال هيه ، فأنشدته

---

(١) الأغانى ج ٢ ص ١٦٢ — والمراد المذاهب : تتابعها ، وهى جلود كانت تذهب ، واحدها مذهب .

(٢) العمدة ج ١ ص ١٧٠ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٣٥ ومعجم الشعراء ص ٢٩٦ .

(٣) الفائق للزمخشرى ج ٣ ص ٥٢ — يمنى : يقدر لله ، ومنه المنية : يريد حين تلاقى ما يقدره الله لك . والبيتان لسويد بن عامر .

بيتا ، فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتا ، قال : هيه ، حتى أنشدته مائة بيت ، فقال : لقد كاد يسلم فى شعره » وفى رواية أن الرسول (ص) لما سمع شعره :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا   بالخير صبّحنا ربى ومسّانا

حتى بلغ قوله :

يارب لا تجعلنّى كافراً أبدا   واجعل سريرة قلبى الدهر إيمانا

قال رسول الله (ص) : آمن شعره وكفر قلبه »[1] .

وعندما قدمت الخنساء — شاعرة بنى سليم — المدينة على النبى (ص) فى وفد من قومها ، لتبايعه على الإسلام ، استنشدها ، فأنشدته ، فعجب من شعرها ، واستزادها وهو يقول : هيه ياخناس ، ويومئ بيده[2] .

وروى الترمذى عن جابر بن سمرة قال : « جالست النبى أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت ، وربما تبسم معهم[3] » .

وفى مجلس من مجالسه أنشده أحد الصحابة شعر عنترة العبسى الذى يقول فيه :

بكرت تخوفنى المنون كأننى   أصبحت عن غرض المنون بمعزل

حتى وصل إلى قوله : [illegible]

---

(١) الأغانى ج٣ ص ١٨٧ ، والشعر والشعراء ص ٢٠٧ ، والإصابة ج٢ ص [illegible] ، وخزانة الأدب ج١ ص ١١٩ ، والاشتقاق ج١ ص ٢٨٩ ، وأبجد العلوم ص ٢٠٧ ، وتفسير القرطبى ج ١٣ ص ١٤٥ وفيه يقول : وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم « عن عمرو بن الشريد » دون إسناد الرواية إلى أبيه . وهو وهم ، لأن الشريد هو الذى أردفه رسول الله .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ٢٧ ، وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٢٠٨ .

(٣) تفسير الخازن ج ٥ ص ١٦٦ ، وأبجد العلوم للقنوجى ص ٢٠٣ .

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلّه   حتى أنالَ به كريمَ المأكل

فقال الرسول (ص): ما وصف لى أعرابى قط ، فأحببت أن أراه إلا عنترة[١].

وكان إذا خرج فى غزوة أو سفر يستنشد أصحابه ليستروح بسماع الشعر ، وفى إحدى هذه المرات سأل عن حسان بن ثابت ذات ليلة ، فقال حسان : « لبيك يارسول الله وسعديك ، قال : احدُ ، فجعل ينشد والرسول يصغى إليه ، فمازال يستمع إليه وهو سائق راحلته ، حتى كأن رأس الراحلة يمس الورك ، حتى فرغ من نشيده ، فقال النبى : لهذا أشد عليهم من وقع النبل »[٢]

وروى سلمة بن الأكوع قال : « خرجنا مع النبى إلى خيبر ، فقال لعامر ابن الأكوع : انزل يابن الأكوع فخذ لنا من هناتك : فارتجز يقول :

والله لولا أنتَ ما اهتدينا   ولا تصدَّقنا ولا صلينا

إنّا إذا قومٌ بغَوا علينا   وإن أرادوا فتنةً أبينا

فأنزلنْ سكينةً علينا   وثبت الأقدامَ إن لاقينا

فقال رسول الله (ص) : رحمك الله ، فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله لولا أن متعتنا به[٣] » .

ولم يكن الرسول (ص) يستنشد صحابته فحسب ، بل ربما استنشد

(١) الأغانى جـ ٨ ص ٢٤٣ .

(٢) نفسه جـ ٤ ص ٦ .

(٣) صحيح البخارى جـ٥ ص ١٦٦ ، وصحيح مسلم جـ٥ ص١٨٦ ، وأبجد العلوم للقنوجى ص ٢١٠ .

إحدى أزواجه ، فقد حدثت عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله (ص) كان كثيرا ما يقول لها : أبياتك : فتقول :

ارفعْ ضعيفك لا يَحِرْ بك ضعفُه يوما فتدركَه عواقبُ ما جنى
يَجزيك أو يثني عليكَ وإنّ مَن أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جَزى

فقال : ردى علىّ قول اليهودى قاتله الله ، لقد أتانى جبريل برسالة من ربى : أيمــا رجــل صنع إلى أخيــه صنيعة ، فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه (١) » .

ومن هذه الروايات نرى أن الرسول (ص) كان يحب سماع الشعر ، ويستنشد صحابته ما يروون منه ، فيطيب نفسه بسماعه ، ويبدى إعجابه بما يتضمنه من قيم الفروسية والشجاعة وكريم الأخــلاق ، ومعانى الحكمة والإيمان والخير ، سواء كان قائله جاهليا لم يعرف الإسلام ، أو مسلما آمن برسالته ، لأن هذه المعانى توافق تعاليم الإسلام ومبادئه المثلى ، التى يهدف إلى غرسها فى نفوس المسلمين .

وكما كان الشعر موقع الإعجاب والرضا من نفسه ، فقــد كان تأثيره فيه يتجاوز أحيانا الحــد ، فيثير عاطفته ويشجيه ، بل يبكيه ، روى القرطبى « أن رجلا جاء ، يشكو أباه إلى رسول الله ، ويدعى أنه أخذ ماله ، فقال له الرسول : فأتنى بأبيك ، فلما مثل الشيخ بين يدى رسول الله ، استأذنه أن ينشده أبياتا قالها فى ابنه ، فأذن له ، فقال :

غَذَوْتُك مولوداً وعُلتُك يافعاً تُعلُّ بما أجنى عليك وتَنْهلُ

---

(١) الأغانى جـ ٣ ص ١١٧ ، والعقد الفريد جـ ٥ ص ٢٧٥ ، ودلائل الإعجاز ص ١٦ .

إذا ليلةٌ ضافتك بالسُّقم لم أَبِتْ … لسُقْمِك إلا ساهراً أتململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى … طُرِقْتَ به دونى فعينى تهملُ
تخافُ الرَّدَى نفسى عليك وإنها … لتعلمُ أن الموتَ وقتٌ مؤجَّل
فلما بلغتَ السنَّ والغايةَ التى … إليها مدى ما كنت فيك أؤَمِّلُ
جعلتَ جزائى غلظةً وفَظاظةً … كأنك أنت المنعمُ المتفضِّل
فليتك إذ لم ترعَ حقَّ أبوَّتى … فعلتَ كما الجارُ المصاقبُ يفعل
فأوليتنى حقَّ الجوار ولم تكنْ … علىَّ بمالٍ دون مالِكَ تبخل

فبكى رسول الله ، ثم أخذ بتلابيب ابنه وقال : أنت ومالك لأبيك »[1].
ولا شك أن تأثير هذه الأبيات الذى بلغ من نفس رسول الله (ص) درجة الإبكاء ، لم يقف عند حد حق الوالد على ابنه ، فهذا أمر يعرفه الرسول (ص) حق المعرفة ، ولكن تصوير الوالد لهذا الحق ، وحسن تبيانه له فى شعره ، هو الذى أثار عاطفته ، وأجج انفعاله حتى أبكاه .

ومن ذلك أيضا ما رواه صاحب الجمهرة بإسناده عن سعيد بن المسيب أنه قيل له : « إن قبيصة[2] يزعم أن الخليفة لا يناشد الأشعار ، فقال سعيد ، ولم لا يناشد الأشعار ، وقد نوشد رسول الله (ص) ؟ قدم إليه عمرو بن سالم الخزاعى ، وكانت خزاعة حلفاء له ، فلما كانت الهدنة بينهم وبين قريش ، أغاروا على حى من خزاعة يقال لهم بنو كعب فقتلوا فيهم ، وأخذوا أموالهم ، فقدم عمرو على النبى (ص) مستنصرا به فقال : [illegible]

(١) تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٢٤٥ ، وأبجد العلوم للقنوجى ص ٢٠٤.
(٢) هو قبيصة بن ذؤيب ، تابعى من الفقهاء الوجوه توفى سنة ٨٦ هـ (تهذيب الأسماء ٢/٥٦).

يارب إنى ناشدٌ محمدا حلفَ أبينا وأبيه الأتلدَا
نحن ولدناهم فكانوا ولدا ثُمّتَ أسلمنا فلم ننزعْ يدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقَك المؤكّدا
ونصبوا لى فى كَداءٍ رُصّدا وبيّتونا رُكّعـا وسُجّدا
وقتّلونا بالوتير هُجّدا وزعموا أنْ لستَ تدعو أحدا
وهمْ أذلُّ وأقلّ عددا فانصرْ هداكَ اللهُ نصراً أيّدا
وادعُ عبادَ الله يأتوا مَددَا فيهم رسولُ الله قد تجرّدا
فى فيلقٍ كالبحر يجرى مُزبِدا إن سِيمَ خسفًا وجهُه تربّدا

قال : فدمعت عينا رسول الله (ص) ونظر إلى سحابة قد بعثها الله تعالى ، فقال : والذى بعثنى بالحق نبيا إن هـذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب وخرج بمن معه لنصرهم »[1] .

وواضح من هذا الخبر مدى تأثره بما أنشد بين يديه من شعر أثار عاطفته فدمعت عيناه ، وإن كان ذلك لا يعنى أنه قرر الخروج لنصرة خزاعة كرد فعل لتأثره العاطفى ، لأن الحلف الذى كان بينه وبينها يحتم عليه أن ينصرها ، فهو أولى الناس وفاء بالعهد .

وكان سماعه لقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) فى مسجده — بعد أن كان قد أهدر دمه — وإعجابه بها ، دليلا على تأثره البالغ بروعة الشعر وبلاغته ، فيروى أن كعبا لما وصل فى إنشاده إلى قوله :

---

(١) ورد هذا الخبر دون ما تقدمه من رد سعيد بن المسيب على زعم قبيصة بسيرة ابن هشام ق ٢ ص ٣٩٤ والروض الأنف ج ٢ ص ٢٦٥ والاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٣ ، والإصابة ج ٢ ص ٥٢٩ وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٣٤ بقريب من هذه الألفاظ .

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به   مهنّدٌ من سيوف الله مسلول
في فتية من قريشٍ قال قائلُهم   ببطنِ مكةَ لما أسلموا زولوا

أشار الرسول (ص) إلى الخلق أن اسمعوا شعر كعب (١) إعجابا به ، وكان من إكرامه له ، وتقديره لبراعة قوله أن خلع عليه بردته ، وفى ذلك تأكيد لعفوه عنه ، بل إسباغ حمايته عليه ضد من يعاديه ، حسبما يفهم من ذلك التقليد الذى كان معروفا عند العرب منذ العهد الجاهلى (٢).

تشجيعه للشعراء المسلمين .

ومن خلال هذه الأحاسيس المرهفة بفنية الشعر ، وقوة تأثيره فى النفوس وشدة أسرة للأفئدة ، كان رسول الله (ص) يعرف مدى خطورته على دعوته الإسلامية ، ومدى ما يمكن أن يقدمه من نصرة لها ، ولم يكن أعداء الإسلام يتورعون عن استخدام أى سلاح لمحاربة هذه الدعوة ، فكان الشعر هو سلاحهم الدعائى أو الإعلامى لتشويه حقيقتها ، والتهوين من أمرها ، وهجاء القائمين عليها ، للتصغير من شأنهم فى نفوس العرب ، فلم يكن بد أمام الرسول (ص) وصحابته من مجابهة هذا الخطر ، ومقارعة هذا السلاح بسلاح من معدنه ، ومن ثم كان حثه للشعراء من الأنصار أن يقوموا بواجبهم فى هذا الميدان ، روى صاحب الأغانى « أن رجلا أتى رسول الله فقال : يا رسول الله ، ائذن لعلىّ كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا (يعنى شعراء المشركين) قال : ليس هناك أو ليس عنده ذلك ، ثم قال للأنصار :

(١) الأغانى ج ١٥ ص ١٤٣ ، وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٣ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٠٤ — ١٠٥ ، وبلوغ الأرب للألوسى ج ٣ ص ١٣٤ ، ونقد النثر لقدامة ص ٦٧ .
(٢) انظر مقدمة ديوان كعب بن زهير بالإنجليزية لفريدريك كرنكو ص ٧ .

ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم[١] ».
وحث حسان بن ثابت على قول الشعر ، ردا على شعراء المشركين ، وأمره أن يذهب إلى أبي بكر الصديق ، ليحدثه حديث القوم وأيامهم وأحسابهم[٢] لتتوفر لديه مادة الهجاء .

ولم يلبث أن دخل الميدان مع حسان شاعران آخران من الأنصار ، هما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ، يروى عن النبى (ص) أنه قال : «أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى »[٣] .

وتعهد النبى (ص) شعراءه بالرعاية والتشجيع ، وحرص على تقوية دوافع الشعر فى نفوسهم ، فكانوا يقولون الشعر فى المشركين ، ويعرضونه عليه[٤] .
وبلغ من احتفاله بالشعر كسلاح من أسلحة الجهاد فى سبيل الله ، أنه « كان ينصب لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد ، يقوم عليه قائما ، يفاخر عن رسول الله (ص) ويؤيده ، ورسول الله يقول : إن الله يؤيد حسان بن ثابت بروح القدس مانافح عن رسول الله »[٥].

وجاء فى حديث الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن كعب بن مالك قال : يارسول الله ، ماذا ترى فى الشعر ؟ فقال رسول الله :

---

(١) الأغانى ج ٤ ص ٤ .
(٢) نفسه ج ٤ ص ٦ .
(٣) نفسه ج ٤ ص ٦ وانظر الحديث عن عائشة مطولا فى صحيح مسلم ج ٤ ص ١٤٦ ودلائل الإعجاز ص ١٧ .
(٤) دلائل الإعجاز للجرجانى ص ١٣ .
(٥) الكامل للمبرد ص ٧٧٨ ، وأسد الغابة ج٢ ص٥ ، وسنن أبى داود ج٤ ص٤١٦ ، وأبجد العلوم للقنوجى ص ٢٠٣ .

المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده ، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل . وفى رواية أخرى أنه قال لكعب بن مالك : ما نسى ربك وما كان نسيا شعرا قلته ، قال : وما هو يارسول الله ؟ فقال : أنشده يا أبا بكر ، فأنشده أبو بكر :

زعمت سخينةُ أن ستغلبُ ربها ولَيُغلبن مُغالب الغَلاّب[1]

وفى رواية ابن هشام أن رسول « ص » قال له : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا »[2] .

وقد وجه الرسول (ص) شعراءه فى مواقف عديدة إلى القول دفاعا عن الإسلام ، ودفعا للمشركين بتهديدهم وفضح أفعالهم وكشف مثالبهم ، من ذلك أنه بعث رجلا من الأنصار مع الحارث بن عوف المرى ، ليدعو قومه إلى الإسلام ، وكان الأنصارى فى جوار الحارث ، فوثب عليه رجل من بنى ثعلبة فقتله ، فلما بلغ ذلك رسول الله ندب حسان بن ثابت فقال له : قل فيه . فقال :

ياحارِ من يغدرْ بذمة جاره منكم فإن محمداً لا يغدرُ
وأمانةُ المرِّىّ ما استودعته مثلُ الزجاجة صدعُها لا يُجبر

فجعل الحارث يعتذر ويقول : أنا بالله وبك يارسول الله من شر ابن

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجانى ص ١٧ ، والاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٢٣٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ق ٢ ص ٢٦١ ، وقريب من روايته ما ورد فى الاستيعاب ، إلا أن رواية البيت عند ابن هشام « جاءت سخينة كى تغالب ربها » سخينة : لقب قريش فى الجاهلية، وذكروا أن قصياً كان إذا ذبح ذبيحة أو نحر نحيرة بمكة أتى بعجزها ، فصنع منه خزيرة — وهو لحم يطبخ ببر — فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة (راجع الروض الأنف للسهيلى) .

الفريعة فوالله لومزج البحر بشره لمزجه ، ودفع دية الرجل ففرقها على أهله[1] .

وعندما قدم وفد تميم إلى المدينة ، ليفاخروا الرسول (ص) وأنشد شاعرهم الزبرقان بن بدر قصيدته مفتخرا بقومه ومطلعها :

نحن الكرامُ فلاحيٌّ يعادلنا   منا الملوكُ وفينا تُنصبُ البِيَعُ

وكان حسان غائبا ، فبعث إليه ليرد على شاعر تميم ، فلما حضر وسمع شعره قال له الرسول (ص) : قم ياحسان فأجب الرجل فيما قال ، فقام حسان فقال قصيدته التى مطلعها :

إن الذوائبَ من فهرٍ وإخوتهم   قد بيَّنوا سنَّةً للناس تُتَّبعُ[2]

وكثيرا ما كان الرسول(ص) يستنشد شعراءه ما قالوه من شعر ، زيادة منه فى تشجيعهم ، وحرصا على دفعهم إلى تمثل الروح الإسلامية فى شعرهم ، والتزامهم بالأفكار والمعانى التى تتفق مع مبادئ الحق والخير ، وتهدف إلى تثبيت تعاليم الدين ومفاهيم عقيدته وشريعته ، روى أنه دعا عبد الله ابن رواحة ذات يوم وقال له : « قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك ، فقال عبدالله :

إنى تفرّستُ فيك الخيرَ أعرفه   والله يعلمُ أنْ ما خاننى البصرُ

أنت النبىُّ ومن يُحرمْ شفاعتَه   يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبّت الله من آتاك من حسنٍ   تثبيتَ موسى ونصراً كالذى نُصروا

(١) الاشتقاق ج ١ ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٤٠٩ ، والاستيعاب ج ١ ص ٢٩٧ ، وتاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٣٢ . والأبيات فى الديوان بتحقيق د. سيد حنفى ص ٢٦٢ — ٢٦٣ مع اختلاف فى بعض ألفاظها .

(٢) سيرة ابن هشام ق ٢ ص ٥٦٤ ، والديوان بتحقيق د. سيد حنفى ص ٢٣٨ .

فدعا له الرسول (ص) مشجعا قائلا : وأنت فثبتك الله يابن رواحة »[1]

وروى أنه قال يوما لحسان : «هل قلت فى أبى بكر شيئا ، فقال : نعم ، قال : قل وأنا أسمع . فقال :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد   طاف العدوّ به إذ صعّد الجبلا
وكان حِبّ رسول الله قد علموا   من البرية لم يعدلْ به رجلا

فضحك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه ، ثم قال : صدقت ياحسان هو كما قلت[2] » .

وكان حرصه على أن تشيع المعانى الإسلامية فى الشعر ، يجعله شديد الحساسية تجاه أى معنى يوحى بروح جاهلية متعصبة ، وهذا ما نراه فى موقفه من النابغة الجعدى حين ألقى بين يديه قصيدته التى يقول فيها :

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى   ويتلو كتاباً كالمجرّة نيّرا

فلما بلغ قوله :

بلغنا السماء مجدَنا وجدودَنا   وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال له : « فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنه بك يارسول الله ، قال : قل إن شاء الله . قال : إن شاء الله »[3] وواضح أن النبى (ص)

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص ٩٠٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ج٣ ص ١٧٤ ، والاستيعاب ج ٣ ص٩٦٤ ، وجمهرة أشعار العرب ص ٣١ ، والديوان ص ٣٩٥ .

(٣) الأغانى ج ٥ ص ٩ ، والشعر والشعراء ص ٢٤٨ ، والعمدة ج ١ ص ٢٨ ، ورسائل الجاحظ ج ١ ص ٣٦٣ ، ودلائل الاعجاز ص١٨ ، وبلوغ الأرب للألوسى ج ٣ ص ١٣٨ ، وأبجد العلوم للقنوجى ص ٣ ٢ .

أحس فى قوله نزوعا إلى مآثر الجاهلية ومفاخرها ، فسأله مستفسرا ، وعرف النابغة بفطنته ما يعنيه بسؤاله ، فكان جوابه مغلفا بالروح الإسلامية التى أعجبت النبى (ص) والتى شاعت فى أبيات قصيدته ، مما جعله يثنى عليه ويدعو له بقوله : « أجدت ، لا يفضض الله فاك »(١) .

وشبيه بذلك موقفه من كعب بن مالك ، حين أنشد قصيدته التى يرد بها على هبيرة بن أبى وهب ، ومطلعها :

ألا هل أتى غسانَ عنا ودونهم من الأرض خَرْقٌ سيره مُتنعنعُ

وفيها يقول :

مُجالدنا عن جِذمنا كلُّ فخمة مذرَّبةٌ فيها القوانسُ تلمع

فقال رسول الله (ص) : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ، فقال كعب : نعم . فقال رسول الله (ص) : فهو أحسن ، فكان كعب يقولها كذلك.(٢) وواضح أن كلمة « جذمنا » فيها نزعة قبلية لا يحبذها الإسلام وإبدالها بكلمة «ديننا» فيه إحلال للنزعة الإسلامية التى استهدف الرسول (ص) بها محو نزعة التعصب القبلى وما يكتنفها من روح جاهلية بغيضة . وكان كعب يعد ذلك فضلا للنبى (ص) عليه يفخر به ويقول : ما أعان رسول الله أحدا فى شعره غيرى .

وعندما عرض حسان بالمهاجرين فى شعره ، ولقبهم بالجلابيب كما كان يفعل المنافقون ، ونفس عليهم كثرتهم وعزتهم ، بينما رأى نفسه منفردا مهددا

---

(١) انظر المصادر السابقة نفسها .

(٢) سيرة ابن هشام ق٢ ص ١٣١ — ١٣٦ . متنعنع : مضطرب . الجذم : أصل .

منهم ، لأنه شارك فى حديث الإفك الذى شاع حول عائشة رضى الله عنها ، فقال :

أمسى الجلابيبُ قد عزُّوا وقد كثروا   وابنُ الفريعةِ أمسى بيضةَ البلد

واعترضه صفوان بن المعطل ، وضربه بالسيف ، ودعاهما رسول الله (ص) فقال لحسان: «أحسن ياحسان ، أتشوهت على قومى أن هداهم الله للإسلام»[1] وقد قصد الرسول (ص) بذلك أن يرده عما نزع إليه من نزعة جاهلية ، نسى فيها الأخوة الإسلامية التى ألف بها الله عز وجل بين المهاجرين والأنصار . وما كان من حسان إلا الإقرار بذنبه إذ قال : « هى لك يارسول الله[2] ».

ومع شدة الخصومة والعداء الذى كان بين المسلمين فى المدينة والمشركين فى مكة ، فقد كان الرسول (ص) يتأذى من الهجاء أو الفخر الذى يثير الحفائظ ، ويؤجج الضغائن ، على نحو ما فعل عبد الله بن رواحة حين حقر من شأن قريش فى قوله :

فخبرونى أثمانَ العباء متى   كنتم بطاريقَ أو دانت لكم مضرُ

قال عبد الله راويا : فكأنى عرفت فى وجه رسول الله الكراهية أن جعلت قومه أثمان العباء ، فقلت على الفور :

نجالدُ الناس عن عُرض فنأسرهم   فينا النبىُّ وفينا تنزلُ السورُ[3]

وقد يتدخل الرسول (ص) أحيانا فى نص الشاعر ليبدل كلمة يرى فيها

---

(١) ، (٢) نفسه ق٢ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ، وتاريخ الطبرى جـ٣ ص ٧٠ ، والأغانى جـ٤ ص ١٥٨ ، ومعجم ما استعجم للبكرى ص ٤١٤ ، والديوان ص ١٦٠ .

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٨٧ .

صبغة إسلامية للمعنى ، تزيده جلالا وسموا ، كما فعل مع كعب بن زهير ، وهو ينشده قصيدته المشهورة « بانت سعاد » فلما قال :

إن الرسول لنورٌ يُستضاء به مُهند من سيوف الهند مسلول

طلب منه أن يعدل قوله ليكون « سيوف الله » بدلا من « سيوف الهند »(١) .

وفى إطار هذه الروح الإسلامية كان يبدى رأيه فى أقوال بعض الشعراء . روى أبو هريرة أنه سمع رسول الله (ص) على المنبر يقول : « أصدق كلمة ، أو أشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل »(٢) .

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : قال رسول الله : كلمة حق ألقيت على لسان شاعر : إن القرين بالمقارن مقتدى .. وذلك عند سماعه شعرا لعدى ابن زيد العبادى هو :

عن المرء لا تسألْ وأبصرْ قرينَه فإن القرينَ بالمقارن مقتدى(٣)

فالحكمة التى أوردها عدى فى شعره هى خلاصة تجربة فى العلاقات الاجتماعية التى حرص الإسلام على توجيهها إلى الوجهة الصالحة ، فحث على صحبة الصالحين ، وحذر من صحبة الأشرار . وفى الحديث الشريف المشهور عن الجليس الصالح والجليس السوء مصداق لهذه الحقيقة .

(١) أبجد العلوم للقنوجى ص ٢٢١ .

(٢) صحيح البخارى ج ٥ ص ٥٣ ، وصحيح مسلم ج ٧ ص ٤٩ ، وتفسير القرطبى ج ١٣ ص ١٤٨ .

(٣) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٥٠ .

رفضه للشعر الجافى لروح الإسلام :

ومن هذه الروايات العديدة يمكننا أن نتبين مدى احتفال الرسول «ص» بالشعر كفن أدبى له أثره البالغ فى النفوس ، وكسلاح دعائى له خطره الكبير فى معارك الكلام التى شنها أعداء الإسلام عليه وعلى معتنقيه ، وعلى الرغم من هذا الاحتفال لم يرد للشعر أن يخرج عن حدود المبادئ التى أقرها ودعا إليها الإسلام ، ولم يترك للشعراء الحبل على الغارب ليقولوا ما يشاءون من خير وشر ومن حق وتضليل ، ومن هداية وغواية ، كما كان يفعل شعراء الجاهلية ، وإنما وجههم إلى الطريق الصحيح ، الذى ينبغى أن يسلكوه فكان يقول : « حسن الشعر كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام »(١) ويقول : « إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه »(٢) ومفهوم ذلك أن للشعر عنده اتجاهين :

اتجاه يوافق الخير والحق ، ويلتزم النهج القويم ، وينأى عن الفساد والإسفاف والعبث ، ويهجر الفحش والسباب والنيل من الأعراض ، ويتمثل الأفكار والمبادئ الإسلامية ، ويصدر عن الفطرة الإنسانية السليمة ، ويعبر عن العواطف النبيلة ، والمشاعر الإنسانية الصادقة ، وهذا هو الاتجاه الملائم للمنظور الإسلامى ، فلا ريب فيه ، ولا غبار عليه ، ولذلك يسمعه النبى (ص) ويستنشده ، ويعجب به ويشجع عليه .

واتجاه مقابل لا يوافق الحق ، ولا يرمى إلى الخير ، لأنه من إفراط فى المديح أو إقذاع فى الهجاء ، أو إفحاش فى الغزل ، أو جهالة فى الفخر ، وما

---

(١) تفسير القرطبى ج ١٣ ص ١٥٠ .
(٢) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٩ .

إلى ذلك من ضروب الإفراط والتفريط ، وما يترتب عليه من إيذاء للناس فى أموالهم وأعراضهم ، وإشاعة الفساد فى مجتمعهم ، وإثارة الضغائن والفتن بينهم ، وهذا ما يمقته النبى (ص) ويخشى على أمته من التردى فى أدرانه ، ويربأ بالمسلم عن التلوث بآثامه ، والتخبط فى ضلالات غوايته. روى عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله : خذوا الشيطان ، أو أمسكوا الشيطان — لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه ، خير له من أن يمتلىء شعرا » (1) .

والأمر المنطقى الذى جعل الرسول (ص) يربط ما سمع بالشيطان هو أن يكون ذلك الشعر من النوع المرفوض الذى يأخذ الاتجاه المضاد لقيم الإسلام ومبادئه . ولعل تحذير الرسول (ص) من امتلاء الجوف بالشعر هو أن يكون شعرا من ذلك اللون الشيطانى . وربما كانت رواية الحديث فى بعض المصادر دون ذكر مناسبته ، قد أحدثت لبسا فى فهم المقصود منه ، ولذلك حاول العلماء تفسيره لإزالة هذا اللبس ، إذ فسر فى سنن أبى داود بأن المقصود أن يمتلىء قلبه حتى يشغله عن القرآن وذكر الله (2) . كما جعل البخارى عنوان بابه « باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ، حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن » (3) ، كذلك ذكر ابن رشيق أنه يقصد

---

(1) ورد الحديث مع ذكر مناسبته فى صحيح مسلم ج ٤ ص ٤٤ ، تفسير القرطبى ج ١٣ ص ١٥٠ ، وورد بدونها من أول قوله « لأن يمتلىء » فى صحيح البخارى ج ٨ ص ٤٥ ، وسنن أبى داود ج ٤ ص ٤١٤ وابن ماجة ج ٢ ص ١٢٣٦ بروايات متقاربة . ويريه : من وراء الداء يريه أى أصاب جوفه .

(2) سنن أبى داود ج ٤ ص ٤١٤ .

(3) صحيح البخارى ج ٨ ص ٤٥ .

بذلك من ملك عليه الشعر قلبه ونفسه ، حتى شغله عن أمور دينه ، وأنساه ذكر ربه ، وألهاه عما ينفعه من علم الله وقرآنه الحكيم . أما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة ، وإقامة مروءة ، فلا جناح عليه (١) .

ليس المقصود إذن من هذا الحديث الصد عن الشعر وروايته ، أو كراهية قرضه وإنشاده ، كما نرى في زعم بروكلمان الذى يقول بأن النبي كان شديد الكراهية للشعر والشعراء (٢) وإلا كان في ذلك تناقض واضح بين مواقفه السابقة التي عرضنا لها وبين هذا الزعم الخاطئ ، والحقيقة الواضحة أن كراهيته كانت محصورة في ذلك اللون الشائه الفاسد من الشعر ، ولذلك الشاعر الغوى الداعي إلى الفتنة والشر ، وقد رسم لذلك حدودا مبينة للنهج السليم فقال « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر »(٣) وقال « إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلا ، فهجا القبيلة بأسرها ورجل انتفى من أبيه وزنى أمه »(٤) .

فالرسول (ص) لم يكره من الشعر إلا ما كان منافيا لمبادئ دعوته وقيمها ، ونهيه عن الهجاء المقذع أمر طبيعي يتفق مع ماجاء في القرآن الكريم «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » (٥) . وطبيعي أيضا أن ينهى عن الشعر الذى يداخله مراء أو

---

(١) العمدة لابن رشيق جـ١ ص ٣٢٤ .
(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان جـ١ ص ١٤٥ .
(٣) سنن ابن ماجة جـ٢ ص١٢٣٦ . والعمدة لابن رشيق جـ٢ ص ١٧٠ .
(٤) سنن ابن ماجة جـ٢ ص ١٢٣٦ .
(٥) سورة الحجرات آية ١١ .

تزيد أو تكلف ، وعن كل ما يضارع الرياء والسمعة ، وعن التهاتر والتشاغب ، وعن المماثلة والمغالبة ، ولكنه لم ينه عن نفس البيان .[1] ومن هنا نراه يقول لشعراء المسلمين — حسان وكعب وعبدالله — «انتصروا ولا تقولوا إلا حقا ، ولا تذكروا الآباء والأمهات(ص)»[2] .

وإذا كان الرسول (ص) يلزم شعراءه بنهج الحق في شعرهم ، وبألا يقذعوا في الهجاء ، فيسيئوا إلى الآباء والأمهات ، فليس غريبا أن يؤذيه ما كان يتفوه به شعراء المشركين ، من نهش في أعراض المسلمين تجاوز كل حد ، وليس غريبا أن يهدر دماء الشعراء الذين تمادوا في هـذا الإقذاع المفحش ، لأن قتلهم والتخلص من ألسنتهم ، أفضل بكثير من أن يسمح لشعرائه بالرد عليهم بالأسلوب نفسه ، لأنه إذا سمح بذلك فقد أباح ما يتنافى مع مبادئه ، وعرض منهجه في التربية الإسلامية للتخلخل والانهيار . وأخبار كعب بن الأشرف ، وأبي سفيان بن الحارث ، وعبدالله بن الزبعرى ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي وضرار بن الخطاب الفهرى ، وكعب بن زهير ، ليست عنا ببعيدة ، وإذا كان أمر القتل قد نفذ في كعب بن الأشرف ، فإن أغلب الآخرين قد تاب وأسلم ، فعفى النبي (ص) عنهم وأمنهم .

وهناك بعض الأشعار التي نهى النبي (ص) عنها أو عن روايتها وهي لا تتعدى قصيدتين ، لكل منهما أسبابها التي أدت إلى هـذا النهي ، أولاها : مرثية أمية بن أبي الصلت لقتلى بدر من المشركين والتي مطلعها :

---

(١) البيان والتبين للجاحظ جـ١ ص٢٧٣ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٣ ص ١٥٣ .

ماذا ببــدرٍ فالعقنقل من مرازبة جحاجح[1]

وقد عزا بعضهم سبب النهى عن هذه القصيدة إلى أن الشاعر نال فيها من الإسلام ومن رسوله (ص) وأصحابه. غير أن الجاحظ ذهب إلى زوال النهى عن روايتها بعد زوال علة منعها[2]. والدليل على ذلك أنها وردت فى مصادر السيرة النبوية وفى ديوانه.

أما القصيدة الثانية التى نهى عن روايتها، فهى قصيدة للأعشى البكرى، روى محمد بن مسلمة أن رسول الله قال لحسان بن ثابت يوما «يا حسان، أنشدنا من شعر الجاهلية ما عفا الله منه، فأنشده قصيدة الأعشى فى علقمة بن علاثة التى أولها:

علقمُ ما أنت إلى عامر الناقضِ الأوتارَ والواتر

فقال رسول الله: يا حسان، لا تنشد مثل هذا بعد اليوم، فقال حسان: يارسول الله، ما يمنعنى من رجل مشرك هو عند قيصر أذكر هجاء له؟ فقال: يا حسان، إنى ذكرت عند قيصر، وعنده أبو سفيان بن حرب وعلقمة ابن علاثة، فأما أبو سفيان فلم يشكر فىّ، وأما علقمة فحسن القول، وأنه لا يشكر الله من لا يشكر للناس، فقال حسان: يارسول الله، من نالتك يده، وجب علينا شكره»[3] وواضح أن نهى النبى (ص) عن رواية هذه القصيدة إنما هو موقف إنسانى فيه حفظ لجميل علقمة، الذى ذكره ذكرا حسنا

(١) الأغانى ج٣ ص١٨٧، والخزانة ج٢ ص٤٣، والبيان والتبيين حـ١ ص ٢٩١.

(٢) البيان والتبيين حـ١ ص ٢٩١.

(٣) خزانة الأدب للبغدادى حـ ٢ ص ٤٣، ودلائل الإعجاز للجرجانى ص١٦.

عند قيصر ، فلم ينس له هذا الموقف ، ولم يقبل رواية شعر يسيء إليه ، رغم أنه كان لا يزال على إشراكه ولم يسلم بعد .

هاتان هما القصيدتان اللتان نهى الرسول (ص) عن روايتهما للأسباب التى أشرنا إليها ، ولم يثبت أنه نهى عن رواية شعر غير ذلك ، روى وكيع عن الزهرى قال : « رخص رسول الله (ص) فى الأشعار كلها إلا هاتين الكلمتين ، التى قالها أمية بن أبى الصلت ، والتى قالها الأعشى فى علقمة ابن علاثة »(١) . وهذا النهى لا ينبغى أن يفهم على أنه موقف معاد للشعر عامة أو لشعر الهجاء خاصة ، على نحو مايحاول المتربصون بالإسلام أن يؤولوا ، إذ أنه نهى محدد وموقوت بظروف معينة ، كما قال الجاحظ معلقا على قصيدة أمية . ومن ثم لا يغير هذا النهى شيئا من موقف رسول (ص) من الشعر والشعراء .

وعلى الرغم من موقفه الذى عرفناه من شعر الهجاء ، ونهيه عن الإقذاع فيه ، فقد كان يعفو فى بعض الأحيان ، روى المرزبانى فى معجم الشعراء «أن عياض بن خويلد الأسدى هجا بنى لحيان ، فأتت تشكوه فى حجة الوداع ، فقالوا : يارسول الله هجينا فى الإسلام ، وزعم أن شر مرحل أن نأتيك ، فأعطاهم رسول الله لسانه ، فتكلم فيه رجال من قريش ، فوهبه لهم »(٢) .

أما بخصوص قول الرسول (ص) فى امرئ القيس وشعره : «ذلك رجل

---

(١) خزانة الأدب للبغدادى ج٢ ص٤٣ .

(٢) معجم الشعراء للمرزبانى ص٢٦٨ .

مذكور فى الدنيا ، شريف فيهـا ، منسى فى الآخرة ، خامل فيهـا ، يأتى يوم القيامة معه لواء الشعر إلى النار»[1] . فهذا حـكم على شاعر كان يتمهر فى شعره إلى درجة الإفحاش ، ويتخذ منه وسيلة للعبث الماجن ، واللهو الفاضح ، ويثير به الضغائن والأحقاد والعصبية الجاهلية الممقوتة ، وما إلى ذلك من عنـاصر الفساد والجهـل ، التى كان الرسول (ص) يحرص على محـاربتها ، وتنزيه لسان الشاعر المسلم عن الوقوع فى آثامها أو التلوث بأدرانها .

ومع هذا الحـكم الذى يدين امرأ القيس وشعره ، فإن الرسول (ص) لم ينه عن رواية شعره ، أو شعر غيره من الشعراء الجاهليين ، الذين لم تخـل أشعارهم من غوايات أو نزعات جاهلية ، تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه ، ولا يخرجنا من الحيرة والتساؤل إزاء هذا الموقف إلا قوله فى أمر الجاهلية ، إن الله قد وضع عنا آثامها فى شعرها وروايته »[2] . ومن هنا يزول الحرج ، وتشرع الإباحة فى رواية الشعر الجاهلى . وتتجلى سمـاحة الإسلام ، وما اتسم به من يسر فى أحـكامه ، وبعد عن التشدد فى معالجة الأمور ، وتبقى رواية الشعر الجاهلى متدفقة على ألسنة الصحابة والتابعين ، وتتناقلها الأجيال التالية حفاظا على التراث الأدبى للغة العربية ، ولكى تتحقق الاستفادة منه فى تأصيل أصولها ، وتقعيد قواعدها ، ومدارسة أساليبها وألفاظها ولهجاتها ، والوقوف على عناصر الإبداع الفنى التى احتوتها واستوعبتها ، والإحاطة بقدراتها التعبيرية فى كل مجالات القول .

---

(١) مسند ابن حنبل جـ ١٢ ص ١٩٦ ، والعمدة لابن رشيق جـ ١ ص ٥٩ ، ونقـد النثر لقدامة ص ٦٨ .

(٢) إعجاز القرآن للرافعى ص ٣٣٠ .

من كل ذلك يتكشف لنا بوضوح وجلاء الموقف الحقيقي للرسول (ص) من الشعر والشعراء ، والذي يعد مكملا ومفصلا لموقف القرآن الكريم ، وقد اتضحت لنا كل جوانبه وعناصره ، من خلال ما عرضنا له من الأخبار والروايات والأقوال ، التي أوردتها المصادر العديدة ، فلم يعد هناك مجال للمزاعم والظنون وإطلاق الأحكام الخاطئة التي تعوزها الأدلة الكافية ، والتي تهدف إلى تصوير هذا الموقف على غير حقيقته ، للوصول إلى نظريات وآراء تضع الشعر الإسلامي في إطار محدود لا يتناسب مع الدور الصحيح الذي اضطلع به في تاريخنا الأدبي .

الفصل الثاني

مصادر شعر السيرة

تعددت المصادر التي حملت إلينا شعر السيرة النبوية تعدداً واسعاً ، نتيجة لتنوع موضوعاتها واتجاهاتها وأهدافها التي ألفت من أجلها ، وهذا التعدد يمكن أن نحصره في مجالات محددة ، بحسب الاتجاه العلمي العام الذي اختطه أصحاب هذه المصادر ، فمنها الأدبية ، ومنها التاريخية ، ومنها الدينية ، ومنها اللغوية ، ومنها كذلك الجغرافية .

وقد أفاد هذا التعدد فائدة كبرى في حفظ الكثير من الشعر الذي واكب أحداث السيرة الكبرى ، وسجل الكثير من المواقف الشخصية والجماعية لشعراء هذه الفترة ، وعلى الرغم مما تعرض له شعر السيرة من عوامل الضياع والفقد والوضع والخلط ، فإن هذه المصادر قد أبقت على معظمه في صورته الصحيحة أو الأقرب إلى الصحيحة .

وسنعرض فيما يلي لمجموعات هذه المصادر ، وما أمدتنا به من أشعار السيرة النبوية ، محاولين إبراز أهميتها في هذا الجانب ، وحجم النصوص التي أوردها كل مصدر منها من حيث الكمية والنوعية ، وما حفلت به من أخبار وروايات وآراء ونظرات حول هذه النصوص وقائليها ، بقدر ما يمكننا من الجهد والتقصي ، لتكون دراستنا التوثيقية لشعر السيرة قائمة على المنهج السليم .

١ ـ مصادر أدبية :

نبدأ بالحديث عن المصادر الأدبية لصلتها الوثيقة بالشعر ، الذى يعد قوام الحركة الأدبية فى تاريخ تراثنا العربى . فمن الطبيعى أن تحفل هذه المصادر بمادة وفيرة من شعر السيرة النبوية ، إلى جانب النظرة الأدبية والنقدية المتفحصة التى تلقى الأضواء على هذا الشعر ، وتساعد على تحقيقه وتوثيقه . ونظراً لكثرة هذه المصادر وتنوعها ؛ بين كتب أدبية عامة ، وبين كتب فى تراجم الشعراء ، وبين دواوين للشعر عامة وخاصة ، فسوف نحاول الإلمام بأبرزها وأكثرها احتفالا بشعر السيرة .

وقد عرضت المصادر الأدبية العامة لشعر السيرة عرضاً يتفاوت بين الكثرة والقلة ، حسب اهتمامات مؤلفيها ، ومنها « البيان والتبيين » لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) و « الكامل فى اللغة والأدب » لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ) و «العقد الفريد» لأبى عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٨ هـ) و « نهاية الأرب فى فنون الأدب » لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣ هـ)

وقد حوت هذه الكتب مجموعة طيبة عن شعر السيرة ؛ فأورد كل من الجاحظ والمبرد ما بين العشرين والثلاثين نصاً ، وزاد ابن عبد ربه عليهما قليلا ، ولكن النويرى كان أكثرهم احتفالا بشعر السيرة ، إذ أورد فى كتابه ما يزيد على مائة نص ، ومن بين هذه النصوص مجموعة قيمة لشعراء القبائل التى وفدت على النبى (ص) فى عام الوفود تقرب من ثلاثين نصاً . وقد يكون هناك تشابه بين بعض النصوص التى وردت فى هذه

المصادر مع اختلاف فى رواية بعض ألفاظها ، ولكن هناك فى الوقت نفسه نصوص ينفرد بها كل مصدر دون المصادر الأخرى ، مما يضيف جديداً فى المجموع الشعرى .

ومن كتب الأدب العامة التى حفلت بالكثير من الأشعار والأخبار عن فترة السيرة كتاب « خزانة الأدب ولب لباب لسان العـــــرب » لعبد القادر بن عمر البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) ومع أن مؤلفه متأخر كثيراً عن أصحاب المصادر السابقة فإنه قد ضمن كتابه بعض ما فقد من الروايات، وما أوردته المصنفات التى لم تصل إلينا من بين ما وصل من مخطوطات التراث العربى ، فكان كتابه بذلك حافظاً لكثير من المفقود ، ونتاجاً لخبرته الواسعة فى أدب العرب ، يتضح ذلك من قوله فى مقدمته : « وكنت ممن مرن فى علم الأدب ، حتى صار يلبيه من كثب ، وأفرغ فى تحصيله جهده وبذل فيه وكده وكدّه ، وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار ، فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد ، وشرعت فى شرحها على وفق المنى والمراد»[1].

وقد أفادت هذه الخبرة الواسعة ، والدراية الواعية ، كثيراً فيما قدم من شروح ، وفيما أبدى من ملاحظات — لها قيمتها — على بعض الأشعار التى أوردها ، من حيث توثيقها أو انتحالها ، وكذلك فى استطراداته الواسعة ، التى شملت الكثير من المعلومات الدقيقة ، عن عدد كبير من شعراء هذه الفترة، يزيد على ثلاثين شاعراً . ومع أن كثيراً من الأشعار

(١) خزانة الأدب للبغدادى حـ ١ ص ٢ .

التى ذكرها يفتقر إلى السند ، فإن ذلك لا يغض من قيمة كتابه ، ولا يقلل الإفادة منه .

وعموماً فإن أصحاب هذه المصادر الأدبية يميلون كثيراً إلى التنويع والاستطراد والنقل عن غيرهم ، ولا يكلفون أنفسهم — غالباً — عناء التحقق والتمحيص ، لإثبات صحة النص الذى يروونه ، وإن كان بعضهم يهتم أحياناً بنقد الشعر الذى يورده ، أو يدلى برأيه عن صحة هذا الشعر ، ومدى تثبته من ذلك[1] ؛ كما أن الكثير من هذه النصوص تكون أبياتاً مختارة من قصيدة أو مقطوعة ، وقليلا ما يورد أحدهم قصيدة أو مقطوعة كاملة . ولعل ذلك يرجع إلى أن الشعر الذى يوردونه ليس غاية مقصودة ، وإنما هو وسيلة لبلوغ غاية أخرى ، فأحياناً يسوقونه للاحتجاج على رأى أو للاستدلال على فكرة ، وأحياناً يسوقونه للاستشهاد والتمثل وتقوية الخبر وتزيينه[2] .

وظاهرة أخرى هى أن غالب ما يرد فى هذه المصادر، تطلب فيه المتعة الفنية ، وإشباع الذوق ، وأنه ينزع إلى الجزالة ، ويمت إلى الفخامة ، ويتخذ من الصحراء جلباباً ، والبداوة إهاباً ، وحينما نصفه بالجزالة ؛ نعنى بها ما يضاد كلمة الرقة ؛ وليس يصعب تفسير نزوع كتب الأدب إلى سياق الأدب الجزل ؛ ذى الديباجة الصحراوية ؛ والنكهة البدوية . فحفظة الأدب الأولون كانوا علماء لغة أيضاً ؛ حملهم تعصبهم للغة على حب البداوة ؛ فأصبح ميزان الشعر الجيد فى نظرهم الجزالة والبداوة والغرابة

---

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ جـ١ ص ٢٩١ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ص ٦١٣ .

وذلك ذوق تأثروا فيه بحرصهم على حفظ اللغة أولا ، وإعجابهم بطباع البداوة ثانيا [١] .

ويمكننا أن نضم الكتب التى عرضت لقضايا الشعر ونقده إلى كتب الأدب العامة ، ومنها كتاب « نقد الشعر » لأبى الفرج قدامة بن جعفر البغدادى (ت ٣٣٧ هـ) وكتاب « الصناعتين » لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) وكتاب « العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده » لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) وهذه الكتب بطبيعتها لاتعرض النصوص من فترة السيرة ، إلا على سبيل التمثيل أو المقارنة والنقد ، ولذا نجد النصوص التى وردت فيها لا تتجاوز البيت أو البيتين ، وقلما يورد المؤلف النص كاملا ، خصوصاً إذا كان حديثه يدور حول قضية نقدية .

وابن رشيق هو أكثرهم احتفالا بشعر هذه الفترة ، إذ تناول فى كتابه « العمدة » موقف الإسلام من الشعر والشعراء ، وأورد خلال حديثه بعض مقطوعات أو أجزاء من القصائد لشعراء من هذه الفترة ، لم تتجاوز بضعة عشر نصاً [٢] .

وعموما فكثير من الشعر الذى أوردته هذه المصادر الأدبية العامة يتطلب التحقيق والتمحيص ، وذلك بمقارنته بما ورد فى المصادر الأخرى ، أو فى دواوين الشعراء التى حققت ، فإذا وجدنا نصوصه مشابهة أو متفقة

---

(١) الشعر الاسلامى فى صدر الاسلام للدكتور عبدالله الحامدص ٤٢ .
(٢) انظر العمدة لابن رشيق حـ١ من ص١٣ إلى ص٣١ .

مع النصوص الأخرى كان ذلك باعثاً للاطمئنان ، وإذا لم تتوفر لدينا العوامل الموثقة لأى نص منها ، أو تكاثرت عليه عوامل الشك فى صحته لم يكن أمامنا من سبيل لقبوله ، وما علينا إلا أن نرفضه اعتمادا على تلك الأدلة الدامغة التى ترجح وضعه أو انتحاله .

وبعد هذه المصادر الأدبية العامة ، نأتى إلى المصادر التى تتناول تراجم الشعراء ، وهى كتب كثيرة ، ولكننا سوف نخص بالذكر منها ما كان مؤلفه أكثر اهتماما بالترجمة لشعراء هذه الفترة ، وأولها :

كتاب « طبقات الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣١ هـ) الذى قام بتقسيم الشعراء الجاهليين والإسلاميين إلى طبقات ، فترجم لبعض شعراء القرى الذين شاركوا فى أحداث السيرة النبوية ، كشعراء المسلمين فى المدينة ، وشعراء المشركين فى مكة ، ومنهم أيضاً شعراء الطائف ، كما أنه ترجم لبعض شعراء اليهود ، ككعب بن الأشرف والربيع بن أبى الحقيق ، وبعض شعراء القبائل ، مثل كعب بن زهير ، ولبيد بن ربيعة ، والنابغة الجعدى ، وقد أورد فى ترجمته لكل شاعر من هؤلاء بعض الأبيات من شعره .

وتبرز أهمية هذا المصدر فيما أورد من شعر صحيح موثق ، وفى تنبه مؤلفه لقضية الوضع والنحل فى الشعر ، وحرصه على التنبيه على الشعر المنحول ، ومحاولته تمييز غثه من سمينه ، ورد مالا يوثق به منه (١) . ولذا يعد هذا المصدر عظيم النفع بما سجل من ملاحظات وآراء لها قيمتها العلمية الكبيرة لأنه من أقدم المصادر التى وصلت إلينا ، ولضياع المصادر التى سبقته فيما ضاع من مصنفات كثيرة .

---

(١) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ص ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ وغيرها .

ويأتى بعده كتاب « الشعر والشعراء » لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) وهو لا يضارع كتاب ابن سلام فى أهميته أو فيما أورد من تراجم ؛ إذ أغفل ذكر شعراء مكة ، ولم يذكر من شعراء المدينة سوى حسان بن ثابت ، كما أغفل الشعراء اليهود ، ويرجع هذا الإغفال إلى منهجه الذى اتبعه فى كتابه والذى يوضحه قوله : «وكان أكثر تصدى للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جل أهل الأدب»[1] . وقوله « ولم أعرض فى كتابى هذا لمن غلب عليه غير الشعر ، ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء فى الشعر لذكرنا أكثر الناس »[2]. كما يوضح أنه لو اتبع هذا المسلك لذكر أناسا من الصحابة والتابعين[3] .

ومع اتباع ابن قتيبة لهذا المنهج الذى أدى به إلى إغفال الترجمة لكثير من شعراء هذه الفترة ، فإنه ترجم لخمسة عشر شاعراً من شعراء القبائل ، وضمن ترجمته لهم نصوصاً من أشعارهم ، ولكن رواياته لها غير مسندة . وإذا كانت الإفادة منه تبدو قليلة ؛ إلا أنها تسهم فى عملية التوثيق ، وخاصة فيما يتعلق بشعراء القبائل ، الذين شاركوا فى أحداث السيرة ، ونظموا فيها بعض أشعارهم .

ويعد كتاب «الأغانى» لأبى الفرج على بن الحسين الأصبهانى (ت ٣٥٦هـ) أكثر كتب التراجم الأدبية أهمية ، وأعمها شهرة ، وأعظمها نفعا ، سواء فيما أورد من تراجم لشعراء القرون السابقة عليه عامة ، أو فيما أورد من تراجم لشعراء فترة السيرة النبوية خاصة ، إذ أنه حفظ لنا الكثير من الأشعار والأخبار ، التى نقلها عن مصادر سابقة عليه ، ولم تصل إلينا . وقد

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٥ .

(٢ ، ٣) نفسه ص٦٢ .

وقد ترجم في كتابه لحوالي أربعين شاعرا وشاعرة من شعراء هذه الفترة، وأثبت لكثير منهم أكثر من نص واحد، وانفرد بعض الأحيان برواية أشعار لهم، لا نجدها في مصادر كثيرة سابقة عليه [1]، كما فصل القول عن بعض الغزوات المهمة كبدر وأحد، مشفعاً ذلك ببعض الأشعار التي قيلت فيهما.

وقد حرص أبو الفرج على ذكر أسانيد روايته للأخبار والأشعار، وتتبع سلاسل الرواة حتى مصادرها أو رواتها الأوائل، كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو الشيباني وابن الكلبي وخالد بن كلثوم، ومن نقلوا عنهم من الرواة والعلماء، ومصنفي الكتب التي نقل عنها، وقد يصل بسلسلة روايته إلى الرواة الأعراب من أبناء القبيلة. وكان حريصاً على التثبت من صدق هؤلاء الرواة وأمانتهم وحفظهم، فمن عرف بكذبه نبه عليه وأبطل روايته وردها. وقد تتعدد روايته للخبر الواحد، إمعانا منه في الحيطة، ورغبته في التثبت. وكان إذا شك في أبيات للشاعر، بادر بالتحقق منها وتمحيصها، بعرضها على ديوانه، أو تحكيم ذوقه الفني، الذي يتسم بالدقة ونفاذ البصيرة، والخبرة الأدبية الواسعة. ولعل نظرته الناقدة المتفحصة هذه، وحرصه على تقديم الأحسن، كانت سببا في عدم رواية القصيدة كاملة للشاعر واكتفائه بتخير الأبيات التي يستحسنها منها قلت أو كثرت [2].

ومن كتب التراجم، معجم الشعراء « لأبي عبد الله محمد بن عمران

---

(١) انظر الأغاني حـ١ ص١٠، حـ٤ ص ٣٤ ـ ٣٥، حـ١٤ ص٢١ ط الدار.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ـ ترجمة إبراهيم كيلاني ص ١٤٢ ط دار الفكر بيروت سنة ١٩٥٦.

المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) الذى ترجم لعـــد د كبير من الشعراء الجـاهلين والإسلاميين ، مرتباً لأسمائهم حسب حروف المعجم ، وقد جاءت ترجماته مختصرة موجزة ، ويبلغ عدد من ترجم لهم من شعراء هذه الفترة ستة وثلاثين شاعراً ، شفع ترجمات الكثيرين منهم بأبيات قليلة ، بينما ترجم لبعضهم دون ذكر أشعار لهم [١] وعلى الرغم من قلة الأشعار التى أوردهـــا ، فإن بعضها لا نجده فى مصادر السيرة الأخرى [٢] وهذا هو الجانب الذى يبرز أهميته كمصدر لشعر السيرة .

هذه هى أهم مصادر التراجم لشعراء هذه الفترة ، وماجاء بعدها لا يضيف جديداً ، لأنه إما ناقل عنها أو عن غيرها من مصادر شعر السيرة . وعموما فكتب التراجم التى عرضنا لها قد أسهمت بنصيب طيب من شعر هذه الفترة ، ولكن فائدتها لا تقف عند هذا الحد ، إذ أن ما قدمته من معلومات عن حياة هؤلاء الشعراء ، وما أبداه مصنفوها من آراء حول نحل الشعر وصحته ، كما رأينا عند ابن سلام ، وما بذلوه من جهود فى تصحيحه وتمحيصه كما رأينا عند ابن سلام وأبى الفرج ، كل ذلك يجعل لهـا أهمية بارزة فى توثيق هذا الشعر .

أما دواوين الشعر التى تضمنت شعرا من فترة السيرة ، فمنها الدواوين العامة التي تشمل مختارات شعرية من التراث العربى مثل « ديوان الحماسة » لأبى تمام الطائى (ت ٢٣٠ هـ) و « ديوان الحماسة » للبحترى (ت ٢٨٤ هـ) فهذه الدواوين لم تورد من شعر السيرة إلا مقطوعات قليلة ، فلم يتجاوز ما أورده

(١) انظر معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٣٩ ، ٢٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ .

(٢) نفسه ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٥٤ ، ٣٤٤ ، ٤٣٩ .

كل منها خمسة نصوص ، ومنها « جمهرة أشعار العرب » لأبى زيد القرشى (١) وقد ورد منه حوالى عشرة نصوص من أشعار هذه الفترة . وإذا كانت الإفادة من هذه المجموعات الشعرية تبدو قليلة ، إلا أنها تسهم فى توثيق ما قدمته من نصوص شعرية ، قام معيار اختيارها على أساس الجودة الفنية .

ولا بأس هنا من الإشارة إلى مجموعة شعرية حديثة جمعها وحققها عبد الله الحامد بعنوان « شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، وطبعت سنة (١٣٩١ هـ — ١٩٧١م) بالرياض . ولكن الهدف من هذه المجموعة ينحصر فى جمع الشعر الإسلامى النزعة وتحقيقه . ومن ثم لا نجد فيه أشعارا كثيرة من شعر فترة السيرة ، وهى تلك التى لا تحمل النزعة الإسلامية من شعر الشعراء المناوئين للدعوة . كما أنها تتجاوز الفترة التاريخية للسيرة إلى عهد الخلفاء الراشدين . ومع ذلك فإنها قد تضمنت مجموعة طيبة من شعر هذه الفترة (فترة السيرة) وقام جامعها ببذل جهد يحمد له فى تحقيقها ، واستقصاء المصادر القديمة التى أوردتها ، وإن كانت أخطاء الطباعة قد أساءت إلى هذا العمل ، وأفقدته الدقة المطلوبة فى كثير من المواضع .

أما الدواوين الخاصة بشعراء هذه الفترة فلم يصل إلينا منها إلا القليل ،

---

(١) انظر ما كتبه ناصر الدين الأسد فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » عن هذا الكتاب ومصنفه ص ٥٨٤ وما بعدها . وما كتبه فؤاد سيزجين فى « تاريخ التراث العربى » مجلد ٢ حـ١ ص٨٩ — ٩١ ، وقد عقد الدكتور محمد على الهاشمى بحثا قيما عن مؤلف الجمهرة فى تحقيقه لهذا الكتاب ص ١٣ — ٢٩ ط جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وفيه ناقش كل الأقوال والشكوك ، وانتهى إلى التحقق من نسبة الكتاب إلى أبى زيد القرشى .

وفى مقدمتها ديوان حسان بن ثابت الأنصارى ، وهو أبرز شعراء السيرة ، ويحمل ديوانه مجموعة كبيرة من الأشعار التى نظمها فى كثير من أحداث السيرة ومناسباتها . وقد طبع هذا الديوان طبعات عديدة ، وأفضل هذه الطبعات تحقيقا هى طبعة لندن سنة ١٩٧١م بتحقيق وليد عرفات ، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م بتحقيق د . سيد حنفى حسانين .

ومنها ديوان كعب بن زهير ، وديوان لبيد بن ربيعة ، وديوان الأعشى البكرى ، وديوان أمية بن أبى الصلت ، وديوان أبى محجن الثقفى ، وهذه الدواوين قد حققت ونشرت ، ولكنها لا تتضمن نصوصاً كثيرة من شعر فترة السيرة ، إلا أن هذه النصوص على قلتها لها أهميتها ، من حيث التوثيق ، ومن حيث القيمة الفنية فى دراسة شعر هذه الفترة . وخصوصاً ما ورد منها فى دواوين كعب ولبيد وأمية .

وهناك دواوين أخرى لم تصل إلينا مجموعة عن القدماء ، وإنما قام بجمع نصوصها المتناثرة من المصادر القديمة باحثون محدثون . ومنها ديوان النابغة الجعدى الذى جمعه وحققه عبدالعزيز رباح وطبع فى دمشق سنة ١٩٦٤م وديوان كعب بن مالك الأنصارى الذى جمعه وحققه د . سامى مكى العانى وطبع فى بغداد سنة ١٩٦٦م ، وديوان العباس بن مرداس السلمى ، الذى جمعه وحققه د . يحيى الجبورى وطبع فى بغداد سنة ١٩٦٨م . وديوان عبد الله ابن رواحة الأنصارى ، الذى جمعه وحققه حسن محمد باجوده ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٧٢م . فمن هذه الدواوين ديوانان لشاعرين من شعراء المدينة ، شاركا فى أحداث السيرة بالفعل والقول ، وأغلب ما فيهما من أشعار يرتبط بها ارتباطا وثيقا ، وهما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة .

والديوانان الآخران لشاعرين من شعراء البادية شاركا فى بعض الوقائع والأحداث ، ويتضمن ديواناهما نصوصاً كثيرة من شعر السيرة .

ومما لا فيه أن الجهود التى بذلها محققو هذه الدواوين وجامعوها تسهم بنصيب طيب فى توثيق جانب كبير من أشعار السيرة النبوية ، وتحسم كثيراً من مشكلات النحل والخلط التى كانت تثير الشكوك حول هذا الشعر .

٢ — مصادر تاريخية :

يرتبط شعر السيرة النبوية ارتباطا قويا بالتاريخ ، بل هو ارتباط عضوى بين السيرة كتاريخ ، وبين الشعر الذى قيل فى أحداثها كوثائق تدعم روايات التاريخ وأخباره ، وقد احتفل مصنفو كتب التاريخ الإسلامى منذ القدم بتدوين الأشعار التى تتصل بأحداثه ، وكان هذا الاحتفال أشد وأقوى حين دونوا سيرة الرسول (ص) . ولذلك لا يبدو غريبا أن تحمل لنا هذه المصادر مادة غزيرة من شعر هذه الحقبة التى تعـــد قاعدة أساسية لتاريخ الإسلام منذ بزوغ فجره . ولكننا أمام هذا الاحتفال البالغ وتلك المادة الشعرية الغزيرة ، ينبغى أن يكون موقفنا متسما بالحيطة والحذر ، لأن الشعر الذى حملته هذه المصادر فيه كثير من الموضوع والمنحول ، إذ كان بعض المؤرخين يستشهدون بالأشعار على ما يوردونه من قصص وأخبار ، وربما كانوا يهدفون إلى جانب ذلك أن يزينوا [1] مادتهم التاريخية ، لتروق القارئ أو السامع ، ولكن ذلك لا يدفعنا إلى الشك فى كل ما أوردوه ، لأن بعضهم تنبه إلى هذه الحقيقة ، وبذلوا جهداً محموداً فى تمحيص هذا الشعر ، والتحقق من صحة النص ونسبته إلى قائله ، أو التنبيه إلى مواضع الشك والانتحال فيه .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى لناصر الدين الأسد ص ٦١٣ .

وأهم هذه المصادر التاريخية وأقدمها كتاب « سيرة الرسول » لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت ٢١٨ هـ) وهـذا الكتاب فى الحقيقة لم يكن من وضعه أو تصنيفه ، فالذي صنفه هو محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥٠ هـ) ثم نقله عنه الرواة بأكثر من طريق ، وقد دونه ابن هشام عن رواية أبي محمد زياد بن عبد الله العامري البكائي الكوفى (ت ١٨٣ هـ) فهـذا الكتاب إذن يرجع فى قدمه إلى منتصف القرن الثانى الهجرى وعلى ذلك يعد أقدم كتب السيرة التى وصلت إلينا ، وحفظتها لنا الأيام .

ولم يقف ابن هشام عند ما نقل إليه عن ابن إسحاق دون نظر وتمحيص ، وإنما عرضه على الرواة الثقاة ، وقارنه بما اطلع عليه من كتب أو مدونات ليصل إلى الحقيقة الصحيحة التى يطمئن إليها ، سواء فى أخبار السيرة أو فيما تضمنته خلالها من أشعار ، وكان شكه فيما أورده ابن اسحاق من الشعر خاصة دافعاً قوياً له إلى البحث والتحقيق ، مستعيناً فى ذلك بأهل العلم والدراية بالشعر ، كأبى زيد الأنصارى ، وأبى عبيدة ، وخلف الأحمر ، ويونس النحوى ، وغيرهم من الرواة الأثبات ، وبذل جهداً كبيراً فى تنقيته من الانتحال والوضع والخلط ، فرد منه الكثير الذى تيقن من عدم صحته ، وامتنع فى بعض الأحيان عن رواية النص كله أو بعضه ، وأثبت فى كثير من الأحيان آراء نقدية له أو لغيره تعليقاً على ما أثبت منه فى كتابه . وعلى الرغم مما أجراه ابن هشام على نص ابن إسحاق من الحذف والتنقية ، فقد حفظ لنا فى كتابه ما يقرب من خمسمائة نص شعرى بين قصيدة ومقطوعة ، وهى أكبر مجموعة شعرية وصلت إلينا عن هذه الحقبة التاريخية المهمة ، وكان جديراً بأن ينسب إليه هذا الكتاب ، وأن يعتمد عليه كثير من العلماء الذين جاءوا بعده .

وقد طبع كتاب سيرة ابن هشام طبعات متعددة ، تفاوتت درجاتها في الدقة والتحقيق ، وأفضلها — من وجهة نظري — الطبعة التي حققها مصطفى السقا وزميلاه . وكانت نسخة الروض الأنف للسهيلي هي أقدم الأصول التي رجعوا إليها في تحقيقهم . وقد وضعت شروح كثيرة ومختصرات لهذا الكتاب[1] ، نظراً لأهميته البالغة ، وما ناله من المكانة والقيمة العلمية لدى العلماء وطلاب العلم على مدى الأجيال والعصور .

ومن أقدم المصادر التاريخية التي تناولت السيرة النبوية كتاب « المغازي » لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) . ويبدو أن الواقدي قد عني في كتابه بالأخبار التاريخية بالدرجة الأولى ، ولذلك لم يورد فيه إلا قدراً محدوداً من النصوص الشعرية ، فلم يتجاوز ما أورده ثلاثين نصاً ، وهو — على أي حال — قدر لا بأس به ، ولكنه كان حريصاً على ذكر سند رواياتها ، وعلى إبداء الملاحظات والتعقيب على بعضها[2] . ويلاحظ أن بعض ما أورده من نصوص شعرية جاء مختلطاً بالخبر في روايته ، كما أن بعضها مختل الوزن ، وربما كان السبب في ذلك يرجع إلى إهمال النساخ والمدونين لكتابه ، وعدم درايتهم أو اهتمامهم بأوزان الشعر ، كما يرجع من ناحية أخرى إلى أن ناشره لم يعن بتحقيقه .

ويأتي بعد ذلك في ترتيب القدم لهذه المصادر كتاب « أنساب الأشراف » لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) وهو كتاب جامع بين

---

(١) انظر في هذه الشروح والمختصرات « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سيزجين مجلد ١ جـ ٢ ص ١٠٨ — ١١١ .

(٢) انظر « المغازي » للواقدي ص ١٩١ ، ٣٤٤ .

الأنساب والتاريخ والتراجم والشعر ، فقد روى فى سياق الأخبار التى أوردها كثيراً من الأشعار ، ويبلغ مجموع ما أثبته من نصوص شعرية تخص فترة السيرة النبوية نيفاً وثمانين نصاً ، ويبدو أنه قد وجه عنايته إلى رواية شعر المسلمين فى المدينة ، وشعر المشركين فى مكة أكثر من عنايته بشعر القبائل أو بشعر اليهود ، فلم يتجاوز ما أورده لهاتين الفئتين عشرة نصوص[١] . ولا تقف أهمية هذا الكتاب عندما أثبته من هذه المجموعة الطيبة من النصوص الشعرية فحسب ، بل تتجاوز ذلك إلى أن كثيراً من هذه النصوص قد انفرد بروايتها دون سابقيه أو معاصريه ، ولعل ذلك يرجع إلى حصوله على مدونات سابقة لم تصل إلى أيديهم ، فحقق بما دونه منها إضافة قيمة إلى هذا التراث من شعر السيرة النبوية .

ومن أهم المصادر التاريخية لشعر هذه الفترة كتاب « تاريخ الرسل والملوك » لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) وترجع أهميته إلى أن مصنفه قد نهج فيه إلى إسناد كل واقعة — حيثما تيسر ذلك — إلى شاهد عيان ، أو إلى شخص معاصر انتهت روايته إليه عبر سلسلة من الرواة[٢] . وشفع ما ذكره من أخبار بنصوص من الأشعار التى تخيرها ، ويبلغ ما أورده منها نيفاً وسبعين نصاً ، ما بين القصائد والمقطوعات ، موزعة بين كثير من الشعراء الذين شاركوا فى أحداث السيرة من مسلمين ومشركين ، ومن شعراء القبائل الوافدة ، كما تبرز أهمية هذا المصدر بصورة خاصة ، فيما أورده من نصوص شعرية لم يسبق ورودها عند غيره[٣] ، وفى

---

(١) انظر هذه النصوص فى الكتاب جـ ١ ص ٥٤ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ .

(٢) الإسلام والعرب لروم لاندو ص ٣٠٣ .

(٣) انظر تاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٨٦ ، ٥٣٣ ، ٣٩٩ ، جـ ٢ ص ٥٤٦ .

عدم تحرجه من رواية أشعار أحجم غيره عن روايتها[1] . وبذلك حفظ لنا جانباً من هذا التراث كان معرضاً للضياع بسبب هذا الحرج من تدوينه . وأضاف به إضافة قيمة لها فائدتها عند الدارسين لشعر هذه الفترة .

ومن المصادر التاريخية المهمة أيضاً فى عنايتها بشعر السيرة كتاب « الروض الأُنُف » لأبى القاسم عبدالرحمن بن عبد الله السهيلى (ت ٥١٨ هـ) ومع أنه نقل الأشعار التى أوردها ابن هشام فى كتابه ، إلا أنه قد بذل جهداً محموداً فى شرح ما غمض منها ، وقد أوضح ذلك بقوله : « وغرضنا فى شرح هذه الأشعار الواردة فى كتاب السيرة أن تشرح منها ما استغلق لفظه جداً ، وأغمض إعرابه ، ولكنى لا أعرض لشىء من أشعار الكفرة ، التى نالوا فيها من رسول الله (ص) ، إلا شعر من أسلم وتاب »[2] .

ولا تقف أهمية كتاب السهيلى عند شرح الغامض من الشعر فحسب ، بل تبدو كذلك فيما زاده من نصوص شعرية تقارب الثلاثين نصاً ، لم ترد فى سيرة ابن هشام ، وبعضها لا نجده فى المصادر الأخرى لغيره من العلماء الذين رووا شعر السيرة النبوية[3] . كما أن نقله للأشعار التى أوردها ابن هشام كان عاملا مهماً فى وصولها إلينا بصورة صحيحة اعتمد عليها المحققون لسيرة ابن هشام .

ونجد غير ذلك مجموعة من المصادر التاريخية مثل « مروج الذهب » لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى (ت ٣٤٥ هـ) و « التاريخ الكبير »

(١) نفسه جـ ٢ ص ٤٨٨ ، ٥٢٥ .
(٢) الروض الأنف جـ ٢ ص ٥٧ .
(٣) نفسه جـ ١ ص ٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، جـ ٢ ص ٣٥٩ .

أو « تاريخ مدينة دمشق[١] » للحافظ تقي الدين أبي القاسم علي بن الحسين ابن هبـــة الله بن الحسين المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ) و « الكامل في التاريخ » لأبي الحسن علي بن محمد بن عبـــد الكريم المعروف بابن الأثير (٦٣٠ هـ) و « إمتاع الأسماع لما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع » لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٧٣٢ هـ) و « البداية والنهاية » لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ).

فهذه المصادر قد أوردت نصوصاً كثيرة من أشعار السيرة النبوية يصعب إحصاؤها ، وأكثرها رواية لهـــذه الأشعار كتاب « الكامل » يليه « البداية والنهاية » ثم « إمتاع الأسماع » ثم « تاريخ ابن عساكر » بينما تقل روايتها في « مروج الذهب » إلا أن الملاحظ على هـــذه المصادر أن مصنفيها نقلوا تلك النصوص الشعرية عمن سبقوهم بتدوينها في المصادر السابقة عليهم .

وإذا كان ابن الأثير أكثر هؤلاء المؤرخين روايـــة لشعر السيرة ، فذلك لأنه دون في كتابه معظم الأشعار التي وردت في سيرة ابن هشام ، كما أنه حرص على إثبات الملاحظات التي علق بهـا ابن هشام على الشعر المروى عن ابن إسحاق ، وإن كان قـــد أبدى هو بعض ملاحظات من عنده ، ونلاحظ أيضاً أنـه امتنع عن رواية شعر اليهود ، وكذلك شعر المشركين

(١) كتاب التاريخ الكبير اعتنى بترتيبه عبد القـادر بدران وسماه « تهذيب تاريخ ابن عساكر » وطبع في دمشق ١٣٢٩ ـ ١٣٣٢ هـ ، ثم نشر مرة أخرى باسم « تاريخ مدينـة دمشق » تحقيق صـلاح الدين المنجـد ـ في منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ م .

الذى يظهر فيـــه كفر صريح ، كما ترك رواية بعض الأشعار من باب الاختصار، وتجنبا للإطالة على حد قوله فى مواضع كثيرة .

وتعـد كتب الطبقات والتراجم من المصادر التاريخية المهمة فى رواية شعر السيرة النبوية ، وأكثرها احتفالا بروايته كتاب «الطبقات الكبرى» لأبى عبـد الله محمد بن سعد بن منيع (٢٣٠ هـ) وكتاب « الاستيعاب فى معرفـة الأصحاب » لأبى عمـر يوسف بن عبـد الله بن محمد بن عبـد البر (ت ٤٦٣ هـ) وكتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » لأبى الحسن على ابن محمـد المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) وكتابا « تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام » و « سير أعلام النبلاء » لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٣٢ هـ) ، وكتاب « الإصابة فى تمييز الصحابة » لأبى الفضل أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) .

وكتاب « الطبقات الكبرى » أقدمها وأسبقها فى هذا الميدان ، وهو لذلك يحتـل المرتبـة الأولى فى الأهمية ، وفيـه يترجم ابن سعـد للصحابة والتابعين ، والذى يهمنا هنا بطبيعة الحال هو ما كتبه عن الصحابة ، وعلى الأخص من قال منهم شعراً يدخل فى نطاق فترة السيرة النبوية ، وقد حرص على إيراد مقطوعة أو أكثر للصحابى من هؤلاء ، فحفظ لنا بذلك ما يزيد على ثمانين نصاً من شعر هـذه الفترة ، منهـا حوالى عشرون نصاً فى رثاء الرسول (ص) ومجموعة تقارب ذلك من شعر الوفود .

أما المصادر الأخرى من كـتب الطبقات والتراجم فقد اقتفت أثر ابن سعد فى طبقاته ، فأخـذ أصحابها عنه ، ولـكنهم أفادوا كذلك من مصادر أخرى كـثيرة ، ولذا حفلت كـتبهم بمادة وفيرة من شعر السيرة ، فروى

كل منهم ما يزيد على مائة نص ، ويلاحظ بوجه عام — اهتمامها برواية شعر وفود القبائل على النبي (ص) . ويتقدمها فى هذا الجانب كتاب « الإصابة » الذى أثبت منها نيفا وخمسين نصاً . كما يلاحظ خلوها من شعر اليهود ، فلم يرد فيها سوى نص واحد[1] . وهذه ظاهرة طبيعية لأن هذه الكتب قد عنيت أساساً بذكر الصحابة وأخبارهم التى يرتبط كثير منها بأحداث السيرة النبوية .

وجدير بالذكر أن مصنفى هذه المصادر التاريخية — سواء منها العامة أو الخاصة بالطبقات والتراجم — قد عنوا بذكر الإسناد فى رواياتهم كوسيلة لإثبات صحة ما يروون من أخبار وأشعار ، ولكن ذلك لا يكفى لإقناع الباحث المحقق ، الذى ينبغى أن يلتزم بالمنهج الدقيق فى التحقيق .

٣ ـ مصادر أخرى :

إلى جانب ما عرضنا له من مصادر رئيسية لشعر السيرة ، تأتى مصادر أخرى ثانوية ، لم تكن عنايتها بشعر السيرة إلا بقدر يسير ، حسبما تقتضيه طبيعة موضوعاتها ، ومنها المصادر الدينية والمصادر اللغوية والمصادر الجغرافية .

والمصادر الدينية التى نقصدها هنا هى كتب التفسير والحديث ، وغيرها من الكتب التى تبحث فى موضوعات دينية تتصل بعقيدة الإسلام وشريعته وتعاليمه .

---

(١) انظر الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٧٨٦ .

فكتب التفسير قد عنيت بإيراد بعض الأشعار للاستعانة بها فى توضيح معانى الآيات ، وخاصة إذا كانت هذه الآيات قد نزلت فى مناسبات معينة ، أو فى غزوات الجهاد ، وما إلى ذلك من المواقف التى نظمت فيها أشعار ، ولكن المفسر لم يكن يعمد إلى إيراد نص كامل إلا فى القليل النادر ، وغالباً ما كان يكتفى ببيت أو بيتين لتحقيق غايته التفسيرية الآيات .

وأكثر كتب التفسير احتفالا برواية شعر السيرة « الجامع لأحكام القرآن» لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ٦٧١ هـ) فقد أورد شعراً لمجموعة كبيرة من شعراء هذه الفترة تزيد على ثلاثين شاعراً ، وذلك يتفق مع منهجه التفسيرى الذى يقوم على التحليل والتفصيل والاستطراد ، والذى يدل على سعة علمه بالأدب والتاريخ ، ومع هذا التوسع فى تفسيره ، فإن أغلب النصوص التي أوردها لم تزد على بيت أو بيتين إلا فى أحيان قليلة أثبت فيها النص كاملا[١] . والملاحظ أن شعر حسان بن ثابت يحتل المرتبة الأولى فيما أورده من نصوص ، إذ روى له حوالى سبعين بيتاً ، كما يلاحظ أيضاً أنه أورد بعض النصوص النادرة ، أو التى لا نجدها فى كثير من المصادر الرئيسية لشعر السيرة من أدبية وتاريخية[٢] . وأنه كان يحرص دائماً على ذكر السند فى روايته للأشعار .

ومن المصادر التى تناولت جانباً من جوانب التفسير للقرآن الكريم كتاب « أسباب النزول » لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٤٦ ، جـ ٤ ص ٢٧٨ ، جـ ٧ ص ١٨ ، جـ ٨ ص ٥٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٧٩ ، جـ ١٢ ص ٢٠٠ .

(٢) نفسه جـ ١ ص ١٦٢ ، جـ ١٠ ص ٢٤٥ ، جـ ١٣ ص ١٢٦ ، ١٤٧ ، جـ ١٧ ص ١٧١ .

(ت ٤٦٨ هـ) فقد أورد حوالى عشرة نصوص فى أثناء حديثه عن أسباب نزول بعض الآيات الكريمة ومناسباتها ، ويلاحظ أن أكثر هذه النصوص من شعر حسان بن ثابت .

أما كتب الحديث فلم تعن بإيراد نصوص من شعر السيرة إلا فى مواضع قليلة ، ولعل ذلك يرجع إلى اهتمام جامعيها أساساً بالأحاديث الشريفة ، وأن روايتهم لبعض الأشعار لم تأت إلا فى إطار اهتمامهم الأساسى ، ولوجود صلة وثيقة بين هذه الأشعار وبين الأحاديث التى يروونها .

وأهم كتب الحديث فى هذا الجانب كتاب « المسند » للإمام أحمد ابن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) وكتاب « الجامع الصحيح » للإمام محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم البخارى (ت ٢٥٦ هـ) وكتاب « الصحيح » لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت ٢٦١ هـ) . وأكثر هذه الكتب رواية لشعر السيرة صحيح البخارى إذ روى ستة عشر نصاً لثلاثة عشر شاعراً ، أما الكتابان الآخران ، فقد أورد كل منهما ما يقارب عشرة نصوص .

وهذه المصادر لا تورد من النص الشعرى إلا بيتاً أو أبياتاً قليلة فى أغلب الأحيان ، ونادرا ما يثبت صاحب الكتاب النص كاملا[1] أو أبياتاً كثيرة منه[2] . ولعل طبيعة كتب الحديث قد استوجبت على جامعيها أن يكون اختيارهم للنصوص الشعرية من شعر المسلمين ، لتوافقها مع الأحاديث الشريفة فى الأغراض والأهداف ، وألا يحفلوا بشعر خصومهم إلا لداع

---

(١) انظر مسند أحمد جـ ١١ ص ١٢١ .

(٢) انظر صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٦٥ .

قوى يتطلب إيراد شيء من شعرهم ، وهذا لم يحدث إلا فى القليل النادر[1].

ولا يغيب عنا أن منهج جامعى الحـــديث فى التدقيق والتمحيص ، والعنـاية بالأسانيـد وسلسلة رواتهـا ، وتعـديل الرواة وتجريحهم ، لتنقية الأحاديث من الموضوع الكثير ، كل ذلك كان له أثره فيما أوردوه من أشعار ، فهى أشعار صحيحة إلى حد كبير .

ومن المصادر الدينية أيضاً كتاب « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) الذى أورد فى كتابه ما يقرب من عشرين نصاً لشعراء هـذه الفـترة من مسلمين ومشركين ، وتبرز أهمية هـذا المصدر فى أن بعض نصوصه لم ترد فى كثير من مصادر شعر السيرة[2] .

ومنها كذلك كتاب « زاد المعاد » لابن القيم الجوزية (ت ٧٥٢ هـ) الذى أورد فى كتابه حوالى خمسة عشر نصاً ، كلها لشعراء مسلمين ، ولعـل ذلك يرجع إلى طبيعـة موضوع الكتاب ، التى تدور فى إطار من المعـانى والمثل الإسلامية .

وهـــذه المصادر الدينية ـ بوجه عام ـ يتسم مؤلفوها بالأمانة وتحرى الحقيقة فى جمع مادتهم ، ويحرصون دائمـاً على ذكر السند فى رواياتهم ، ومع أن فى ذلك ما يبعث على الاطمئنان بالنسبة للنصوص التى أوردوها ، إلا أن ذلك لا يمنع من التحقق بمقارنتها بروايات المصادر الأخرى ، حسبما يقتضى المنهج السليم .

---

(١) انظر صحيح البخارى جـ ٥ ص ٨٣ ، ١١٣ وصحيح مسلم جـ ٥ ص ١٩٥ .

(٢) انظر الأحكام السلطانية للماوردى ص ٣٩ ، ١٣٥ .

أما المصادر اللغوية ، فلم تكن عنايتها بشعر السيرة بالدرجة التي تتيح للباحث أن يفيد منها الفائدة المرجوة ، لأن هذه المصادر — بطبيعة مناهجها وموضوعاتها — لا تورد من الشعر إلا ما يقتضيه شرح ألفاظ اللغة ، وتوضيح ما غمض منها ، أو ما تحمله من دلالات ، وهي في ذلك تأخذ شواهدها الشعرية من تراث الشعر العربي كله ، وشعر السيرة ما هو إلا جزء من هذا الكل ، ومن ثم يكون نصيبه من هذه الشواهد نصيباً نسبياً . كما أن هذه المصادر لا تتجاوز في اختيار شواهدها البيت الواحد في الأعم الأغلب ، أو البيتين في القليل النادر .

ومن هذه المصادر كتاب « جمهرة اللغة » وكتاب « الاشتقاق » لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) الذي أورد في كتابيه شعرا كثيرا لشعراء هذه الفترة ، وإن كان أغلبه من شعر حسان ابن ثابت .

ومنها المعاجم اللغوية ؛ وأقدمها « الصحاح » أو « تاج اللغة وصحاح العربية » لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ثم « لسان العرب » لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت ٧١١ هـ) ثم « تاج العروس في شرح القاموس» لمحمد بن محمد بن الحسين الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) . وهذه المعاجم قد عنيت بإيراد الشواهد الشعرية لموادها اللغوية . وأقلها إيرادا لها « الصحاح » بينما توسع لسان العرب وتاج العروس في إيرادها ، وكان نصيب شعر السيرة فيما أورداه من شواهد نصيباً لا بأس به ، ولكن هذه المعاجم تتطلب جهدا غير قليل لاستخراج الأبيات التي تنسب لشعراء هذه الفترة .

ونلاحظ أن بعض هـذه الأبيات المفردة ، التى أوردتها تلك المصادر اللغوية ، قد أخذت من قصائد أو مقطوعات شعرية فقدت أصولها ، وضاعت فيما ضاع من شعر[1]. وهذا أمر له أهميته فى توثيق شعر السيرة ، كما نلاحظ أن المصدر يشير فى بعض الأحيان إلى المناسبة[2] التى قيـل فيهـا البيت أو المقطوعة[3] . ويوضح بعض الجوانب الغامضة التى تتصل بالنص الشعرى .

وتشترك المصادر النحوية مع المصادر اللغوية فى أن اهتمامها بشعر السيرة ليس أساسيا ، وأنه يأتى من خلال اهتمامها العام بالتراث الشعرى العربى ، وفى استشهادها غالبـاً بالبيت الواحـــد من النص الشعرى ، ونادرا ما تزيد عليه .

وأقدم هـذه المصادر « الـكتاب » لعمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت ١٧٩ هـ) الذى أورد فى شواهـــده أبياتاً كثيرة من شعر السيرة[4] . وتتـكرر هذه الشواهد بعد ذلك فى كتب النحو التى ألفت بعد كتاب سيبويه ، وتزيد عليها شواهد أخرى ، وخاصة فى كتب الشروح ، التى تتوسع فيما حول النص ، من تعريف بقائله ، وذكر المناسبة التى قيـل فيها ، وما إلى ذلك ، كما نرى فى « شرح المفصل » لابن يعيش ، و « شرح المضنون به على غير أهله » لابن عبد الـكافى ، و « شرح شواهد المغنى » لجلال الدين السيوطى ، وغيرها من الشروح ، وقد تورد هذه الشروح أحياناً

(١) انظر جمهرة اللغة لابى بكر بن دريد ج ١ ص ١٤٧ ، ١٨٨ ، ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٦٤ ، ٣١٤ ، ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٣) انظر لسان العرب مادة « كفأ » .

(٤) انظر ما كتبه ناصر الدين الاسد عن كتاب سيبويه وشواهده الشعرية ، فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » ص ٥٩٢ وما بعدها .

أبياتاً من النص الشعرى تزيد على البيت الشاهد[١] ، وأحياناً قليلة تورد القصيدة كاملة[٢] .

وعموماً فهذه المصادر من لغوية ونحوية ، لا تعنى بتوثيق النص الذى تورده ، ولا تذكر سند روايته ، لأن اهتمامها ينصب أساساً على ما فيه من شاهد أو دليل على ما تعالجه من مسائل لغوية أو نحوية — كما أشرنا من قبل — ولذلك تحتاج نصوصها إلى التمحيص والتحقيق .

أما المصادر الجغرافية فهى بحكم مادتها العلمية ، تعنى بأسماء البلدان والمواضع ، فتعرفها وتحدد أماكنها ، وتورد ما يتصل بها من أخبار ، أو ما وقع فيها من أحداث ، وفى خلال ذلك تذكر بعض الأشعار التى تساعد على تحقيق الهدف . ومن هذه المصادر كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى (ت ٣٣٤ هـ » وكتاب « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع » لأبى عبيد الله عبد الله بن عبدالعزيز البكرى الأندلسى (ت ٤٨٧ هـ) وكتاب « معجم البلدان » لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) .

والذى يعنينا من هذه المصادر ، هو ما أوردته من أشعار ، تتصل بالمواضع التى وقعت فيها بعض أحداث السيرة النبوية . والملاحظ أن مصنفى هذه الكتب يكتفون بذكر بيت أو أبيات قليلة من النص الشعرى فى غالب الأحيان ، وأنهم لا يثبتونه كاملا إلا فى أحيان قليلة أو نادرة[١] .

---

(١) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٨٧ ، ٥٥١ ، ٦١٦ .

(٢) نفسه ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

(٣) انظر معجم ما استعجم للبكرى ج ١ ص ٧٠ ، ج ٢ ص : ٥١ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ج ٦ ص ٨٥ .

وأكثر هذه المصادر إيراداً للأشعار المتصلة بالسيرة ومواقع أحداثها هو « معجم ما استعجم » للبكرى ؛ إذ نجد فيه مايقرب من خمسة وأربعين نصاً ، يخص حسان بن ثابت منها حوالى ثلثها . بينما لم يورد المصدران الآخران مجتمعين قدر ما أورده البكرى فى معجمه ، كما أن البكرى كان أكثر دقة فى روايته للنصوص الشعرية ، ويعلق عليها أحياناً بآرائه النقدية ، محاولا إفراز المنحول منه والتنبيه عليه ، مما يدل على علمه ودرايته بالشعر ، ويساعد الباحث المحقق على الوصول إلى الحقيقة فى توثيق هذا الشعر .

وعموماً فهذه المصادر الجغرافية ليست سوى مصادر ثانوية لشعر السيرة النبوية ؛ شأنها فى ذلك شأن المصادر الأخرى من دينية ولغوية ونحوية . وهذا لا يعنى إغفالها أو التقليل من شأنها ، لأنها تقدم لنا مادة شعرية — وإن كانت قليلة بالنسبة للمصادر الرئيسية من أدبية وتاريخية — إلا أنها تزيدنا فائدة وتمكننا من توثيق شعر السيرة على منهج سليم ، إذا ما قورنت بما أوردته المصادر الأخرى . كما أنها تقدم لنا مادة علمية يمكن أن تفيد المحقق فى أقرار الرأى الراجح ، والوصول إلى الحكم الصحيح .

* * *

الفصل الثالث

شعر السيرة بين الرواية والتدوين

تتابعت الأحداث تتابعاً سريعاً بعد وفاة الرسول (ص) فما كاد المسلمون يفيقون من الصدمة التى أصابتهم لوقع هذا النبأ الأليم على نفوسهم، ويستقر رأيهم على مبايعة الصديق أبى بكر بالخلافة، ليتولى أمر المسلمين، ويستكمل بناء دولتهم الناشئة على المبادئ والأسس التى أرسى دعائمها رسولهم الكريم، حتى فوجئوا بحركة هدامة ضخمة، تهدف إلى تقويض هذا البناء من أساسه، وتدعو إلى الارتداد عن الإسلام، والتحلل من فروضه وتعاليمه، وعمت هذه الردة معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية، ولم يكن أمام أبى بكر والمسلمين من مخرج سوى مواجهة هؤلاء المرتدين بقوة السلاح وقوة العقيدة، ليقطع دابر فتنتهم العاتية، وليعيد للإسلام هيبته وقداسته فى النفوس، ويثبت عقيدته فى قلوب المؤمنين، ولتبقى كلمة الله هى العليا، وتندحر كلمة الكافرين والمضلين فى أسفل سافلين، وتحقق نصر الله لأبى بكر والمسلمين فى مدة وجيزة لم تتجاوز العامين.

ورأى أبو بكر ببصيرة الصديق المؤمن أن رسالة الإسلام لا ينبغى أن تتوقف عند حدود الجزيرة العربية، وأن واجبه يحتم عليه إبلاغها للناس كافة، ونشرها فى أرجاء المعمورة، متمماً ما بدأ به الرسول (ص) حين أمر قبل وفاته بإنفاذ حملة أسامة لحروب الروم، فاستنفر أبو بكر المسلمين للجهاد

فى سبيل الله ، لتحقيق تلك الغاية النبيلة ، ولتحطيم القوى الكبرى التى تهدد الإسلام فى عقر داره ، والتى رفضت دعوته السلمية من قبل ، تلك القوى المتمثلة فى دولتى الفرس والروم ، فخرج كل مسلم قادر على الحرب ملبياً نداء الجهاد ، راجياً رضاء الله ، مضحياً فى سبيله بكل ما يملك من نفس ومال ، متخففاً من كل ما يشغله من أمور الدنيا عن هذا الواجب المقدس ، وليس له من غاية يرومها إلا أن ينال إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة .

كانت هذه الأحداث من الردة إلى الفتوحات هى شاغل العرب الأول فى معظم عهد الخلافة الراشدة . والذى يعنينا هنا أن نعرف أثر هذه الأحداث على الشعر وروايته ، فتلك قضية تناولها كثير من الدارسين للشعر العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وكان أول من عرض لها هو ابن سلام ، إذ أورد قول عمر بن الخطاب : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » ثم أردف معقباً عليه بقوله : « فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يئولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك ، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير »(١) .

وهذا القول لابن سلام كان مناط البحث لدى كل دارس من الذين شغلوا بقضية الشعر الجاهلى والإسلامى ، وما دار حول هذا الشعر من تساؤلات عن طرق نقله وروايته حتى وصل إلى مرحلة التدوين ، وما تعرض له

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٢٢ .

خلال هذه الفترة من عوامل الضياع والخلط والانتحال ، ويدخل شعر السيرة كجزء من هذا التراث الذى ينطبق عليه قول ابن سلام ، ومن ثم ينبغى أن نتحرى وجه الحقيقة فى قوله ، حتى يمكننا أن نتبين المنهج الصحيح فى بحث قضايا تراثنا ، لا أن تأخذه حقائق مسلمة ، فنقع فى محظور الحيرة والبلبلة ، كما وقع بعض الدارسين .

وقد سبق أن عرضنا لجانب من هذا القول فى بحثنا لموقف القرآن من الشعر ، وهو الجانب الخاص بانشغال العرب عن الشعر بسبب مجىء الإسلام ، وعرضنا خلال ذلك لقول ابن خلدون أيضاً ، والذى حدد فيه فترة هذا الانشغال بالحقبة الأولى من الدعوة ، إلى أن استقر الوضع بعدم نزول وحى فى تحريم الشعر وحظره ، وسماع النبى (ص) له وإثابته عليه ، ورجوع العرب حينئذ إلى ديدنهم منه ، ورأينا ما فى كلام ابن سلام وابن خلدون من وهم لا يستقيم مع الواقع الحقيقى لأحداث السيرة النبوية ، وموقف الرسول (ص) من الشعر والشعراء ، إلا أن الوهم فى كلام ابن سلام أوسع مدى منه فى كلام ابن خلدون ، لأن ابن سلام عمم القول بانشغال العرب عن الشعر ، فجعله شاملا لفترة الدعوة الإسلامية زمن النبى (ص) وما تلاها من جهاد لغزو فارس والروم .

ويعنينا هنا أن نتابع التحقق من هذا الوهم الذى أحدثه قول ابن سلام ، وهو انشغال العرب ولهوهم عن الشعر وروايته بسبب الجهاد والفتوحات ، إذ ينقض هذا القول — ابتداء — ما تحمله كتب الأدب والتاريخ من منظوماته الكثيرة ومن أسماء ناظميه[1] ، وزيادة فى التثبت من الحقيقة

---

(١) العصر الإسلامى للدكتور شوقى ضيف ص ٤٤ .

ينبغى أن نتبين ما إذا كان العرب قد لهوا عن شعرهم فى فترة الفتوحات ، أم أن شغفهم به واهتمامهم بإنشاده وروايته ظل على حاله لم يتغير ولم ينقطع .

* * *

١ - رواية الشعر عند الراشدين والصحابة :

ويقتضى التثبت من حقيقة هذا الأمر أن نستوضح مواقف الصحابة والخلفاء من الشعر لنرى مدى اهتمامهم به ، ولا يعجب عجبا أنهم تأثروا بموقف الرسول (ص) المشجع للشعر والشعراء ، فظلوا على طبيعتهم العربية المحبة للشعر ، لا يفتأون منشدين له متمثلين به فى مجالسهم وفى شئون حياتهم . ذكر ابن سعد فى طبقاته عن جابر بن سمرة قوله : « جالست رسول الله (ص) أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الأشعار فى المسجد ، وأشياء من أمر الجاهلية فربما تبسم رسول الله (ص) »[١] . وذكر الزمخشرى فى الفائق قول أبى سلمة : « لم يكن أصحاب رسول (ص) متحزقين ولا متماوتين كانوا يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدهم على شىء من أمر دينه دارت حماليق عينه كأنه مجنون »[٢] . وذكر أيضاً قولا للحسن البصرى حين سئل : « أكان أصحاب رسول الله (ص) يمزحون ؟ فقال : نعم ، وكانوا يتقارضون »[٣] . يقصد إنشادهم للأشعار ونظمها .

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ١ ق ٢ ص ٩٥ — ٩٦ .

(٢) الفائق للزمخشرى جـ ١ ص ٢٥٧ .

(٣) نفسه جـ ٢ ص ٣٣٩ .

ويؤكد هذه الأقوال قول ابن رشيق : « وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين ، والجلة من الصحابة والتابعين ، والفقهاء المشهورين ، قاله أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى ، وقاله غيرهم من صحابة رسول الله (ص) »[١] وقول سعيد بن المسيب : « كان أبو بكر وعمر وعلى يجيدون الشعر ، وعلى أشعر الثلاثة »[٢] وقول المفضل : « لم يبق أحد من أصحاب رسول الله (ص) إلا وقد قال الشعر وتمثل به ؛ وذكر بيتاً لكل واحد من الخلفاء الأربعة فى رثاء الرسول (ص) »[٣] .

وقد حملت إلينا مصادر عديدة أشعاراً نظمها بعض الصحابة[٤] ، هذا إلى جانب ما كانوا ينشدونه ويتمثلون به ، وهو أكثر بطبيعة الحال ، لأنه يأتى من محفوظ ما يروونه من أشعار ، وهو لا شك محفوظ كثير ، تتقبله سليقة العربى التى طبعت على حب الشعر ، وإذا عرضنا لما أوردته المصادر من أخبار عن صلة الخلفاء الراشدين والصحابة بالشعر ، تبين لنا أنها كانت صلة وثيقة تدل على علمهم ودرايتهم به ، وتثبت أن اهتمامهم بإنشاده وروايته لم يضعف ولم يتوقف لانشغالهم بأحداث الإسلام والجهاد .

فقد كان أبو بكر الصديق يحفظ الكثير من الشعر ويرويه ، ويستنشد

---

(١) العمدة لابن رشيق ج ١ ص ١٣ ، ١٩ .

(٢) صبح الأعشى للقلقشندى ج ١ ص ٢٩٢ .

(٣) جمهرة أشعار العرب للقرشى ج ١ ص١٦٢ .

(٤) راجع فى ذلك سيرة ابن هشام ق ١ ص ٣٤٨ ، ٥٩٢ ، وأنساب الأشراف للبلاذرى ج ١ ص ١٩٣ ، ٥٩٢ والعمدة لابن رشيق ج١ ص ١٢ — ١٤ ، وجمهرة أشعار العرب للقرشى ج ١ ص ١٦٢ — ١٦٣ . وغيرها من المصادر .

الشعراء ما قالوه فى جاهليتهم وإسلامهم ، وكان منزله فى الجاهلية مثابة لقريش يؤمونه لخصلتين : العلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان يجالسه[١] .

وكان أعلم قريش بأنساب العرب ، حتى إن الرسول (ص) لما أمر حسان بهجاء قريش قال له : « استعن بأبى بكر فإنه علامة بأنساب قريش وجميع العرب »[٢] . فلما سمعت قريش بعد ذلك هجاءه قالوا : « إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبى قحافة »[٣] . وقال من لم يعلم أن حسان قاله : « لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا[٤] » . ولا يغيب عنا أن العلم بأنساب العرب كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً برواية شعرهم ، الذى يحمل كثيراً من دلالات أنسابهم .

وفى كثير من مواقف رسول الله (ص) التى عرضنا لها ، والتى كان يومئ فيها إلى الشعر بذكر كلمات أو شطر بيت لتحرجه من إنشادها نجد أبا بكر هو أول من يتصدى لإنشاد البيت أو الأبيات التى يريدها الرسول (ص) .

وكان أبو بكر يتمثل بالشعر فى بعض مواقفه ، يروى أنه رقى المنبر يوماً وقال ـ فيما قال ـ يخاطب الأنصار : . . . فنحن وأنتم كما قال الغنوى :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت

بنا نعلنا فى الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو كانت امنا

تلاقى الذى يلقون منا لملت

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٤ ص ٧٦ .

(٢) جمهرة أشعار العرب للقرشى ج ١ ص ١٤٨ .

(٣) الأغانى للأصفهانى ج ٤ ص ١٣٧ .

(٤) نفسه ، وانظر الفائق للزمخشرى ج ٢ ص ٢٤٤ .

هم أسكنونا فى ظلالِ بيوتهمْ
ظلالِ بيوتٍ أدفأتْ وأكنَّتِ[١]

واستنشد أبو بكر يوماً معد يكرب ، وقال : « أما إنك أول من استنشدته فى الإسلام[٢] » . وهذا يعنى استمرار حرصه على سماع الشعر واستنشاد رواته . دون أن يصرفه إسلامه عن ذلك .

أما عمر بن الخطاب فاهتمامه بالشعر أمر مشهور ، والأخبار التى أوردتها المصادر فى ذلك كثيرة ، تدل على موسوع حفظه منه ، وكثرة تمثله به ، وحرصه على استنشاد رواته ، وحسن تذوقه لفنه ، والحكم عليه ببصيرة العالم الناقد . يقول عنه ابن سلام رواية عن بعض أشياخه : « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[٣] » . من ذلك أنه قيل له : « قيل للأوسية : أى منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض فى حدائق خضر » فأنشد عند ذلك عمر بيت عدى بن زيد :

كدمَى العاج فى المحاريبِ أو كالـ
بيضِ فى الرّوض زهرُهُ مُستنيرُ[٤]

ومن إعجابه بالشعر وتذوقه له ، أنه قال يوماً لابن عباس : « هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قال ابن عباس : فقلت : ومن هو ؟ قال : الذى يقول :

---

(١) أدب الكتاب للصولى ص ١٩٠ .
(٢) طبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٧٥ .
(٣) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٤١ .
(٤) نفسه جـ ١ ص ٤٥ .

ولو أن حمداً يخلدُ الناسَ أخلدوا
ولكنّ حمدَ الناسِ ليس بمخلدِ

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاظل فى الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح أحدا إلا بما فيه ، ثم قال : أنشدنى له ، قال ابن عباس : فأنشدته حتى برق الفجر »(١) .

وأنشدوه شعراً لزهير ، فلما انتهوا إلى قوله :

وإن الحقّ مقطعهُ ثلاثٌ يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

فأخذ عمر يردد البيت متعجباً مما يتضمنه من علم زهير بالحقوق ، وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامها(٢) .

وقال عمر لبعض ولد هرم : « أنشدنى بعض مدح زهير أباك » فأنشده ، فقال عمر : إنه كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطية ، قال : قد ذهب ما أعطيتموه ، وبقى ما أعطاكم(٣) » .

وفى رواية أخرى قال عمر لابن زهير : « ما فعلت الحلل التى كساها هرم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحلل التى كساها أبوك هرماً لم يبلها الدهر(٤) » .

---

(١) الأغانى جـ ١٠ س ٢٨٨ — ٢٩١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة جـ ١ س ٩٣ والفائق للزمخشرى جـ ٢ س ١٦٥ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ س ٢٤٠ .

(٣) خزانة الأدب للبغدادى جـ ٢ س ٢٩٢ .

(٤) نفسه جـ ٢ س ٢٩٢ .

ولم يقف إعجاب عمر بالشعر عند تفضيله لشعر زهير ، بل كان يبدى إعجابه وتأثره بأقوال غيره من الشعراء ، من ذلك ما يروى من إعجابه بشعر النابغة الذبيانى ، إذ قدم عليه وفد من غطفان فسألهم : من الذى يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسكَ ريبة ... وليس وراء الله للمرءِ مذهبُ

قالوا : نابغة بنى ذبيان . قال لهم : فمن الذى يقول هذا الشعر :

أتيتُكَ عارياً خَلَقاً ثيابى ... على وَجَلٍ تُظَنُّ بى الظنونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تخنْها ... كذلك كان نوحٌ لا يخون

قالوا : هو النابغة . قال : هو أشعر شعرائكم[1] .

وحين قدم متمم بن نويرة على أبى بكر الصديق يشكو له مقتل أخيه مالك ، قام بحذائه بعد الصلاة ، واتكأ على سية قوسه ، ثم قال يرثى أخاه :

نعم القتيلُ إذا الرياحُ تناوحتْ
خلف البيوت قتلتَ يابن الأزور
ولنعمَ حشوُ الدرعِ كنتَ وحاسراً
ولنعم سارى الطارقِ المتنوِّرِ
أدعوته بالله ثم غررْتَه
لو هو دعاكَ بذمةٍ لم يغدُرِ

وأومأ إلى أبى بكر ، فقال : والله ما دعوته ولا غررته ، ثم أتم شعره فقال :

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٦ ص ١٢٠–١٢١ ، والأغانى ج ١٢ ص ٤ – ٥ .

لا يمسكُ الفحشاءَ تحت ثيابِهِ   حلوٌ شمائلُهُ عفيفُ المئزرِ

ثم بكى وانحط على سية قوسه — وكان أعور دميا — فما زال يبكي حتى دمعت عينه العوراء ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقال : أوددت أني رثيت أخي زيداً بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك[1] .

ومن شواهد إعجاب عمر بالشعر أيضاً ما أورده الجاحظ ، من أنهم أنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب اللامية الطويلة ، فلما بلغ المنشد قوله :

والمرءُ ساعٍ لشيءٍ ليس يدركُهُ
والعيشُ شحٌ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجباً : والعيش شح وإشفاق وتأميل - يعجبهم من حسن ماقسم وفصل[2] .

وأنشدوه قصيدة قيس بن الأسلت التي على العين وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقوةُ خيرٌ من الـ
إشفاقِ والفَهَّةِ والهاعِ

فجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه[3] .

ومن أحكامه النقدية التي تبين عن علمه ودرايته به قوله حينما سئل عن

---

(١) الكامل للمبرد ص ٦٧١ — ٦٧٢ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٣) نفسه جـ ١ ص ٢٤١ .

الشعراء : « امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر ، فافتقر عن معان عور أصحّ بصر »(١) يريد أنه فتح للشعر بصراً أصح ، مجاوزاً للمعانى العور متخطياً لها ، أى أنه أوضح معانى الشعر وكشف عنها الحجب ، فاحتذى الشعراء على مثاله .

ورغم علم عمر بالشعر ، فقد كان لا يصدر حكمه فى قضايا الهجاء التى تمس حقوق الناس إلا بعد استشاره شاعر ، إذ يرى أن الشاعر أدرى بخبايا القول ، قال العائشى : كان عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ أعلم الناس بالشعر ولكنه كان إذا ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى ، وبين الحطيئة والزبرقان ، كره أن يتعرض للشعراء ، واستشهد للفريقين رجالا مثل حسان ابن ثابت وغيره ممن تهون عليهم سبالهم ، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم ، وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليماً ، فلما رآه من لا علم له يسأل هـذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره(٢) .

ولتقدير عمر للشعر ومعرفته بأهميته وضرورته لفهم معانى القرآن الكريم ، كان يحث على تعلمه ، فقد روى أنه « قال على المنبر : ما تقولون فيها ؟ (يقصد فى قوله تعالى « أو يأخذهم على تخوّف ») فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل ، فقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص . فقال : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته :

---

(١) الأغانى للأصفهانى جـ ٨ ص ١٩٩ ، والفائق للزمخشرى جـ ١ ص ٣٤٣ — افتقر: أنبط وأغزر .

(٢) البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٣٩ .

تخوّفَ الرّحْلُ منها تامكاً قَرِداً
كما تخوّفَ عودَ النبعةِ السّفَنُ

فقال عمر : عليكم بديوانكم لا تضلوا . قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم»[١] .

ونرى فى توجيهات عمر للناس ، وحثه إياهم على العناية بتعلمه وروايته ما يدل على تقدير كبير لأهميته ، واهتمام بالغ بقيمته الأدبية واللغوية والخلقية ، فيروى عنه أنه قال « علموا أولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، ورَوّوهم ما يجمل من الشعر[٢] .

ويستبين فضل الشعر أيضاً فى قوله : « أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها بين يدى حاجته ، يستعطف بها الكريم ، ويستنزل بها اللئيم[٣] » .

وإذا كانت المصادر لم تورد من الأخبار عن علاقة عثمان بالشعر كما أوردت عن عمر ، فإن ذلك لا يعنى أن علاقة العرب بالشعر قد ضعفت فى عهده ، إذ لم تزل العرب على عهدهم بالشعر كما عهدناهم ، وهناك خبر يؤكد هذه الحقيقة — وإن كانت فى غير حاجة إلى تأكيد — وهو أن عثمان بن عفان كان يقرب أبا زيد الطائى ويدنى مجلسه لمعرفته بشيء من أدركهم من ملوك

---

(١) تفسير البيضاوى — سورة النحل آية ٤٦ . التامك : السنام . القرد : الكثير القردان أو السمين . السفن : حجر ينحت به .

(٢) الكامل للمبرد ص ١٥٠ .

(٣) صحيح البخارى حـ ٤ ص ١٣٦ ، وصحيح مسلم حـ ٧ ص ١٦٢ .

العرب والعجم ، فدخل عليه يوماً وعنده المهاجرون والأنصار ، فتذاكروا مآثر العرب وأخبارها وأشعارها[١] .

والأمر كذلك بالنسبة لعلى بن أبي طالب ، فلا نجد أخباراً عن علاقته بالشعر والشعراء كما وجدنا لعمر ، وإن كانت لديه الموهبة لقرض الشعر ، وأنه كان فى ذلك أشعر من صاحبيه أبى بكر وعمر ، على حد قول سعيد بن المسيب[٢] . وله مجموعة من القصائد والمقطوعات[٣] تشكل ديواناً شعرياً ، إلا أن هذه المجموعة قد داخلها كثير من النحل والوضع ، وإذا كان القليل منها تصح نسبته إلى على ، فهذا يكفى لإثبات وجود صلة قوية بين على والشعر ، وأن موقفه منه لم يكن موقف الكاره له أو العازف عنه وبالتالى استمرت حركة الشعر وروايته فى عهده قوية دافقة ، ولم ينشغل عنه العرب بالفتنة وحروبها ، حتى إن علياً كان يعاتبهم على شغفهم الزائد بالشعر فيقول لهم : « إذا تركتكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزين ، تضربون الأمثال وتناشدون الأشعار[٤] » .

ومن الأخبار التى تبين مدى اهتمام الصحابة بالشعر وروايته ، ما يروى عن حفظ أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر للشعر ، واستنشادها إياه وتمثلها به ،

---

(١) أبو زبيد الطائى هو حرملة بن المنذر ، كان شاعراً معمراً ، عاش خمسين ومائة عام ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانياً . انظر معجم الأدباء لياقوت الحموى تحت اسم الشاعر

(٢) صبح الأعشى للقلقشندى حـ ١ ص ٢٧٢ .

(٣) جمعها أحمد تيمور وطبعتها لجنة نشر المؤلفات التيمورية سنة ١٩٥٨ بعنوان « على ابن أبى طالب — شعره وحكمه » .

(٤) خزانة الأدب للبغدادى حـ ١ ص ٢٠٦ .

من ذلك قولها « إني لأروي ألف بيت للبيد ، وإنه أقل ما أروي لغيره[١] »
وفي خبر آخر أنها كانت تروي جميع شعر لبيد[٢] .

ومن ذلك قولها : « لقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك[٣] » .

ويؤكد غزارة حفظها وسعة روايتها للشعر ما يروى عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : « ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة ، فقيل له : ما أرواك يا أبا عبد الله ؟ قال : وما روايتي في رواية عائشة[٤] » .

ومن تمثلها بالشعر في بعض المواقف ، أنه لما مات أخوها عبد الرحمن أنشدت قصيدة بائية لحُجيّة بن المضرب الكندي في أخيه سعدان بن المضرب متمثلة بها[٥] . كما تمثلت بشعر للمعقّر بن أوس بن حمار البارق ، حين بلغها موت علي بن أبي طالب[٦] .

ويؤثر عنها كلمات تحث فيها على تعلم الشعر وروايته ، لما له من أثر حميد على فصاحة اللسان وعذوبة منطوقه ، إذ تقول : « رَوّوا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم »[٧] .

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٦ ص ١٢٥ .
(٢) العمدة لابن رشيق حـ ١ ص ١١ .
(٣) المزهر للسيوطي حـ ٢ ص ٣٠٩ .
(٤) الاستيعاب لابن عبد البر حـ ٤ ص ١٨٨٣ .
(٥) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٣٤ .
(٦) نفسه ص ٢٠٤ .
(٧) العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٦ ص ١٢٥ .

وكانت أختها أسماء كذلك تحفظ الشعر وترويه ، وإن لم تكن بدرجة عائشة ، فقد روى عنها ابنها عروة قصيدتين ، واحدة لزيد بن عمرو بن نفيل والثانية لورقة بن نوفل(١) .

ومن الصحابة الذين عرفوا بعلمهم الغزير بالشعر وروايته عبد الله بن عباس ، وكان اهتمامه بالشعر ضرورة اقتضاها تفقهه فى الدين ، وعنايته بتفسير آيات القرآن الكريم ، فإذا سئل عن شيء منه أنشد شعراً لتأكيد المعنى الدقيق للفظة أو العبارة التى هى موضع السؤال ، من خلال استعمال العرب لها فى أشعارهم ، وكان يقول : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه فى أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب »(٢) .

ويروى أن أعرابياً أتى ابن عباس شاكياً من ظلم أخيه له فقال :

تَخَوَّفَنى مـا لى أخٌ لى ظـالمٌ
فلا تخذُلَنِّى اليومَ يا خـيرَ من بقى

فقال ابن عباس : تخوفك أى تنقصك ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! « أو يأخذهم على تخوف » أى تنقص من خيارهم(٣) .

وكان فقه ابن عباس بالإسلام ، وعلمه بتعاليمه وأحكامه ، يتيح له تفهماً سليماً لموقف الإسلام من الشعر ، فلم يكن متشدداً إزاء شعر الغزل ، ولم يتحرج أن يستمع إلى عمر بن أبى ربيعة شاعر الغزل المشهور ، ويوليه

---

(١) الأغانى للأصفهانى ﺣ ٣ ص ١٢٤ — ١٢٥ .
(٢) العمدة لابن رشيق ﺣ١ ص١١ وقريب من ذلك فى المزهر للسيوطى ﺣ ٢ ص٣٠٢ وشرح الحماسة للتبريزى ﺣ ١ ص ٣ .
(٣) أمالى القالى ﺣ ٢ ص ١١٢ .

اهتمامه دون من أتى إليه يسأله فى أمور الدين . فيروى أن عمر بن أبى ربيعة طلع عليه فسلم وجلس ، فقال ابن عباس : ألا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فأنشده :

أمِنْ آلِ نُعمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ
غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى أتمها ، وهى ثمانون بيتاً ، فقال ابن الأزرق : لله أنت يا بن عباس أنضرب إليك أكباد الإبل ، نسألك عن الدين فتعرض ، ويأتيك غلام من قريش ؟ فينشد سفهاً فتسمعه ؟ قال : تا الله ما سمعت سفهاً ، ثم أنشده القصيدة كلها (١) .

وهذا الإقبال من ابن عباس على الشعر وحسن تذوقه له ، يفسر لنا سعة محفوظة منه وروايته له ، وفى الخبر الذى سبق ذكره عن عمر بن الخطاب ، وتفضيله لشعر زهير ، وما دار بينه وبين ابن عباس فى ذلك ، حتى أنه طلب من ابن عباس أن ينشده من شعره ، حتى برق الفجر (٢) . فى هذا الخبر ما يدل دلالة قوية على سعة علمه ودرايته بالشعر وروايته .

وكانت رواية الشعر أمراً شائعاً بين الصحابة ، حيث يجدون فيه ترويحاً عن نفوسهم ، وتوافقاً مع جبلتهم العربية ، وتجاوباً مع سليقتهم التى طبعت على حب هذا الفن . ولعلهم وجدوا فيه خلاصاً من الحرج الذى يتعرضون له برواية الحديث الشريف عن رسول الله (ص) خشية من الوقوع

---

(١) الكامل للمبرد ص ٥٧٠ — ٥٧١ .

(٢) الاغانى حـ ١٠ ص ٢٨٨ — ٢٩١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة حـ ١ ص ٩٣ ، والفائق للزمخشرى حـ ٢ ص ١٦٥ .

فى تحريفه أو الكذب عليه ، وقد حذرهم من ذلك فى حديثه المشهور « من كذب متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[١] .

وفى وصية لعمر بن الخطاب ، أوصى بها جماعة من الصحابة وهو يشيعهم قبل رحيلهم إلى الكوفة بقوله « إنكم تأتون إلى أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله (ص) ، امضوا وأنا شريككم[٢] » ففى هذه الوصية تذكير بالإقلال فى رواية الحديث ، وتثبيت لدواعى الحرج منها .

من أجل ذلك كان كثير من الصحابة يتخففون من عبء هذا الحرج، باللجوء إلى رواية الشعر وإنشاده ، ففى خبر عن أحدهم واسمه مطرف قال : « خرجت مع عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى علينا يوم إلا ينشدنا فيه شعراً ويقول : إن لكم فى المعاريض لمندوحة عن الكذب[٣] » وهو إذ يرى فى إنشاد الشعر انطلاقاً مأموناً يبعده عن الوقوع فى الكذب ، نراه فى قول آخر له ، يبرر فيه تحرجه من رواية الحديث ، يقول : « والله إن كنت لأرى أنى لو شئت لحدثت عن رسول الله (ص) يومين متتابعين، ولكن بطأنى عن ذلك أن رجالا من أصحاب رسول الله (ص) سمعوا كما سمعت ، وشهدوا كما شهدت ، ويحدثون أحاديث ما هى كما يقولون ، وأخاف أن يشبه لى كما شبه لهم[٤] » .

* * *

(١) أنظر النص الكامل للحديث فى تقييد العلم للخطيب البغدادى ص ٢٩ .

(٢) طبقات ابن سعد حـ ٦ ص ٢ .

(٣) نفسه حـ ٤ ق ٢ ص ٢٦ . وعمران بن حصين صحابى توفى سنة ٥٢ هـ .

(٤) نفسه .

٢ ـ رواية الشعر في عهد الأمويين :

واستمرت عناية العرب برواية شعرهم في عصر بني أمية ، يدل على اهتمامهم بذلك ما أوردته المصادر من أخبار كثيرة تؤكد هذه الحقيقة ، ولم يكن موقف معاوية من أهمية رواية الشعر وتعلمه يختلف عن موقف أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة . يوضح ذلك أنه حين بعث إليه زياد ابن أبيه بولده ، فكاشفه عن فنون من العلم ، فوجده عالماً بكل ما سأله عنه ثم استنشده الشعر ، فقال : لم أرو منه شيئاً ! فكتب معاوية إلى زياد : « ما منعك أن ترويه الشعر ؟ فوالله إن كان العاق ليرويه فيبر ، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل »[١] .

وكانت لمعاوية مجالس أدبية ، ينشده فيها الشعر من يحضرها من الرواة والعلماء والأعراب ، وينشدهم هو ما يحفظ من الشعر فيها . ويستمع من محدثيه إلى أحاديث العرب وأخبارها . وكان من محدثيه وقصاصيه النخار ابن أوس وعبيد بن شرية الجرهمي . ولشدة شغفه بالمسامرة وأخبار الماضين ، قال مرة للنخار بن أوس : « ابغني محدثاً . قال : ومعي يا أمير المؤمنين تريد محدثا ؟ ! قال : نعم ، استريح منك إليه ومنه إليك »[٢] .

ويروى أنه في أحد مجالسه التفت إلى عبد الله بن الزبير وقال متمثلا :

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه حـ ٦ ص ١٢٥ والمزهر للسيوطي حـ ٢ ص ٣١٠ ـ ٣١١ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ حـ ١ ص ٣٢٣ .

ورامٍ بعُوران الكلام كأنها
نوافر صبحٍ نفّرتها المراتعُ
وقد يدحض المرء المواربَ بالخنا
وقد تدرك المرءَ الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع . فقال : أترويه ؟ قال : لا . فقال : من ها هنا يروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرويها يا أمير المؤمنين . فقال أنشدنى ، فأنشده حتى أتى عليها ... فزاد معاوية فى عطائه(١) .

ودخل ابن أبى محجن الثقفي على معاوية فقال له معاوية : أبوك الذى يقول :

إذا مت فادفنّى إلى جنب كرمةٍ
تروّى عظامى بعد موتى عروقُها
ولا تدفننى فى الفلاة فإننى
أخاف إذا ما مِتُّ أن لا أذوقها

فقال ابن أبى محجن : لو شئتَ ذكرت أحسن من هذا من شعره . قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لا تسألى الناسَ ما مالى وكثرتُه
وسائلى القوم ما حزمى وما خلقى

---

(١) الأغانى للأصفهانى ج ٣ ص ١٠٠ — ١٠١ .

القـــوم أعـــلم أنى من سراتـهم
إذا تطيش يــد الرعديدة الفَــرِقِ

قـد أركب الهـولَ مسدولاً عساكرُه
وأكتم السرَّ فيـــه ضربةُ العنق(١)

وخاصم رجل إلى معاوية فى ابن أخيه ، فجعل الرجل يحج خصمه . فقال معاوية : أنت كما قال أبو دواد :

أنّى أتيحَ لهــــا حرباء تَنْضيَةٍ
لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا(٢)

ولم يكن عبد الملك بن مروان فى اهتمامه بالشعر وروايته بأقل من معاوية ، ويبدو ذلك واضحاً فى قوله لمؤدب ولده : « روِّهم الشعر ، يمجدوا وينجدوا »(٣) ويدل على علمه بالشعر ومعرفته بجيده قوله : « إذا أردتم الشعر الجيد ، فعليكم بالزرق من بنى قيس بن ثعلبة ، وبأصحاب النخل من يثرب ، وأصحاب الشعف من هذيل »(٤) .

وكان حريصاً على الاستزادة فى علمه بأشعار العرب وأخبارهم ، روى ياقوت أنه كتب إلى الحجاج : « انظر لى رجلا عالماً بالحلال والحرام ، عارفاً

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ ١ ص ٣٨٨ .

(٢) الفائق للزمخشرى جـ ١ ص ٢٤٠ . التنضية : شجرة ضخمة . والشاعر يصف الظعن ، ويتعجب كيف أتيح لها سائق حازم ، ويضرب المثل له بالحرباء الذى لا يفارق غصن الشجرة حتى يمسك غصناً آخر فيثب عليه .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٦ ص ١٢٥ .

(٤) نفسه جـ ٦ ص ١٢٤ .

بأشمار العرب وأخبارهم ، أستأنس به ، وأصيب عنده معرفة ، فوجهه إلى من قبلك . فوجه إليه الشعبي ، وكان أجمع أهـل زمانه ، قال الشعبي : فلم ألق واليا ولا سوقة إلا وهو محتاج إلى ولا أحتاج إليه ، ما خلا عبدالملك ، ما أنشدته شعراً ، ولا حدثته حديثاً إلا وهو يزيدني فيه ، وكنت ربما حدثته وفي يده اللقمة فأمسكها ، فأقول : يا أمير المؤمنين ، أسغ طعامك ، فإن الحديث من ورائه ، فيقول : ما تحدثني به أوقع بقلبي من كل لذة ، وأحلى من كل فائدة »[١] .

وكثيراً ما كان عبد الملك يتمثل بالشعر وينشده ، روى ابن قتيبة أن وفداً من أهل الكوفة وفدوا عليه ، فلما دخلوا عليه وكلمهم رأى فيهم رجلا آدم طويلا ، فكلمه فأعجبه بيانه ، فلما تولى تمثل عبد الملك بقول عمرو بن شأس :

وإن عِراراً إن يكن غيرَ واضحٍ
فإني أحب الجَونَ ذا المنكب العَمَمْ

فالتفت الآدم إلى عبد الملك فضحك ، فقال عبد الملك : على به ، فلما جيء به قال : ما أضحكك ؟ قال أنا يا أمير المؤمنين عرار ! فأقعده وقدمه وسامره[٢] .

ودخل ابراهيم بن متمم بن نويرة على عبد الملك فرأى فيه عقلا وفضلا ، فقال له : أنشدنا بعض مراثي أبيك عمك . فأنشده قصيدته التي مطلعها :

---

(١) معجم الادباء لياقوت الحموي ج ١ ص ٩٦ — ٩٧ .

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٨ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٣ — ٢١٤ .

نعم الفوارسُ يومَ نُشبةَ غادروا
تحتَ التراب قتيلَك ابنَ الأزور (١)

وكان عبد الملك يقتبس معانى الشعراء فى مكاتباته ، فتبدو كألغاز لا يفهمها إلا من يعرف أقوال الشعراء ويحفظها ، من ذلك أنه كتب إلى الحجاج : « أنت عندى كسالم . فلم يدر ما هو ، فكتب إلى قتيبة يسأله ، فكتب إليه : إن الشاعر يقول :

يديروننى عن سالمٍ وأديرهم
وجلدةُ بين الأنفِ والعين سالمُ

وكتب إليه مرة أخرى : « أنت عندى قِدْحُ ابن مقبل . فلم يدر ما هو . فكتب إلى قتيبة يسأله — وكان قتيبة بن مسلم راوية عالماً قد روى الشعر — فكتب إليه : أن ابن مقبل نعت قدحاً له فقال :

مُغَذًّى مُؤَدًّى باليدين ملعَّنٌ
خليعُ قداحٍ فائزٌ مُتَمَنِّحُ
خروجٌ من الغُمَّى إذا صُكَّ صكةً
بدا والعيونُ المستكفَّةُ تلمَحُ (٢)

وعلى هذا النحو كان الخلفاء والأمراء الأمويون يولون الشعر عناية بالغة ، ويهتمون بروايته والتحقق من صحته اهتماماً كبيراً ، وقد ذكر الأصمعى شغفهم بالعلم فقال : « كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام فى بيت من الشعر ،

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٢٤٠ .

(٢) أمالى القالى ج١ ص ١٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ٩٧ . المتمنح : المستعار . الغمى : الجماعة من القداح . المستكفة : المحدقة به .

أو خبر ، أو يوم من أيام العرب ، فيبردون به بريداً إلى العراق . وقال غيره : كنا نرى فى كل يوم راكبا من ناحية بنى أمية ينيخ على باب قتادة ، يسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، وكان قتادة أجمع الناس . وقال عامر بن عبد الملك المسمعى : كان الرجلان من بنى مروان يختلفان فى بيت شعر ، فيرسلان راكبا إلى قتادة يسأله »[١] . وذكر أبو الفرج فى حديثه عن الزهرى أنه كان راوية للشعر يحفظ الكثير منه[٢] . وأن الخلفاء الأمويين كانوا يرسلون إليه يسألونه عن الشعر والشعراء[٣] .

ولم يكن الاهتمام بالشعر وروايته وقفا على الخلفاء والأمراء الأمويين ، بل كان سادة القوم من الولاة والأشراف والقواد يولونه مثل ذلك الاهتمام ، وقد مر بنا منذ قليل مايبين علم القائد قتيبة بن مسلم بالشعر ، حتى إن الحجاج كان يرسل إليه يسأله فيما يشكل عليه من أمره . كذلك كان الولاة يعقدون المجالس التى يتذاكرون فيها أخبار العرب وأشعارهم . فيروى أن سعيد بن العاص — وكان واليا على المدينة — فبينا هو يعشى الناس ، وهم يخرجون أولا أولا ، إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر رث الهيئة ، جالس مع أصحاب سمره ، فذهب الشرط يقيمونه فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة ، فقال : دعوا الرجل . فتركوه ، وخاضوا فى أحاديث العرب وأشعارها مليا ، فقال لهم الحطيئة — وكان هو ذلك الرجل — : والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب . فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئا ؟ قال : نعم . قال : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذى يقول :

---

(١) التصحيف والتحريف العسكرى ص ٤ . وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٥١ — ٥٢ .
(٢) الأغانى للأصفهانى جـ ١١ ص ٢٣ .
(٣) نفسه جـ ٤ ص ٤٨ .

لا أعدُّ الإقتارَ عُـــدماً ولـكن

فقدُ من قد رزئتُه الإعـــدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : من يقولها ؟ فقال : أبو دؤاد الإيادى . قال : ثم من ؟ قال : الذى يقول :

أفلِـحْ بمـا شئتَ فقـد يدركُ بالـ

ـجهـــلِ وقـد يُخـــدعُ الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها . قال : ومن يقولها ؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : ثم من ؟ قال : والله لحسبك بى عند رغبة أو رهبة »[١] .

ونخبر الحطيئة هذا يسوقنا إلى التعرف على دور الشعراء فى ذلك العصر فى رواية الشعر وحفظه ، وهم — بطبيعة الحال — ألصق الناس به وأقربهم إليه ، وأقدرهم على حفظه وتمييز مراتب جودته . ولم يعد الشاعر منهم يكتفى برواية شعر شاعر بذاته يتتلمذ له ، كما كان الأمر فى الجاهلية ، وإنما حرص على أن يروى الشعر لشعراء كثيرين يتتلمذ لهم ويأخذ عنهم ، ليشتد عوده ، وتزداد ذخيرته الأدبية ، وتتعدد ينابيع شاعريته ، وليتمكن من شق طريقه الشعرى وسط هذا الزحام المتدافع من الشعراء المتنافسين . وفى أخبار العديد من هؤلاء الشعراء ما يؤكد هذه الحقيقة ، فقد أوردت مصادر الأدب عن الكميت والطرماح أنهما كانا راويتين عالمين بلغات العرب ، خبيرين بأيامها وأنسابها ، ومناقبها ومثالبها[٢] . وبلغ بهما الأمر أن اتخذا من رواية الشعر

(١) الأغانى للأصفهانى ج ٢ ص ١٦٧ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٤٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦٧ ، وانظر مصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ص ٢٢٥ .

حرفة لتأديب الفاشئة[١] . كما أوردت تلك المصادر أخباراً مختلفة عما أخذه العلماء من روايات الشعراء لأشعار السابقين عليهم من جاهليين وإسلاميين ، وما أبدوه من آراء وأحكام نقدية على أشعارهم ومن هؤلاء ذو الرمة والفرزدق وجرير ورؤبة وغيرهم[٢] .

ويؤكد اهتمام الشعراء برواية شعر من سبقهم من شعراء الجاهلية والإسلام ما نجده من افتخار بعضهم بحفظه والعلم به ، واعتزازهم بمعرفة طرائق الفحول منهم وتمييز مذاهبهم الفنية ، على نحو ما نجد عند الفرزدق وسراقة البارقى ، وفى ذلك يقول الفرزدق[٣] :

وهبَ القصائدَ لى النوابغُ إذْ مَضَوْا
وأبو يزيدَ وذو القُروح وجرولُ[٤]

والفحلُ علقمةُ الذى كانت لـه
حللَ الملوكِ كلامُه لا يُنحلُ

وأخو بنى قيسٍ وهنَّ قتلْنَـه
ومهلهلُ الشعراءِ ذاك الأولُ[٥]

والأعشيان كلاهما ومرقِّش
وأخو قضاعةَ قولُه يُتَمثّلُ[٦]

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢٥١ ، ج ٢ ص ٣٢٣ . وانظر العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص ١٤٦ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلى للدكتور ناصر الدين الأسد ص ٢٢٥ — ٢٣٠ .
(٣) نقائض جرير والفرزدق ص ٢٠٠ — ٢٠١ وديوان الفرزدق ص ٧٢٠ — ٧٢١ .
(٤) النوابغ هم : الذبيانى والجعدى والشيبانى . أبو يزيد : المخبل . ذو القروح : امرؤ القيس . جرول : الحطيئة .
(٥) أخو بنى قيس هو طرفة الذى قتل بسبب هجائه لعمرو بن هند .
(٦) يقصد أعشى قيس وأعشى باهلة . وأخو قضاعة : أبو الطمحان القينى .

وأخو بنى أسد عبيدٌ إذ مضى
وأبو دوادٍ قوله يُتنخَّل

وابنا أبى سلمى زهيرٌ وابنه
وابن الفريعة حين جد المقول(١)

والجعفرىُّ وكان بشرٌ قبله
لى من قصائده الكتابُ المجمل(٢)

ولقد ورثت لآل أوسٍ منطقاً
كالسم خالط جانبيه الحنظل(٣)

والحارثى أخو الحماس ورثته
صدعاً كما صدعَ الصفاةَ المِعوَل(٤)

فهو يذكر عديداً من فحول شعراء الجاهلية ، كما يذكر عديداً من المخضرمين وشعراء الإسلام كحسان وكعب بن زهير ولبيد والحطيئة والنابغة الجعدى وأبى الطمحان القينى والنجاشى الحارثى ، وهذا يعنى أن شعراء الإسلام كان لشعرهم مكانته لديه ولدى غيره من شعراء العصر الأموى .

كذلك يسرد سراقة البارقى فى قصيدته كثيراً من أسماء الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، مشيداً بفحولتهم وتفوقهم ، وإن كان يحاول فى بعض أبياته أن يعلى من شأن نفسه ، ويثبت تفوقه عليهم كما فى قوله(٥) :

---

(١) ابن الفريعة : حسان بن ثابت .
(٢) الجعفرى : لبيد . وبشر هو ابن أبى خازم الأسدى .
(٣) يقصد أوس بن حجر .
(٤) الحارثى : قيس بن عمرو المعروف بالنجاشى .
(٥) ديوانه ص ٦٤ — ٧١ ، تحقيق دكتور حسين نصار ط لجنة التأليف سنة ١٩٤٧ .

ولقـــد أضبت من القريض طريقـة
أعيت مصـــادرها قرين مهلهــــل

وبنـو أبى سلمى يقصّر سعيهـــم
عنها كما قصرت ذراعا جـــرول

إلا أن ذكره لهؤلاء الشعراء مشيداً بهم أو بنفسه يدل دلالة واضحة على معرفته بشعرهم وروايته له .

وكانت المساجد الجامعة فى مدن الأمصار الإسلامية ساحة للوعظ والعلم ، وفيها أخذ القصاص يعظون الناس بذكر أحداث السيرة النبوية التى حظيت باهتمام الرواة ، من أمثال عروة بن الزبير وأبان بن عثمان بن عفان ، وفى خلال سردهم لتلك الأحداث ، وما تضمنته من غزوات وبطولات إسلامية ، كانوا يروون ما قيل فيها من أشعار[١] . وكان عروة راوية للشعر إلى جانب علمه بالسير والمغازى ، ففى رواية عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : « ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة »[٢] . فرواية القصاص للسيره وأشعارها فى المساجد قد وسع دائرة الاهتمام بها لدى جمهور المسلمين .

من كل ذلك يستبين لنا أن العرب لم يتوقفوا عن رواية الشعر وإنشاده لأى سبب من الأسباب ، وأنهم بعد دخولهم فى الإسلام ، وانشغالهم بدعوته وغزواته وفتوحاته ، لم يلهوا عن الشعر وروايته كما زعم ابن سلام ، بل ظل اهتمامهم به قائماً لم يضعف ولم يفتر فى أى فترة من الفترات ، وإذا كان

---

(١) انظر العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص ١٤٦ ، والبيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٩ .

(٢) الاستيعاب لابن عبدالبر جـ ٤ ص ١٨٨٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٠٨ .

الكثيرون منهم قد شغلتهم أحداث الجهاد والفتوحات فى عهود الخلفاء الراشدين وبنى أمية ، أو ما صحب ذلك من فتن وثورات وحروب داخلية ، فإن حركة الشعر ؛ رواية وإنشاداً ، وقرضاً ونظماً ، قد ظلت على نشاطها وحيويتها ، بل زادت نشاطاً وحيوية وازدهاداً ، وفى هذا الإطار حظى شعراء السيرة النبوية بكثير من عنايتهم واهتمامهم .



٣ ــ تدوين شعر السيرة :

لم تكن الرواية الشفوية هى الوسيلة الوحيدة التى نقل بها شعر السيرة النبوية عبر الأجيال ، حتى تدوينها على أيدى العلماء الذين وصلت مصنفاتهم إلينا ، إذ كانت الكتابة وسيلة أخرى لنقل هذه الأشعار إلى جانب الرواية الشفوية . فهذه حقيقة تثبتها الشواهد والأدلة التى أوردتها مصادر التراث المختلفة .

وفى مقدمة هذه الأدلة تأتى أخبار تثبت أن بعض أشعار السيرة كانت تكتب فى حينها ، منها تلك الأبيات التى كتبها كعب بن زهير وأرسلها إلى أخيه بجير يلومه فيها على اتباع دين محمد ، وترك ما كان عليه آباؤه وفيها يقول :

من مبلغ عنى بُجيراً رسالة
فهل لك فيما قلتُ بالخيف هل لكا ؟

(خمسة أبيات)

ورد عليه بجير بأربعة أبيات مع كتاب يحذره فيه من الخطر الذي يتهدده وفيها يقول :

من مُبلغٌ كعباً فهل لك فى التى
تلومُ عليها باطلاً وهى أحزمُ(١)

ومنها القصيدة التى كتبها كعب بن مالك إلى أبىّ بن خلف وأبى سفيان بن حرب فى يوم أحد ، وكانا قد كتبا إلى الأنصار كتاباً يعاتبانهم فيه على إيوائهم لرسول الله (ص) ويطلبان منهم أن يخليا بينه وبين قريش . وفيها يقول كعب :(٢)

أبلغ أُبيّاً أنه فال رأيُه
وحان غداة الشّعب والحينُ واقعُ

أبىَ الله ما منّاك نفسك إنه
بمرصادِ أمر الناس راءٍ وسامع

وأبلغ أبا سفيان أن قد أضا لنا
بأحمدَ نورٌ من هدى الله ساطع

فلا ترغبنّ فى حشد أمرٍ تريده
وألِّبْ وجمّعْ كلّ ما أنت جامع

ودونك فاعلم أن نقض عهودنا
أباه عليك الرهط حين تبايعوا

(١) انظر الابيات والخبر فى سيرة ابن هشام ق ٢ ص ٥٠١ — ٥٠٢ . وفى مقدمة ديوان كعب ، وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٩١ .

(٢) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٧١ — ٢٧٤ والأبيات فى سيرة ابن هشام ق ١ ص ٤٤٥ وفى ديوان كعب بن مالك .

ثم يذكر أسماء النقباء الإثنى عشر ، الذين بايعوا الرسول (ص) فى العقبة الثانية وعاهدوه نيابة عن قومهم ، مؤكداً تمسكهم بهذا العهد ، وعدم نقضه بأى حال من الأحوال . والقصيدة من أربعة عشر بيتاً .

ويروى أبو الفرج خبراً يثبت أن شعر الأنصار قد كتب فى عهد عمر ابن الخطاب وبأمر منه ؛ وتفصيل الخبر أن عبد الله بن الزبعرى السهمى ، وضرار ابن الخطاب الفهرى ، أنشدا حسان بن ثابت شعراً مما كانا قالاه قبل الإسلام — وكان عمر قد نهى عن إنشاد ذلك الضرب من الشعر لئلا تتجدد الضغائن — ففار حسان حتى صار كالمرجل غضباً ، ثم دخل على عمر ابن الخطاب ، وقص عليه قصتهما ، فأرسل إليهما عمر رسولا فردهما إليه ، ثم دعا لهما بحسان — وعمر فى جماعة من أصحاب رسول الله (ص) — فقال لحسان : أنشدهما مما قلت لهما . فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما ، فوقف . فقال له عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . فقال له : أنشداك فى الخلاء ، وأنشدتهما فى الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيما ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إنى قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً ، دفعاً للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا فاكتبوه واحتفظوا به . فدونوا ذلك عندهم . قال خلاد بن محمد : فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه[1] .

وإذا كان هذا الخبر يؤكد كتابة شعر الأنصار فى عهد عمر ، فلا ينبغى أن يفهم من ذلك أنه لم يكتب قبل ذلك ما داموا يعرفون الكتابة وسيلة لحفظه ، وما دام هذا الشعر ذا مكانة خاصة فى نفوسهم ، إذ يسجل أروع صفحات تاريخهم ، ويعقب الدكتور طه حسين على هذا الخبر بقوله : وسواء

(١) الأغانى للأصفهانى ج ٤ ص ١٤٠ — ١٤١ .

أقال عمر هذا أم لم يقله ، فقد كان الأنصار يكتبون هجاءهم لقريش على ألا يضيع[١] .

ولم تكن كتابة الأشعار أمراً غريباً عليهم ، أو غير مألوف عندهم ، ففي خبر حسان والنجاشي ما يلقي ضوءاً على ذلك ، وتفصيل الخبر أن الأنصار اجتمعت في مجلس ، فتذاكروا هجاء النجاشي إياهم ، وقالوا : من له ؟ فقال الحارث بن معاذ بن عفراء الأنصاري : حسان له ، فأعظم ذلك القوم ، وقالوا : أتأتي حسان فتعرضه النجاشي وإن طعامه ليغلبه من ضعف حنكه وما غلب حسان أحداً قط ، فلعله يغلبه ، لا تفعل . فقال الحارث : والله لا أنزع عني قميصي حتى آتيه فأذكر ذلك له . فتوجه نحوه والقوم كلهم لذلك معظم حتى دق عليه الباب . فقال : من هذا ؟ قال : الحارث بن معاذ . فقال : افتحي يا فريعة لسيد شباب الأنصار ، فلما دخل عليه كلمه ، فقال : أين أنتم عن عبد الرحمن ؟ فقال الحارث : إياك أردنا ، ثم ناوله عبد الرحمن فلم يصنع شيئاً . فوثب حسان وقال للحارث : كن وزاء الباب فاحفظ ما ألقى ، ثم قال :

أبني الحماس أليس منكم ماجدٌ إن المروءةَ في الحماس قليلُ

(ثمانية أبيات) ثم مكث طويلاً في الباب يقول : والله ما أنجزت ، ثم ألقى على هذه الأبيات .

حارِ بن كعب ألا الأحلام تزجركم عني وأنتم من الجوف الجماخير[٢]

(سبعة أبيات) . قال الحارث : فقال لي حسان : اكتبها صكوكا فألقها إلى صبيان الكتاب . ففعلت[٣] .

(١) : الأدب الجاهلي ص ١٣٤ .
(٢) الجماخير : الضعاف المستريحون وأحدها جخور . والجوف : جمع أجوف وهو الخاوي الذي لا ثم فيه .
(٣) ديوان حسان ص ١٧٧ — ١٧٩ وخزانة الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٥ — ٥٦ ط السلفية .

فهذا الخبر فى نهايته يكشف لنا عن حقيقة مهمة ، هى أن الأنصار كانوا يعنون بحفظ شعرهم وتدوينه ، ولم يكونوا يكتفون بروايته مشافهة ، وإذا كانوا يفعلون ذلك بأبيات هجاء عادية ، فكيف بشعرهم فى أحداث السيرة النبوية وهو زاخر بمفاخرهم وأمجادهم العظيمة فى نصرة الإسلام ونبيه الكريم ؟

وهم فى حفظهم لشعرهم لابد أن يذكروا مناقضات مشركى مكة واليهود وغيرهم لهم ، والتى كانت مثار القول فيما بينهم . وإذا كان ابن الزبعرى وضرار بن الخطاب — فى خبرهما السابق مع حسان — قد أنشداه من شعرهما فى تلك المناقضات ، على الرغم من الحظر الذى فرضه عمر على تلك الأشعار المثيرة للضغائن ؛ فهذا يعنى أنهما لم ينسيا أو يهجرا تلك الأشعار بعد دخولهما فى الإسلام ، وأنهما كانا يحفظانها ويعاودان إنشادها كلما حانت فرصة لذلك ، ولا يستبعد أنها كانت مكتوبة لديهما ، والأمر كذلك بالنسبة لغيرهما من شعراء مكة أو سواهم .

ولا يقف الاهتمام بكتابة الشعر على الشعراء وحدهم ، بل تتسع دائرة هذا الاهتمام لتشمل الكثيرين من الراغبين فى حفظ الشعر وإنشاده ، والعربى بطبيعته شديد الانجذاب إليه ، يحب سماعه ، ويحب إنشاده والتغنى به ، وهذا يدفعه إلى تدوين ما يعجبه من أشعار ، لتكون بين يديه يراجعها ويرددها وقتما يشاء حتى يحفظها ويستظهرها ، ويستطيع أن ينشدها مشافهة فى منتديات القوم وفى مجالسهم ، أو فى المواقف التى تستدعى ذلك . ولا نقول إن كل عربى كان يعرف الكتابة ويتخذها وسيلة لتدوين الشعر ، فمن المعروف أن الأمية كانت شائعة بينهم ، غير أن الإسلام قد حثهم على العلم

والتعلم ، وتزايدت أعـداد المتعلمين منهم وخاصة فى المدينة ومـكة مع ظهور الإسلام ، ثم فى غيرهما من المدن والأقاليم الأخرى مع انتشاره .

ومما لا شك فيه أن تزايد أعداد من يعرفون الـكتابة والقراءة ، قـد ساعد على تحقيق رغبات الـكثيرين ، فى حفظ الأشعار عن طريق تدوينها ، إضافة إلى ما كانوا يعتمدون عليه من حفظهـا بطريق الرواية الشفوية ، يؤيد ذلك ما ذكره الزمخشرى فى خبر عن طلحة رضى الله عنه ، أنه أنشد قصيدة ، فما زال شائقا ناقته حتى كتبت له تلك القصيدة(١) .

وقد عرفنا مدى علم عبد الله بن عباس بالشعر وروايته ، فهل يذهب بنا الظن إلى أنه حصل هذا العلم بالرواية الشفوية دون تدوين له ؟ إن مثل هـــذا الظن لا يستقيم مع المنطق . فالمحقق أن ابن عباس كان يحرص على تدوين هذا العلم ، سواء منه ما يتصل بالشعر أو بغـيره . ففى خبر أنه حاج عمرو بن العاص فى مجلس معاوية فى آية . فقال عمرو : تغرب فى عين حامية . وقال ابن عباس : حمئة . فلما خرج إذا رجل من الأزد قال له : بلغنى ما بينكما ، ولو كنت عندك أفدتك بأبيات قالها تبع :

فرأى مغـــارَ الشمس عنـد غروبها
في عين ذى خُلُبٍ وثَأطٍ حـــرْمدِ

فقال ابن عباس : اكتبها يا غلام(٢) .

(١) الفائق للزمخشرى ج ١ ص ٦٧٧ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٩٧ . الخلب : الطين اللزج . الثأط : الحمأة . الحرمد : الأسود .

وذكر الجاحظ أن ابن عباس سمع قول عثمان بن أبى العاصى الثقفى لبنيه : «يا بنى ، إنى قد أمجدتكم فى أمهاتكم ، وأحسنت مهنة أموالكم ، وإنى ما جلست فى ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه . والناكح مغترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين » . فقال ابن عباس يا غلام اكتب لنا هذا الحديث[١] .

وقد دون ابن عباس من علمه كتباً كثيرة يروى أنها تبلغ حمل بعير ، وأنها أودعت لدى موسى بن عقبة ، فكان على بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه : ابعث إلى بصحيفة كذا وكذا ، فينسخها ويبعث بها[٢] . وهذه الكتب كانت تتضمن الحديث والتفسير وما يتصل به من أسباب النزول وأحكام القرآن[٣] . إلى جانب ما تضمنته من أشعار.

ومر بنا أن عروة بن الزبير كان من أروى الناس للشعر ، وهو ممن كتب السير والمغازى[٤] . بل يقال إنه أول من صنف فيها[٥] ، كذلك كان يدونها غيره من معاصريه ، مثل أبان بن عثمان بن عفان ، وقد أخذها عنه المغيرة بن عبد الرحمن ، وكانت كثيراً ما تقرأ عليه[٦] . ولا يغيب عنا ما كانت تتضمنه تلك السير والمغازى من أشعار كثيرة ، واكبت أحداثها وقيلت فيها .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٦٧ .
(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢١٦ .
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٥٠ — ٥١ — ٥٧ .
(٤) انظر بعض ما نقله الطبرى من رواياته ج ١ ص ١١٨٠ ، ١٢٨٤ ، ١٦٣٤ ط ليدن
(٥) كشف الظنون لحاجى خليفة ج ٥ ص ٦٤٦ .
(٦) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ .

وكما رأينا عناية خلفاء بنى أمية برواية الشعر وإنشاده ، فإننا نراهم كذلك يعنون بتدوين تلك الأشعار وغيرها من ضروب العلم . فمعاوية بن أبى سفيان كانت له ساعات من كل يوم يقعد فيها ، فيحضر غلمانه الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها[1] . وكانت من جملة تلك الأحاديث ؛ أحاديث عبيد بن شرية عن وقائع العرب وأخبارها وأشعارها ، فكان معاوية يأمر أهل ديوانه وكتابه أن يوقعوا هذه الأحاديث ويدونوها فى الكتب[2] .

وكان عبد الملك بن مروان يعنى بتدوين أخبار العرب وأشعارها[3] . وكذلك كان ابنه الوليد ، إذ نصب كاتباً خاصاً لكتابة المصاحف والشعر والأخبار هو خالد بن الهياج[4] .

أما الوليد بن يزيد فقد جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ، وقد استعان على ذلك بأن استعار من حماد وجناد راويتى الكوفة ما عندهما من الكتب والدواوين فدونها عنده ، ثم رد إليهما كتبهما[5] . وليس غريباً أن يبدى الوليد هذا الاهتمام بجمع أشعار العرب، فمن المعروف أنه كان شاعراً مجيداً ، ويروى أنه حينما قتل حملت الدفاتر على الدواب من خزائنه ، وكانت من علم الزهرى[6] .

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٤٠ — ٤١ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٣٢ . وأخبار عبيد بن شرية ص ١١٣ .
(٣) خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ١٢٤ .
(٤) الفهرست لابن النديم ص ٩ — ١٠ .
(٥) نفسه ص ١٣٤ .
(٦) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٣٦ .

وقد نشطت حركة التدوين في العصر الأموى نشاطاً واسعاً ، أسهم فيه العلماء والشعراء والرواة ، إلى جانب ما لقى من رعاية الخلفاء وتشجيعهم ، وحظى الشعر بنصيب موفور من هذا النشاط ، على نحو ما رأينا ، وما تورده المصادر من أقوال تؤكده ؛ منها قول شعبة : كنت أجتمع أنا وأبو عمرو ابن العلاء عند أبى نوفل بن أبى عقرب فأسأله عن الحديث خاصة ، ويسأله أبو عمرو عن الشعر واللغة خاصة ، فلا أكتب شيئاً مما يسأله عنه أبو عمرو، ولا يكتب أبو عمرو شيئاً مما أسأله أنا عنه[١]. ويروى أن كتب أبى عمرو ملأت بيتاً له إلى قريب من السقف[٢].

ومما يروى عن حماد قوله : « أرسل الوليد بن يزيد إلى بمائتى دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحملى إليه على البريد . قال ، فقلت : لا يسألنى إلا عن طريق طرفيه قريش وثقيف ، فنظرت فى كتابى قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بلى ، فأنشدته منها ما استحسنه ، ثم قال : أنشدنى فى الشراب — وعنده وجوه من أهل الشام — فأنشدته .. »[٣]. ويروى أن حماداً كان فى أول أمره يتشطر ، ويصحب الصعاليك واللصوص فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ[٤] . وفى ذلك دليل على اتصال حلقات تدوين الشعر ، ثم إن ما ذكره حماد عن الجزء المكتوب من

(١) المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٣٢١ .

(٣) الأغانى للأصفهانى ج ٦ ص ٩٤ .

(٤) نفسه ج ٦ ص ٨٧ .

شعر الأنصار ، أو كتابي قريش وثقيف ، له دلالته الخاصة فيما يتصل بتدوين شعر السيرة .

وذكر ابن سلام في حديثه عن قصيدة أبي طالب التي مدح بها رسول الله (ص) :

وأبيضُ يُستَسقَى الغمامُ بوجهِه
ربيعُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

أنه رأى هذه القصيدة في كتاب كتبهُ يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مائة سنة[١] . ويوسف هذا هو ابن سعد الجمحي مولاهم ، أبو يعقوب ، روى عن عمر وعلي وزيد بن ثابت[٢] . فهو إذن من أوائل التابعين ، مما يرجح أن كتابه هذا كتب في منتصف القرن الأول الهجري على وجه التقريب .

من كل ذلك نرى أن شعر السيرة قد حظي باهتمام كبير في تدوينه ، منذ عهد عمر بن الخطاب ، بل قبل ذلك على نحو ما بينا ، وعلى ذلك يكون كلام ابن سلام عن مراجعة العرب لرواية شعرهم بعد الفتوحات أنهم « لم يئولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب »[٣] يكون كلاماً غير صحيح بالنسبة لشعر السيرة النبوية على وجه الخصوص ، إذ تنقضه تلك

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٢٠٤ .

(٢) راجع ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري ج ٦ ص ٣٧٣ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١١ ص ٤١٣ .

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٢٢ .

الأدلة التى عرضنا لها . والتى تؤكد عناية المسلمين بتدوينه جيلا بعد جيـل ، وأن هذه المدونات وصلت إلى أيدى العلماء الذين كتبوا عن السيرة النبوية تفصيلا أو إيجازاً ، وضمنوها تلك الأشعار التى قيلت فى أحداثها . أو كتبوا عن الشعراء الذين شاركوا فيها بشعرهم ، ثم كان لـكثير مما كتبوه البقاء على مر العصور حتى وصل إلى عصرنا الحديث .

* * *

الفصل الرابع

رواة شعر السيرة

شارك فى رواية شعـــر السيرة رواة عديدون ، نقلوه بطريق المشافهة والتدوين . جيلا بعد جيل — على نحـــو ما رأينا فى الفصل السابق — وتتابعت طبقات هؤلاء الرواة ، حتى أوصلوه إلى أيدى العلماء الذين عنوا بجمع أحداث السيرة النبوية وتصنيفها ، كما عنوا فى الوقت نفسه بتدوين الأشعار التى واكبت تلك الأحداث .

وحيث أن الإسناد فى الرواية الأدبية لم يكن أمراً لازما بدرجة لزومه فى الحديث الشريف[1] ، فليس غريباً أن نجد كثيراً من المصادر التى أوردت شعر السيرة مغفلة لأسانيد رواياته . بينما نجـد بعضها حريصاً على ذكر تلك الأسانيد ، توخياً للدقة والصواب ، ودفعاً لتهمة التصحيف ، التى كانت تلصق بمن يأخذ روايته عن صحف مكتوبة دون سماع من الشيخ[2] .

ومن خلال الأسانيد التى عنى بذكرها أصحاب بعض المصادر ، كابن هشام وابن سعد والبلاذرى والطبرى وأبى الفرج الأصفهانى وغيرهم ، يمكننا أن نتعرف على أهم الرواة ، الذين ورد ذكرهم بكثرة فى تلك الأسانيد ،

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى لناصر الدين الأسد . ص ٢٧٩ .

(٢) نفسه ص ٢٨٠ .

والذين اضطلعوا برواية أشعار السيرة ، لنترجم لهم ترجمة تهدف إلى تبين مبلغ علمهم ، وما نالوه من درجات الثقة لدى غيرهم ، أو ما أصابهم من تجريح فى نظر آخرين .

ومما لا شك فيه أن هذه التراجمات لها أهمية لا تنكر فى دراستنا التوثيقية لشعر السيرة ، وتساعدنا على الوصول إلى الرأى الصائب ، أو القريب إلى الصواب فى حكمنا على ذلك الشعر — بشكل عام — من حيث الثقة فى صحته ، أو من حيث تضعيفه والشك فيه .

وفيما يلى نتناول تراجم هؤلاء الرواة حسب الترتيب التاريخى لهم ، بناء على ما أوردته المصادر المختلفة من تحديد لسنى وفاتهم .

الشعبي : (ت ١٠٣ أو ١٠٤ أو ١٠٥هـ) :[١]

هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد الحميرى الشعبي الكوفى ، ولد بالكوفة سنة ١٩هـ . كان محدثا وعالما فى الفقه والمغازى عارفا بالشعر رواية له[٢] .

وهو من الطبقة الأولى من التابعين ، عالم جليل القدر ، ومن رجال الحديث الثقات[٣] . روى عن على بن أبى طالب ، وعائشة ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وسعد بن أبى وقاص ، وزيد بن ثابت ، وعبادة بن الصامت ، وأبى موسى الأشعرى ، والمغيرة بن شعبة ، وأبى سعيد الخدرى ، وسفيان

(١) انظر مصادر ترجمته فى تاريخ التراث العربى لفؤاد سيزجين مجلد ١ جـ ٢ ص ٦٩ .
(٢) نفسه .
(٣) الأعلام للزركلى جـ ٤ ص ١٨ .

ابن عيينة ، وأم سلمة ، وغيرهم . وروى عنه كثيرون كسماك بن حرب ، والأعمش ، ومنصور ، والمغيرة بن شعبة ، وشعبة بن الحجاج[١] .

كان فقيهاً بارعاً وإماماً حافظاً ، يضرب المثل بحفظه ، سئل يوماً عما بلغ إليه حفظه فقال : « ما كتبت سوداء فى بيضاء ، ولا حدثنى رجل بحديث إلا حفظته »[٢] . وقد اتفق العلماء على إمامته وثقته[٣] ، قال سفيان : « لم يدرك مثل ابن عباس فى زمانه ولا مثل الشعبى فى زمانه ، ولا مثل الثورى فى زمانه »[٤] . وقال مكحول : « ما رأيت أعلم من الشعبى »[٥] . وقال ابن سيرين لأبى بكر الهذلى : « الزم الشعبى فقد رأيته يستفتى والصحابة متوافرون »[٦] . وأثنى معاصروه على علمه وتواضعه وفضله وأخلاقه[٧] . وقد اختاره عبد الملك بن مروان سفيراً له إلى ملك الروم ، وعينه عمر بن عبد العزيز قاضياً[٨] . وكل هذه شواهد على ما بلغه من درجات العلم والفضل .

وكان علم الشعبى وحفظه واسعاً ، إذ شمل — إلى جانب الحديث والفقه — المغازى والسيرة والفتوحات ، كما كان واسع الرواية لأشعار

---

(١) الحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو ص ١٩٦ ، والسنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٥٢٢ .

(٢) الأعلام للزركلى ج ٤ ص ١٨ .

(٣) الحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو ص ١٩٧ .

(٤) سيرة أعلام النبلاء للذهبى ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٥) الحديث والمحدثون لمحمد أبو زهو ص ١٩٧ .

(٦) السنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٥٢٣ .

(٧) نفسه .

(٨) تاريخ التراث العربى لفؤاد سيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ٦٩ .

العرب وأخبارهم ، فيروى عنه قوله « لست لشيء من العلوم أقل رواية من الشعر ، ولو شئت لأنشدت شهراً ولا أعيد بيتاً »[١] . وقد مر بنا — في الفصل السابق — أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج ليرسل إليه رجلا عالماً بالحلال والحرام ، عارفاً بأشعار العرب وأخبارهم ليستأنس به ويصيب عنده معرفة ، فوجه إليه الشعبي ، لأنه كان أجمع أهل زمانه[٢]. وقد روى ديوان كعب بن مالك الأنصارى ، كما روى أشعاراً كثيرة لغيره من الشعراء[٣] .

وذكرت المصادر له عدداً من الكتب التى صنفها فى المغازى والفتوح والفقه والحديث ، وهى كتاب « المغازى » وكتاب « الفتوح » وكتاب « المبتدأ » وكتاب « الشورى ومقتل عثمان » وكتاب « الفرائض والجراحات » وكتاب « الكفاية فى العبادة والطاعة » ، وهذه الكتب وإن لم تصل إلينا بنصوصها الكاملة ، فقد وردت منها نصوص كثيرة فيما وصل إلينا من المصادر القديمة[٤] .

الزهـــرى : (ت ١٢٤هـ) :[٥]

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى القرشى المدنى . وتختلف المصادر فى تحديد سنة مولده بين سنة ٥١ أو ٥٦

(١) العقد الفريد لابن عبدربه ج ٣ ص ١٣٥ .
(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ١ ص ٩٦ — ٩٧ .
(٣) ديوان كعب بن مالك . تحقيق سامى العانى ص ١٦٠ .
(٤) انظر بعض التفصيل عن ذلك فى تاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ٦٩ .
(٥) انظر فى ترجمته ومصادرها تاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ٧٤ — ٧٩.

أو ٥٧ أو ٥٨ هـ . وهو من أبرز العلماء التابعين فى الحديث والمغازى والسيرة والشعر والأنساب وعلوم القرآن(١) .

روى الزهرى عن بعض الصحابة ؛ كعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله ، وسهل بن سعد ، والمسور بن مخرمة . كما روى عن كبار التابعين مثل سعيد بن المسيب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير ، وأبان بن عثمان بن عفان وغيرهم ، وروى عنه كثير من علماء الأمصار الإسلامية ، وخاصة من الحجاز والشام ، ومن أشهرهم : عطاء بن أبى رباح ، وابن الزبير المكى ، وعمر بن عبد العزيز ، وعمرو ابن دينار ، وصالح بن كيسان ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، ويونس والأوزاعى ، وابن إسحاق ، وزيد بن أسلم(٢) .

واشتهر الزهرى بعلمه الغزير ، ومعرفته الواسعة ، ومحفوظه الكثير ، يقول عنه الليث بن سعد : « ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، يحدث فى الترغيب فتقول : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعاً جامعاً »(٣) . وقال عمر بن عبد العزيز : « لم يبق أعلم بسنة ماضيه من الزهرى »(٤) . وقال أيوب : « ما رأيت أعلم من الزهرى ، وكان إذا أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شىء »(٥) . وقال الجاحظ : « الذين

---

(١) نفسه .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى جـ ٥ ص ١٣٦ . والسنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٤٩٨ .
(٣) حلية الأولياء لأبى نعيم جـ ٣ ص ٣٦٠ ، والسنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٤٩٨ .
(٤) ، (٥) شذرات الذهب لابن العماد جـ ١ ص ١٦٣ .

بثوا العلم فى الدنيا أربعة : قتادة والزهرى والأعمش والكلبى »[١] . وقال ابن حبـــان : « وكان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار »[٢] . وقال ابن سعد : « قالوا : وكان الزهرى ثقة كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيهاً جامعاً »[٣] .

وقد أجمع العلماء على توثيق الزهرى فى علمه وأمانته ، وفى حفظه وصدقه وتؤكد ذلك أقوالهم ، ومنها قول أبى حاتم الرازى : « أثبت أصحاب أنس الزهرى »[٤] . وقول عمر بن عبد العـــزيز لسليمان بن حبيب : « ما أتاك به الزهرى عن غيره فشد يديك به »[٥] . وقول موسى بن اسماعيل : « شهدت وهيباً وبشر بن المفضل وغيرهما ذكروا الزهرى ، فلم يجدوا أحداً يقيسونه به إلا الشعبى »[٦] . وذكره ابن المدينى ضمن ستة دار عليهم علم الثقات ، هو وعمرو بن دينار بالحجاز ، وقتادة ويحيى بن أبى كثير بالبصرة وأبو إسحاق والأعمش بالكوفة[٧] . ثم يأتى قول الزهرى نفسه مؤكداً مثاليته فى الأخذ بمبدأ الصدق والأمانة فى علمه وفى حياته إذ يقول : « فوالله لو نادانى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت »[٨] .

وهذا الإجمـــاع من علماء أجلاء على الثقة الكاملة فى صدق الزهرى

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤٢ .
(٢) السنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٤٩٩ .
(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٤٤٨ .
(٤) السنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٤٩٧ .
(٥) تاريخ الإسلام للذهبى ج ٥ ص ١٤٤ .
(٦) نفسه ج ٥ ص ١٤٩ .
(٧) نفسه ج ٥ ص ١٤٤ .
(٨) المغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس . ترجمة د حسين نصار ص ٥٨ .

وأمانته العلمية ، لم يكن مانعاً للمستشرق جولد تسيهر من اتهامه بوضع بعض الأحاديث إرضاء لصديقه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ، ويتيح للحكام الأمويين إيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرة بنى أمية[١] . وقد أوضح فؤاد سيزجين ما وقع فيه جولد تسيهر من إساءة فهم ، كما أورد الدكتور محمد الخطيب من الأدلة ما يدحض هذا الزعم ، ويبرئ الزهري من تلك التهمة المجحفة ، التى أراد جولد تسيهر إلصاقها به[٢] .

وكان علم الزهرى بالسيرة النبوية واسعاً محيطاً ، إذ يقول عنه الطبرى إنه كان مؤرخاً ورائداً فى علم المغازى ، وفى أخبار قريش والأنصار ، وهو كذلك راوية لأخبار الرسول والصحابة[٣] . وربما يكون هو أول من استخدم كلمة « السيرة » مصطلحاً لذلك[٤] .

وكان الزهرى راوية للشعر يحفظ الكثير منه ، ولم تكن روايته له من قبيل الجمع والمعرفة فحسب ، بل قامت على تذوقه وحبه له وولعه به ، حتى اشتهر بتضلعه فيه[٥] ، وكذا كان الخلفاء الأمويون يرسلون إليه يسألونه

---

(١) السنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ص ٥٠٣ ، وتاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ٧٥ .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى المصدرين السابقين : الأول ص ٥٠٤ — ٥١٤ والثانى مجلد ١ ج ٢ ص ٧٥ — ٧٦ .

(٣) تاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ٧٧ ، ونشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدورى ص ٨١ .

(٤) الأغانى للأصفهانى ج ١٩ ص ٥٩ (ساسى) وتاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ٦٥ ، ٧٧ .

(٥) الأغانى للاصفهانى ج ١١ ص ٢٣ — ٢٦ (الدار) ونشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدورى ص ٩٥ .

عن الشعر والشعراء[١] . ويروى ابن المبارك عن يونس أنه قال : « قلت للزهرى : أخرج لى كتبك ، فأخذ بيدى فأدخلنى ، ثم قال : يا جارية ، هاتى تلك الكتب ، فأخرجت صحفاً فيها شعر ، وقال ما عندى إلا هذا »[٢] . وقال حماد بن زيد : « إن الزهرى كان يقول بعد أن يروى الحديث : هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم ، فإن الأذن مجاجة ، والنفس حمضة »[٣] .

ويوضح لنا غزارة علم الزهرى قول ابن أبى الزناد : « كنا لا نكتب إلا سنة ، وكان الزهرى يكتب كل شىء ، فلما احتيج إليه عرفت أنه أوعى الناس »[٤] كما يدل على هذه الغزارة ما يروى من أنه حينما قتل الوليد ابن يزيد سنة ١٢٦ هـ حملت الدفاتر على الدواب من خزائنه ، وكانت من علم الزهرى[٥] . إلا أن هذا العلم الغزير لم تصل إلينا مصنفاته كاملة ، وإنما وصل إلينا القليل منها ، بينما تضمنت مصادر أخرى ـ لغيره من العلماء الذين نقلوا عنه ـ مقتبسات منها . وقد ذكر له سيزجين عدداً من الكتب والآثار التى وصلت إلينا ، أو وصلت أجزاء منهـا ، والتى أشارت إليها المصادر الأخرى ، وهى : كتاب « تنزيل القرآن » الذى حققه صلاح الدين المنجد . وكتب « المغـازى » و « الناسخ والمنسوخ فى القرآن » و « أحاديث » وتوجد مخطوطات لهـا فى بعض المكتبات ، وكتب « مشاهد النبى » و « نسب قريش » و « أسنان الخلفاء » ومنها مقتبسات كثيرة فى المصادر الأخرى[٦] .

---

(١) الأغانى للأصفهانى جـ ٤ ص ٢٤٨ .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى جـ ٥ ص ١٤٥ .
(٣) المغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس . ترجمة د حسين نصار ص ٦٨ .
(٤) البيان والتبين للجاحظ جـ ٢ ص ٢٩٠ .
(٥) طبقات ابن سعد جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٦) انظر تفصيل ذلك فى تاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ جـ ٢ ص ٧٧ ـ ٧٩ .

محمد بن إسحاق : (ت ١٥٠ أو ١٥١ هـ)[١]

هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ويقال : ابن كوثان ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبدالله ، المدنى القرشي ، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب ابن عبد مناف . ولد حوالى سنة ٨٥ هـ بالمدينة المنورة ، وكان بحراً من بحور العلم ، ذكياً حافظاً ، طلابة للعلم ، إخبارياً نسابة علامة[٢] .

روى عن سعيد بن أبي هند ، والمقبرى ، وعطاء بن رباح ، والأعرج ، ونافع ، وهشام ويحيي ابنى عروة ، وعمر بن عبد الله ابن أخى عروة ، ومحمد ابن جعفر ابن أخي عروة ، وأكبر أساتيذه هو الزهرى[٣] . وروى عنه الحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وزياد البكائى ، ومسلمة الأبرش ، ويزيد بن هارون ، وخلف ، وغيرهم[٤] .

وقد وثق ابن إسحاق وأشاد بعلمه كثيرون ؛ قال الزهرى : « لا يزال بهذه الحرة (يعنى المدينة) علم ، ما دام بهـا ذاك الأحول (يريد محمد ابن إسحاق) »[٥] . وقال أبو جعفر النفيلى : « حدثنى عبد الله بن فائد قال : كنا نجلس إلى ابن إسحاق ، فإذا أخذ فى فن من العلم ذهب المجلس فى ذلك الفن »[٦] . وقد وثقه الذهبى فى ميزانه ، وذكر عدداً من العلماء الذين أكدوا صدقه وحسن حديثه وصلاح حاله ، مثل أحمد بن حنبل ، وابن معين ، وأبى زرعة ، وشعبة بن الحجاج ، الذى ذهب فى الثناء على علمه

(١) انظر ترجمته ومصادرها فى المرجع السابق مجلد ١ جـ ٢ ص ٨٧ ــ ٨٩ .
(٢) شذرات الذهب لابن العماد جـ ١ ص ٢٣٠ .
(٣) المغازى الأولى ومؤلفوها ، لهوروفتس ، ترجمة د حسين نصار ص ٨٨ .
(٤) ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ٤٦٨ .
(٥) نفسه ص ٤٧٢ .
(٦) نفسه .

والثقة فيـــه إلى حد قوله « لو كان لى سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين »(١) . وبناء على هذه الثقة لم يتخلف فى الرواية عنه الثقات ، فروى له الترمذى ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، واستشهد به البخارى فى مواضع(٢) . كما أخرج له مسلم بعض الأحاديث(٣) .

وتعرض ابن إسحاق للتجريح من بعض العلماء ، وعلى رأسهم هشام بن عروة ، ومالك بن أنس ، فاتهموه بالكذب والدجل ، والتدليس والنقل عن غير الثقات ، والقول بالقدر ، والتشيع ، وصنع الشعر ووضعه فى كتابه ، والخطأ فى الأنساب(٤) .

وهذه الجملة من الاتهامات المجرحة لابن إسحاق لم تكن مبرأة من الهوى والغاية ، فمالك بن أنس حمل عليه لأنه طعن فى نسبه وفى علمه ، وهشام بن عروة اغتاظ منه لأنه ادعى روايته عن امرأته ، وقد رد على بن المدينى على ذلك فى قوله : « حديثه عندى صحيح ، قيل له : فكلام مالك فيه ؟ قال : مالك لم يجالسه ولم يعرفه . قلت فهشام بن عروة قد تكلم فيه . قال : الذى قال هشام ليس بحجة ، لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها ، وإن حديثه ليتبين فيه الصدق »(٥) . ونفى محمد بن عبد الله بن نمير عنه تهمة القول بالقدر فقال : « رمى بالقدر وكان أبعد الناس منه »(٦) . وقد عقد الخطيب فى كتابه « تاريخ بغداد » ، وابن سيد الناس فى كتابه

---

(١) نفسه جـ٣ ص ٤٦٨ — ٤٦٩ .
(٢) مقدمة سيرة ابن هشام للسقا وآخرين ق ١ ص ١٧ .
(٣) ميزان الاعتدال للذهبى جـ٣ ص ٤٧٥ .
(٤) مقدمة سيرة ابن هشام للسقا وآخرين ق ١ ص ١٥ .
(٥) ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٣ ص ٤٧٥ .
(٦) نفسه ص ٤٦٩ .

« عيون الأثر » فصلين عرضا فيهما لتفنيد جميع المطاعن التي وجهت إليه ، ولخص أقوالها مصطفى السقا وصاحباه فى تقـديمهم لـكتاب السيرة النبوية لابن هشام[١] .

وإذا اقتنعنا بنفى هذه التهم عن ابن إسحاق ، فإن تهمة الشعر المصنوع تبقى لاصقة به ، ولـكننا لا نتهمه بأنه هو الذى صنع الأشعار ووضعها فى كتابه الذى صنفه عن السيرة النبوية ، وإنمـا يؤخذ عليه أنه كانت تعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها فى كتابه فيفعل[٢] . وقد اعترف هو بذلك ، فـكان يعتذر منهـا بأنه لا علم له بالشعر ، وإنمـا يؤتى بـه فيحمله[٣] .

وقد جمع ابن إسحاق مادة كتابه مما رواه له أساتيذه ، وزادها بالأقوال الـكثيرة التى جمعها بنفسه ، والتى أخذ بعضها عن أقارب الرجال والنساء الذين اشتركوا فى الحوادث ، وفى عرض حسن التنظيم لحياة النبى (ص) . وقد أدخل فى هذا العرض قوائم ووثائق ، وأشعـاراً أخذ جزءاً منهـا من أساتيذه ، فبعض القصائد الخاصة بحوادث الفترة المدنية ، أخذها من أستاذه عبد الله بن أبى بـكر بن حزم ، والجزء الآخر جمعـه بنفسه . وإذا كان المتقدمون عليه قد أدخلوا كثيراً من الأشعار ، فـيما أدخلوه من الأخبار والوثائق النثرية فى مجموعاتهم ، فإن أحـداً منهم لم يدخلها بالقدر الـكبير الذى أدخله ابن إسحاق[٤] .

---

(١) مقدمة السيرة ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١٣٦ .

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧ .

(٤) المغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس . ترجمة د حسين نصار ص ٩١ ــ ٩٤ .

وكثير من القصائد التي أوردها ابن إسحاق ، وخاصة التي تتصل بحوادث المدينة ، لا يوجد ما يدعو إلى الشك في صحتها ، لأنها كانت معروفة لدى علماء الشعر في عصر ابن هشام بأنها صحيحة ، أما القصائد الأخرى التي يحيط بها الشك ، فلم يكن ابن إسحاق يتمسك بصحتها ، ولم يقم بالبحث في توثيقها ، إذ لم يكن له علم بالشعر — على حد قوله — فهو استشهد بهذه الأشعار على قدر ظهورها له جديرة بالاستشهاد ، لأنها تنفع في تزيين القصه ، ولأن إدخال القصائد في الأخبار النثرية كان من الأمور المتبعة في الفن المأثور القديم عن القصاص العرب .

ويكشف ابن اسحاق عن نزاهة غير عادية ، في إدخال القصائد ، حتى ليسمح لخصوم النبي (ص) بإدخال الأشعار التي نظموها دون حرج ، وفي بعض الأحوال يرى ابن هشام أن من الضروري التلطيف من حدة عبارات هؤلاء الشعراء[1] .

ومهما يكن من أمر فإن عمل ابن إسحاق في جمع أخبار السيرة النبوية وأشعارها هو جهد علمي محمود ، أفاد منه العلماء من بعده ، وإذا كانت بعض هذه الأشعار غير صحيحة أو منحولة ، فإن علماء الشعر قد قاموا بتمحيصها وتصحيحها .

ونظراً للأهمية التي احتلها كتاب ابن إسحق عن السيرة النبوية ، فقد دارت حوله دراسات كثيرة ، أشار إليها سيزجين ، كما أشار إلى عدد من المخطوطات التي تضمنت أجزاء من سيرته . وذكر له أيضاً كتباً أخرى هي :

---

(١) نفسه ص ٩٣ .

« تاريخ الخلفاء » و « الفتوح » و « وأخبار كليب وجساس » و « حرب البسوس »(١) .

خلف الأحمر : (ت ١٨٠ هـ) :

هو أبو محرز خلف بن حيان الأحمر، مولى بلال بن أبي بردة ، ولد سنة ١١٥هـ ، وأصل أبويه من فرغانة ، كان من رواة البصرة المشهورين ، بل بعد رأس رواتها بعد أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)(٢) . شهد له العلماء بسعة روايته للشعر وعلمه بجيده(٣) . ويذكر بعضهم أنه كان شاعراً ، وكان له ديوان شعر حمله عنه أبو نواس(٤) .

وتختلف أقوال العلماء في توثيقه وتجريحه ؛ فقد وثقه كثيرون من الثقاة الأثبات ؛ منهم ابن سلام ، إذ يقول : « اجتمع أصحابنا أنه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدقهم لساناً ، وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه»(٥) . ويقول عنه الأخفش : « لم يدرك أحد أعلم بالشعر من خلف والأصمعي »(٦) . ويقول السيوطي : « كان راوية ثقة علامة ، يسلك مسلك الأصمعي ، حتى قيل : هو معلم الأصمعي ، وهو والأصمعي فتقا المعاني ، وأوضحا المذاهب وبينا المعالم »(٧) . وقد شهد له الأصمعي بعلمه الغزير ، كأنما جمع علم لغة العرب بين جوانحه بمعانيها(٨) ، بل فضله على نفسه حين قال : « ذهبت بشاشة الشعر بعد خلف

(١) تاريخ التراث العربي مجلد ١ ج ٢ ص ٨٩ — ٩١ .
(٢) العصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ص ١٥٣ .
(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ١٣٤ .
(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١١ ص ٦٨ .
(٥) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧ .
(٦) ، (٧) بغية الوعاة للسيوطي ج ١ ص ٥٥٤ .
(٨) طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ص ١٧٩ .

الأحمر ، فقيل له : كيف وأنت حى ؟ فقال : إن خلفاً كان يحسن جميعه وما أحسن منه إلا الحواشى[١] . وقال أبو زيد الأنصارى : أتيت بغداد حين قام المهدى محمد ، فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلا أفرس ببيت شعر من خلف »[٢] . وجعله أبو عبيدة معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة[٣] .

ويذكر ابن سلام ما يؤكد به قوله فى فراسة خلف وبصره بالشعر ، وسعة علمه التى تمكنه من تمحيصه والحكم عليه ، إذ روى له أن خلاد ابن يزيد الباهلى — وكان حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله — قال لخلف الأحمر : « بأى شىء ترد هذه الأشعار التى تُروى ؟ قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لاخير فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم فى الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال : نعم . قال فلا تنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت »[٤] . وقال له قائل يوماً : « إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ما قلت فيه أنت وأصحابك . قال له : إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصراف إنه ردىء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ »[٥] .

وإلى جانب هذه الأقوال الموثقة لخلف وروايته للشعر نجد أقوالا أخرى تجرحه وتتهمه بصنع الشعر وانتحاله ؛ فيقول فيه ابن النديم : « كان أفرس الناس ببيت شعر ، وكان شاعراً يعمل الشعر على لسان العرب وينحله

---

(١) نفسه ص ١٨٠ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٨١ .

(٣) نزهة الألباء لابن الأنبارى ص ٧٠ .

(٤) ، (٥) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٨ .

إياهم »[١] ويقول فيه المبرد : « لم يُرَ أحد قط أعلم بالشعر والشعراء منه ، وكان به يضرب المثل فى عمل الشعر ، وكان يعمل على ألسنة الناس ، فيشبه كل شعر يقوله بشعر الذى يضعه عليه ، ثم نسك فكان يختم القرآن فى كل يوم وليلة ، وبذل له بعض الملوك مالا عظيما خطيراً على أن يتكلم فى بيت شعر شكوا فيه ، فأبى ذلك وقال : قد مضى لى فى هذا ما لا أحتاج إلى أن أزيد فيه . وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم ، وكانوا يقصدونه لما مات حماد الراوية ، لأنه كان قد أكثر الأخذ عنه ، وبلغ مبلغاً لم يقاربه حماد . فلما تقرأ ونسك ، خرج إلى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التى قد أدخلها فى أشعار الناس . فقالوا له : انت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة ، فبقى ذلك فى دواوينهم إلى اليوم »[٢] .

والغريب أننا نجد فى المصادر أقوالا لبعض العلماء — الذين وثقوا خلفا وأثنوا على علمه — يتهمونه فيها بنحل الشعر ووضعه ، فينسب إلى الأصمعى اتهامه بالوضع على شعراء عبد القيس وعلى غيرهم عبثاً بهم[٣] ، وأن رواة الكوفة قد أنشدوه أربعين قصيدة لأبى دؤاد الإيادى قالها خلف الأحمر ، ويصفهم بأنهم رواة غير منقحين[٤] . كما ينسب إلى أبى عبيدة قول رواه عن خلف ؛ بأنه كان يأخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبل ذلك منه ويدخله فى أشعارها[٥] .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٧٤ .

(٢) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى (مخطوط) ص ٧٥ — ٧٦ والمزهر للسيوطى ج ١ ص ١٧٧ وبغية الوعاة للسيوطى ج ١ ص ٥٥٤ .

(٣) مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى (مخطوط) ص ٧٥ .

(٤) الموشح للمرزبانى ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٥) الأغانى للأصفهانى ج ٦ ص ٩٢ .

ويتهمه بعضهم بأنه هو الذى وضع اللامية المنسوبة إلى الشنفرى ، التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم
فإنى إلى قوم سواكم لأميل[(١)]

وأنه وضع كذلك اللامية المنسوبة إلى ابن أخت تأبط شرا وأولها :

إن بالشعب الذى جنب سلع
لقتيلاً دمه ما يطل[(٢)]

وهذا التناقض فى الأقوال — بين توثيق خلف وتجريحه — يثير الشك والدهشة ، ويحتاج منا إلى روية وتمحيص للوقوف على الحكم السليم أو المرجح . وإذا أمعنا النظر فيما نسب من أقوال إلى المبرد والأصمعى وأبى عبيدة — وهم من المدرسة البصرية — وجدنا أن هذه الأقوال تهدف إلى الطعن فى رواة الكوفة إلى جانب الطعن فى خلف ، وكأنما اتخذوا من خلف وسيلة للوصول إلى هدفهم الأساسى وهو سلب الثقة من رواة الكوفة . وهذا يرجع إلى المنافسة التى كانت موجودة بين المدرستين ، كل منهما تريد أن تثبت لنفسها التفوق فى العلم ، والصدق والتمحيص فى رواية الشعر ، وأغلب الظن أن هذه الأقوال وضعها بصريون من الأجيال التالية ، ونسبوها إلى هؤلاء البصريين المعاصرين لخلف — وهو بصرى مثلهم — للإيهام

---

(١) أمالى القالى جـ ١ ص ١٥٦ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٦ ص ١٥٧ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة جـ ٢ ص ٧٦٥ .

بصحتها ، والوصول إلى هدفهم المقصود من وضعها . فما اتهم به خلف كان مما دعت إليه العصبيات والخصومات والتفوق العلمى[١] .

مما يؤيد تجنى بعض الرواة على خلف قول الجاحظ : « ولقد ولدوا على لسان خلف الأحمر والأصمعى أرجازاً كثيرة ، فما ظنك بتوليدهم على ألسنة القدماء ؟ »[٢] . وما قيل عن وضعه لهاتين اللاميتين المذكورتين ، تدحضه أدلة قوية ساقها الدكتور الأسد مؤكداً براءة خلف من هذه الاتهامات[٣] .

وإزاء ذلك كله يرجح لدينا توثيق خلف وتعديله ، وتبرز أقوال الموثقين له أقوى صحة وأعدل شهادة ، لعالم ختم حياته بالنسك والتقوى ، ولولا هذه الثقة فى علمه وأمانته وصدقه ، لما رجع إليه ابن هشام فى تنقيحه لشعر السيرة النبوية ، فى عديد من المواضع[٤] .

يونس النحوى : (ت ١٨٢ هـ)

هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى الولاء ، أحد أئمة العربية البصريين ، أخذ الأدب عن أبى عمرو بن العلاء وغيره ، وسمع من العرب[٥] ، واشتغل بجمع النوادر واللغة والأمثال[٦] . وكانت له حلقة بالبصرة ، ينتابها

(١) المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٤٠٥ .
(٢) الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ١٨١ — ١٨٢ .
(٣) انظر تفاصيل مناقشته لقضية خلف فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » ص ٤٥١ — ٤٦٢ .
(٤) انظر السيرة بتحقيق السقا وآخرين ، فهرس رجال الإسناد .
(٥) شذرات الذهب ج ١ ص ٣٠٣ .
(٦) يونس بن حبيب للدكتور حسين نصار ص ٣٧ — ٣٩ .

أهل العلم ، وطلاب الأدب ، وفصحاء الأعراب والبادية[١] .

أخذ عنه أبو عبيدة ، والأصمعى ، وأبو زيد الأنصارى ، ويحي بن المبارك اليزيدى ، وقطرب ، والجرمى ، وخلف الأحمر ، ومحمد بن سلام الجمحى ، وغيرهم[٢] . قال أبو عبيدة : « اختلفت إلى يونس أربعين سنة ، أملأ كل يوم ألواحى من حفظه »[٣] . كما اختلف إليه أبو زيد عشر سنين ، وخلف الأحمر عشرين سنة[٤] . وكان من الذين درس عليهم سيبويه ، قبل اتصاله بالخليل ، ونقل عنه فى كتابه أقوالا كثيرة[٥] .

كان يونس من أئمة العلماء الذين حظوا بالثقة والاحترام والتبجيل من الجميع ، قال الجاحظ : « من أراد الأخبار فليس أخذها عن مثل قتادة ، وأبى عمرو بن العلاء ، وابن جعدبه ، ويونس بن حبيب ، وأبى عبيدة ، ومسلمة بن محارب ، فإن هؤلاء وأشباههم مأمونون ، وأصحاب توق وخوف من الزوائد ، وصون لما فى أيديهم ، وإشفاق على عدالتهم »[٦] . وقال أبو حاتم السجستانى : « فإذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، أو حكيت عن العرب شيئاً ، فإنما أحكيه عن الثقات منهم ، مثل أبى زيد والأصمعى ، وأبى عبيدة ، ويونس ، وثقات من فصحاء الأعراب ، وحملة العلم[٧] » . وقال إبراهيم الحربى « كان أهل العربية كلهم أصحاب أهواء

---

(١) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان جـ ٢ ص ١٣٠ .
(٢) ، (٣) بغية الوعاة جـ ٢ ص ٣٦٥ .
(٤) المزهر جـ ٢ ص ٣٣٩ .
(٥) شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٠١ .
(٦) يونس بن حبيب للدكتور حسين نصار ص ١٣ .
(٧) مدرسة الكوفة لمهدى المخزومى ص ١٢٢ .

إلا أربعة ، فإنهم كانوا أصحاب سنة : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل ابن أحمد ، ويونس بن حبيب البصرى ، والأصمعى »[١] . ومن دلائل هذه الثقة فيه أن ابن هشام يرجع إليه فى بعض المواضع لتوثيق شعر السيرة وألفاظ اللغة[٢] .

زياد البكائى (ت ١٨٣هـ)

هو أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسى العامرى البكائى الكوفى . من العلماء المشهود لهم بالثقة والأمانة والصدق ، وقد أقر له بذلك عدد من أئمة العلم الأثبات ، فقال عنه أحمد بن حنبل : « حديثه حديث أهل الصدق »[٣] . وقال عنه أبو زرعة « صدوق »[٤] . ووصفه الذهبى فى ميزانه بأنه كان « صدوقاً ثقة »[٥] . وذكر البخارى فى تاريخه عن وكيع قال : « زياد أشرف من أن يكذب فى الحديث »[٦] . وقد خرج عنه فى كتاب الجهاد ، كما خرج عنه مسلم فى مواضع من كتابه[٧] .

روى زياد عن الأعمش وابن إسحاق ومنصور وعبد الملك بن عمير ، والكبار . وروى عنه الفلاس ، وأحمد بن حنبل ، والحسن بن عرفة[٨] .

وتبرز أهمية زياد البكائى فى روايته للسيرة النبوية عن محمد بن إسحاق

(١) المزهر جـ ٢ ص ٤١٠ .

(٢) انظر السيرة بتحقيق السقا وآخرين . فهرس رجال الإسناد .

(٣) ، (٤) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ٣٣٩ .

(٥) ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٢ ص ٩١ .

(٦) ، (٧) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٣٨ ، والأعلام للزركلى جـ ٣ ص ٩٢ .

(٨) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٣٨ — ٣٣٩ .

قال عبد الله بن إدريس « ما أحد أثبت فى ابن إسحاق من زياد البكائى ، لأنه أملى عليه إملاء مرتين »(١) . وعنه رواها عبد الملك بن هشام وقام بتهذيبها وتنقيحها »(٢) . فزياد إذن كان حلقة الوصل فى رواية السيرة بين ابن إسحاق وابن هشام . ولكن لا ينبغى أن يفهم أنه كان مجرد راوية ناقل ، ليس له رأى فيما يرويه وينقله ، فابن هشام فى تقديمه لسيرته يتحدث عن منهجه الذى اتبعه فى تنقيح سيرة ابن إسحاق ، ويذكر الأشياء التى تركها ومنها « بعض لم يقر لنا البكائى بروايته »(٣) على حد قوله . وهذا يعنى أن البكائى كانت له يد فى هذا التنقيح .

أبو عمرو الشيبانى (ت ٢٠٥ أو ٢٠٦ هـ)

هو إسحاق بن مرار الكوفى اللغوى ، كان يعرف بأبى عمرو الأحمر ، وليس من شيبان ، بل أدب أولاداً منهم فنسب إليهم(٤) . قال يعقوب بن السكيت : « مات أبو عمرو الشيبانى وله مائة وثمانى عشرة سنة ، وكان يكتب بيده ، إلى أن مات ، وكان ربما استعار منى الكتاب وأنا إذ ذاك صبى آخذ عنه وأكتب من كتبه »(٥) .

كان أبو عمرو من الأئمة الأعلام فى اللغة والشعر . وكان كثير

(١) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٩١ .

(٢) بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ١١٥ وشذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ، تحقيق السقا وآخرين المقدمة ص ١٢ وانظر فهرس رجال الإسناد فى مواضع كثيرة .

(٤) بغية الوعاة للسيوطى ج ١ ص ٤٣٩ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٠٢ .

الحديث ، كثير السماع ثقة[١] . وقد وثقه وأثنى على علمه عدد من العلماء الثقات ، فقال عنه الخطيب : « كان أبو عمرو واسع العلم باللغة والشعر ، ثقة فى الحديث ، كثير السماع ، نبيلا فاضلا ، عالما بكلام العرب ، حافظا للغاتها ، وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية مشهور معروف ، وكان معه فى السماع والعلم عشرة أضعاف ما كان مع أبى عبيدة »[٢] وقال عنه ثعلب : « كان مع أبى عمرو فى العلم أضعاف ما مع أبى عبيدة ، دخل البادية وكتب عن العرب الكثير »[٣] . وقال الجاحظ : « رأيت أبا عمرو الشيبانى يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها فى التحفيظ والتذاكر »[٤] . وقال عنه ابن الأنبارى : « كان أبو عمرو صاحب ديوان اللغة والشعر وكان صدوقاً »[٥] . وقال عنه ابن العماد : « كان ثقة علامة خيراً فاضلا »[٦] .

ومما يؤكد هذه الثقة فى علمه وروايته أنه قرأ دواوين الشعر على المفضل[٧] ، وأن ممن لازمه وروى عنه أحمد بن حنبل ويعقوب بن السكيت[٨] . وكل هؤلاء من العلماء الذين عرفوا بالأمانة والصدق والتثبت .

---

(١) وفيات الأعيان ، لابن خلكان ج ١ ص ٢٠١ .

(٢) بغية الوعاة ج ١ ص ٤٤٠ .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبى ج ٤ ص ٥٥٧ .

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ج ٤ ص ٢٤ .

(٥) ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٥٥٧ .

(٦) شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ٢٣ .

(٧) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠١ .

(٨) نفسه ، وبغية الوعاة ج ١ ص ٤٤٠ ، والفهرست ص ١٠٢ .

ويبين مدى غزارة علمه بالشعر وروايته ، إضافة إلى ما اشتهر به من الصدق والفضل قول ولده عمرو : « لما جمع أبى أشعار العرب ودونها ، كانت نيفا وثمانين قبيلة ، وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس ، كتب مصحفاً وجعله بمسجد الكوفة ، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفاً بخطه »[١] .

ومع هذه الكثرة التى جمعها من دواوين القبائل ، فإنه لم يصل إلينا منها ديوان واحد ، ولا نعرف أسماء القبائل التى جمع دواوينها ، بل إن المصادر التى عنيت برصد أسماء هذه الدواوين وجامعيها ، لم تذكر له سوى ديوانين هما : أشعار تغلب وأشعار بنى محارب ، ذكرهما له البغدادى فى « خزانة الأدب »[٢] ، بينما لم يذكر له ابن النديم شيئاً فى كتابه « الفهرست » ، كما لم يذكر له الآمدى شيئاً فى كتابه « المؤتلف والمختلف » وهما أكثر من عنى بالكتابة عن هذه الدواوين .

ولا ينبغى أن يفهم من ذلك أن ما جمعه أبو عمرو قد ضاع أو فقد ، فأغلب الظن أن الرواة الذين جاءوا بعده ، وعنوا بجمع أشعار القبائل كالسكرى وغيره ، قد أفادوا كثيراً من جهده ونقلوا عنه ، ثم نسبت هذه الدواوين إليهم ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم من أن الناس « أخذوا عنه دواوين أشعار القبائل ، كلها »[٣] . ولا يستبعد كذلك أن يكون علماء الأدب والتاريخ والسيرة قد أفادوا كثيراً من جهده الضخم ونقلوا عنه فى كتبهم .

---

(١) وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠١ .

(٢) انظر جـ ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، جـ ٢ ص ١٥٠ — ١٦١ (ط السلفية) .

(٣) الفهرست ص ١٠١ .

وعلى الرغم من إجماع العلماء على توثيق أبى عمرو ، والإشادة بفضله ونبله وصدقه ، فقد ذكر بعضهم عنه أنه كان مشتهراً بشرب النبيذ ، وأن ذلك هو الذى قصر به عند العامة من أهل العلم[١] . إلا أنهم لم يعدوا هذا الفعل مجرحاً له ، أو مضعفاً لثقتهم فيه . ولكن يبدو أن الدكتور طه حسين اتخذ من هذا المطعن ذريعة لاتهامه بفساد المروءة والكذب والنحل ، وزعم بأنه يؤجر نفسه للقبائل ، يجمع لكل واحدة منها شعراً يضيفه إلى شعرائها[٢] . وهذا الاتهام مبنى على الظن والتخيل ، إذ أجمع القدماء على توثيقه ، كما أن إيجار عالم مثله لا يمكن أن يكون قد حدث من غير أن يتنبه له القدماء ويشيروا إليه[٣] . ولم يذكر أحد منهم ذلك عنه .

الواقـــدى : (٢٠٧ هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى نسبة إلى جده ، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٠ هـ وجاء إلى بغداد سنة ١٨٠ هـ ، ونصب قاضياً فى شرقها ، ثم عينه المأمون قاضياً على عسكر المهدى[٤] .

كان عالماً بالمغازى والسير والفتوح ، واختلاف الناس فى الحديث والفقه والأحكام والأخبار[٥] . وهو من أقدم المؤرخين فى الإسلام وأشهرهم،

(١) انظر قول الخطيب فى بغية الوعاة جـ ١ ص ٤٤٠ وقول ثعلب فى ميزان الاعتدال جـ ٤ ص ٥٥٧ .

(٢) فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين ص ١٧١ .

(٣) نقض كتاب فى الشعر الجاهلى لمحمد الخضر حسين ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ .

(٤) انظر ترجمته ومصادرها فى « تاريخ التراث العربى » لسيزجين مجلد ١ جـ ٢ ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٤٤ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٥١٨ ، ومعجم الأدباء لياقوت جـ ١٨ ص ٢٧٧ .

ومن حفاظ الحديث(١) . وكان يقول : «ما من أحد إلا كتبه أكثر من حفظه ، وحفظي أكثر من كتبي » . وقد تحول مرة من الجانب الغربي ، فكانت كتبه مائة وعشرين حملا(٢) .

روى الواقدي عن ثور بن يزيد وابن جريج وطبقتهما . وسمع من مالك ابن أنس والثوري وغيرهما ، وروى عنه جماعة من الأعيان(٣) .

وثقه كثير من العلماء الأثبات ، وأشادوا بسعة علمه وحفظه ، فقال عنه ابن سلام الجمحي : « هو عالم دهره »(٤) وقال مصعب الزبيري : « والله ما رأينا مثل الواقدي قط ، فهو ثقة مأمون »(٥) وقال الخطيب : «هو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره ، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أمره ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات ، وأخبار النبي ، وكتب الفقه ، واختلاف الناس في الحديث وغيره »(٦) . وقال مجاهد ابن موسى : ما كتبت عن أحد أحفظ من الواقدي »(٧) .

ومن الواضح أن علم الواقدي كان إسلاميا خالصا ، قال إبراهيم الحربي : « الواقدي أمين الناس على الإسلام ، كان أعلم الناس بأمر الإسلام ، فأما الجاهلية فلا يعلم فيها شيئا »(٨) . يؤكد هذه الحقيقة أن جميع مصنفاته التي ذكرها له سيزجين(٩) ، يدور معظمها في فلك التاريخ الإسلامي

---

(١) الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٢٠٠ .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ١٨ ، وميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص٦٦٥ ومعجم ياقوت ج ١٨ ص ١٨١ .

(٣) شذرات الذهب ج٢ ص ١٨ ، ومعجم ياقوت ج ١٨ ص ٢٧٧ .

(٤) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٥ .

(٥) ، (٦) ، (٧) نفسه ج ٣ ص ٦٦٥ — ٦٦٦ ومعجم ياقوت ج ١٨ ص٢٧٨ .

(٨) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٦٦٥ .

(٩) انظرها في كتابه « تاريخ التراث العربي » مجلد ١ ج ٢ ص ١٠٢ — ١٠٦ .

من المغازى والسيرة والفتوحات الإسلامية . وقليل منها فى التفسير والفقه والحديث ، وهى حوالى عشرين مصنفاً ، وصل إلينا ما يقرب من نصفها ، وهى مخطوطات متناثرة فى العديد من المكتبات ، ولم يطبع منها إلا كتابه فى المغازى ، وهو الذى تحدثنا عنه فى فصل المصادر .

ومع هذه الثقة التى حظى بها الواقدى لدى كثير من العلماء ، فقد اتهمه غير واحد بوضع الحديث ، وضعفه بعضهم ؛ قال ابن معين : ليس بثقة . وقال أحمد بن حنبل : كذاب يقلب الأحاديث ، وقال البخارى وأبو حاتم : متروك[١] ، وقال ابن ناصر الدين : أجمع الأئمة على ترك حديثه[٢] .

ويبدو أن اتهام الواقدى ينصب على روايته للحديث فحسب ، وهو اتهام لا يخلو من الهوى والغاية ، ويقوم على الخلاف المذهبى بين الواقدى ومتهميه ، لأنه كان يتشيع ، ويلزم التقية[٣] ، ومما يدل على تجنيهم عليه ، أنهم أكثروا فيه حتى اتهموه بإساءة الصلاة[٤] . وقد رجحت كفة توثيقه عند الذهبى فى ميزانه ، إذ أنه بعد أن عرض أقوال متهميه وأقوال موثقيه ، انتهى إلى الحكم الذى يرتضيه فى حقه فقال عنه : « صدوق ، كان إلى جانب حفظه المنتهى فى الأخبار والسير والمغازى والحوادث وأيام الناس والفقه وغير ذلك »[٥] . وكذلك قال عنه ياقوت : « هو ثقة بإجماع فى أخبار الناس والسير ، والفقه وسائر الفنون »[٦] . وهذه الأحكام تدعم الثقة

---

(١) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٦٦٣ .
(٢) شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٨ .
(٣) الفهرست ص ١٤٤ .
(٤) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٦٦٤ .
(٥) نفسه ص ٦٦٣ .
(٦) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٧٨ .

فى علم الواقدى ، وفى أمانته وحفظه ، وهى — إلى جانب أقوال الموثقين له — كلها صادرة من علماء أجلاء متثبتين .

أبـو عبيـــدة : (ت ٢٠٨ أو ٢٠٩ أو ٢١٠ أو ٢١١ هـ)[١]

هو معمر بن المثنى البصرى ، مولى بني تيم القرشيين ، رهط أبى بكر الصديق[٢] ، ولد حوالى سنة ١٠٠هـ . كان عالماً كبيراً وراوية ثقة ، له علم الإسلام والجاهلية . وكان ديوان العرب فى بيته[٣] ، غلب عليه الغريب وأخبار العرب وأيامهم[٤] . قال عمر بن شبة : « وكان أبو عبيدة يقول : ما التقى فرسان فى جاهلية ولا إسلام إلا عرفتهما وعرفت فارسيهما »[٥] . ويذكره ياقوت فيمن جمعوا أشعار القبائل[٦] .

أخذ أبو عبيدة علمه عن نخبة من جلة العلمـــاء الأثبات هم : هشام ابن عروة وأبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب ، كما أخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو حاتم والمـازنى والأثرم وعمر بن شبة والرشيد[٧] . وكلهم من الثقات .

وعلى الرغم مما كان فى أبى عبيدة من نزعة شعوبية فقد وثقه جمهور العلماء

---

(١) انظر الاختلاف فى سنة وفاته : المعارف لابن قتيبة ص ٥٤٣ ، وبغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) المصدران السابقان .

(٣) الفهرست ص ٧٩ .

(٤) المعارف ص ٥٤٣ .

(٥) المزهر للسيوطى ج ٢ ص ٤٠١ .

(٦) معجم الأدباء ج ١٩ ص ١٦١ .

(٧) بغية الوعاة للسيوطى ج ٢ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ .

والرواة(١) ، وأثنوا على علمه ، يقول الجاحظ : « لم يكن فى الأرض خارجى أعلم بجميع العلوم منه »(٢) . وقال عنه يزيد بن مرة : « ما كان أبو عبيدة يفتش عن علم من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره ، ولا يقوم بشىء أجود من قيامه به »(٣) ، وقال أبو نواس : « أبو عبيدة أديم طوى على علم »(٤) ، وقيل إنه كان أعلم من الأصمعى وأبى زيد بالأنساب والأيام(٥) . وأن تصانيفه بلغت مائتى مصنف(٦) .

أما ما يقال عن مطاعن أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى وابن الأعرابى بعضهم فى بعض ، فهذه قضية قد حسمها القدماء ، بأن « المعاصرة حجاب » وأرجعوا ذلك إلى ما كان بينهم من منافسة شديدة ، وأنهم مع ذلك كانوا منصفين ، لا يتهم أحدهم صاحبه بالكذب ولا يقرفه بالتزيد ، لأنهم يبعدون عن ذلك(٧) .

ومما يؤكد الثقة فى علم أبى عبيدة وفى صدق روايته أننا نجد ابن هشام يرجع إليه فى مواضع كثيرة من السيرة للتحقق من صحة ما أورده ابن إسحاق من الأشعار أو الأخبار(٨) .

---

(١) إنباء الرواة للقفطى ج ٣ ص ٢٨٠ .

(٢) ، (٣) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٤) نفسه ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ .

(٥) بغية الوعاة ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٦) شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ .

(٧) انظر الفصل الذى كتبه ابن جنى فى الخصائص بعنوان « باب فى صدق النقلة وثقة الرواة والحملة » ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى ورقة ٨٠ — ٨٣ ، ومصادر الشعر الجاهلى ص ٤٦٤ — ٤٦٥ .

(٨) راجع سيرة ابن هشام تحقيق السقا وآخرين ، فهرس رجال الإسناد .

أبو زيد الأنصاري : (ت ٢١٤ أو ٢١٥ هـ)

هو سعيد بن أوس بن ثابت ، ينتهي نسبه إلى الخزرج من الأنصار . وقد عمر حتى قارب المائة ، وهو من علماء البصرة المشهورين ، والمشهود لهم بالعلم والتقوى والصدق والأمانة . وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب[١] .

روى أبو زيد عن أبي عمرو بن العلاء ، ورؤبة بن العجاج ، وعمرو بن عبيد ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وعمر بن شبة[٢] . وسليمان التيمي ، وحميد الطويل ، وغيرهم[٣] . كما روى عن المفضل الضبي الكوفي ، مخالفاً بذلك العلماء البصريين في رفضهم لرواية الكوفيين في اللغة والنحو[٤] . وروى عنه رواة البصرة مثل خلف البزاز وابن هشام وغيرهم ، وروى عنه أبو داود والترمذي بعض الأحاديث[٥] .

ويبدو أن بعض من روى عنهم أبو زيد قد رووا عنه كذلك مثل أبي حاتم الذي يقول : « فإذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها أو حكيت عن العرب شيئاً ، فإنما أحكيه عن الثقات منهم مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة . . . »[٦] .

وقد أقر له الكثيرون بالتفوق في علمه وفي درجة توثيقه ، قال ابن مناذر :

---

(١) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٧٩ ، وبغية الوعاة جـ ١ ص ٥٨٢ ، وشذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٤ .
(٢) بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ٥٨٢ .
(٣) شذرات الذهب لابن العماد جـ ٢ ص ٣٤ .
(٤) الفهرست لابن النديم ص ٨١ .
(٥) ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ١٢٦ ، وبغية الوعاة جـ ١ ص ٥٨٢ .
(٦) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ورقة ١٤٧ .

« كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها »[١] . وقال المازني : « رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد ، فقبل رأسه ، وجلس بين يديه ، وقال : أنت سيدنا ورئيسنا منذ خمسين سنة »[٢] ، وسئل عنه الأصمعي وأبو عبيدة فقالا : « ما شئت من عفاف وتقوى وإسلام »[٣] . وقال ابن أبي حاتم : « سمعت أبي يجمل القول فيه ، ويرفع شأنه ويقول : هو صدوق »[٤] وكان سفيان الثوري يقول : « الأصمعي أحفظ الناس ، وأبو عبيدة أجمعهم ، وأبو زيد أوثقهم »[٥] ، ومما يؤكد الإجماع على توثيقه بصفة مطلقة ، أنه عرف بين العلماء بالثقة دون ذكر اسمه ، « فعندما يقول يونس: حدثني الثقة عن العرب ، فهو يعني أبا زيد»[٦] وقال السيرافي : « كان أبو زيد يقول : كلما قال سيبويه : أخبرني الثقة . فأنا أخبرته »[٧] .

ولأبي زيد الأنصاري وضعه المميز بالنسبة لرواية شعر السيرة ، لأنه من أحفاد الأنصار ، إضافة إلى علمه وتوثيقه ، وهذا ما جعل ابن هشام يأخذ بروايته في كثير من المواضع التي تحتاج إلى توثيق الأشعار وتصحيحها[٨] .

---

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ورقة ٦٧ .

(٢) بغية الوعاة جـ ١ ص ٥٨٣ ، وشذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٤ ، ووفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٧٩ .

(٣) ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٤) ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ١٢٧ .

(٥) وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٧٩ ، ومعجم الأدباء جـ ١١ ص ٢١٤ .

(٦) المزهر جـ ١ ص ١٤٣ .

(٧) بغية الوعاة جـ ١ ص ٥٨٢ .

(٨) راجع سيرة ابن هشام بتحقيق السقا وآخرين . فهرس رجال الإسناد .

ابن هشام : (ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ)

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى ، وقيل الذهلى[(١)] . فمن الرواة من يرده إلى معافر بن يعفر ، وهم قبول كبير ، نزح إلى مصر منهم جمهرة كبيرة ، ومنهم من يرده إلى ذهل ، كما يرده آخرون إلى سدوس[(٢)] .

ويذكر الرواة أنه نشأ بالبصرة ، ثم نزل مصر ومات بها[(٣)] . ولم يعش حيث نشأ بيته وقرت أسرته ، ثم لم يكن بيته من النسب بالمنزلة التى يحرص الناس على حفظها وروايتها[(٤)] . ولعله نزح إلى مصر لينضم إلى المعافريين النازحين إليها ، مما يرجح نسبته إليهم . وأغلب الظن أن نزوحه إلى مصر لم يكن فى مرحلة مبكرة من حياته وإنما حدث بعد أن قطع مرحلة كبيرة فى نضجه العلمى ، بدليل أنه حين ورد مصر اجتمع به الشافعى ، وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة[(٥)] . وأنه فى تنقيحه للسيرة يرجع كثيراً إلى أقوال علماء البصرة مثل زياد البكائى ، وأبى زيد الأنصارى وأبى عبيدة وغيرهم ، وهى أقوال تدل على سماعه منهم بالمشافهة واللقاء معهم .

كان ابن هشام أديباً إخبارياً نسابة[(٦)] ، وإماماً فى اللغة والنحو

---

(١) بغية الوعاة جـ ٢ ص ١١٥ .

(٢) مقدمة سيرة ابن هشام بتحقيق السقا وآخرين ص ١٧ .

(٣) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٤٥ ، وحسن المحاضرة للسيوطى جـ ١ ص ٣٠٦ ، والأعلام جـ ٤ ص ٣١٤ .

(٤) مقدمة سيرة ابن هشام ص ١٧ .

(٥) حسن المحاضرة للسيوطى جـ ١ ص ٣٠٦ .

(٦) نفسه ، وشذرات الذهب جـ ٢ ص ٤٥ ، ومعجم المؤلفين جـ ٦ ص ١٩٢ .

والعربية(١) . نقل السيرة النبوية عن زياد البكائى صاحب ابن إسحاق ، وقام بتهذيبها وتنقيحها ، وحذف من أشعارها جملة(٢) ، ثم شرح ما وقع فى أشعارها من الغريب ، فصارت تنسب إليه(٣) . وقــد اكتسب ثقة الجميع بهذا العمل العظيم .

ولابن هشام أكثر من مؤلف فى أكثر من فن ، فله غير أثره فى سيرة ابن إسحـاق : « شرح ما وقع فى أشعار السير من الغريب » وكتاب « التيجان لمعرفة ملوك الزمان فى أخبار قحطان » وقد طبع حديثاً(٤) .

ابن سعـد : (ت ٢٣٠هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى الولاء(٥) ، ولد فى البصرة سنة ١٦٨هـ . وعاش حقبة من الزمن فى المدينة ، ثم فى مدن أخرى وعرف الواقدى فى بغداد وصحبه زماناً ، فكتب له وروى عنه فعرف بكاتب الواقدى(٦) . إلا أن شهرته العلمية قد ارتبطت بكتابه « الطبقات الكبرى » .

ومع أن الواقدى كان أستاذه الأول ، فقد اتصل بأعلام عصره من

---

(١) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢) بغية الوعاة ج ٢ ص ١١٥ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٠٦ .

(٤) مقدمة السيرة للسقا وآخرين ص ١٨ ، وتاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ١١١ .

(٥) شـذرات الذهب ج ٢ ص ١٦٩ ، وانظر مصادر ترجمته فى تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ١١٢ .

(٦) تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ١١١ ، والأعلام ج٧ ص ٦ .

المحدثين ، وروى عنهم ، مثل سفيان بن عيينة ، وهُشَيم(١) ، ورويم بن يزيد المقرئ ، وأبى معشر ، وإسماعيل بن عبد الله بن أويس المدنى ، وهشام بن محمد الكلبي(٢) ، الذى كان مصدره المباشر فى تاريخ اليهود والمسيحيين(٣) . وقد أفاد كثيراً مما جمعه فى تصنيف كتبه حتى وصف بأنه كثير الحديث والرواية ، كثير الكتب(٤) . وهو فى « المغازى » قد أفاد من ابن إسحاق برواية زهير بن يزيد عن أبى معشر برواية حسين بن محمد ، وعن موسى بن عقبة برواية إسماعيل بن عبد الله ، كما أفاد من كتاب « وفاة النبى » للواقدى وأضاف إليه . وكان مصدره فى أنساب الأنصار كتاب « نسب الأنصار » لعبد الله بن محمد بن عمارة(٥) .

وكان ابن سعد موضع ثقة كبيرة ، وتقدير عظيم لدى جميع العلماء ، فقال عنه الخطيب : « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فإنه يتحرى فى كثير من رواياته »(٦) . وقال ابن حجر : « أحد الحفاظ الكبار ، والثقات المتحرين »(٧) . وقال ابن خلكان : « صدوق ثقة »(٨) . وقال أبو حاتم : « صدوق »(٩). وقال ابن الأهول : « إنه مكث سنوات كثيرة يصوم يوماً ويفطر يوماً »(١٠) كما وثقه الذهبى وغيره(١١) ، ووصفوه بالفهم والفضل والنبل .

(١) شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٦٩ .
(٢) مقدمة الطبقات الكبرى ص ٩ .
(٣) تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص ١١١ .
(٤) مقدمة الطبقات الكبرى ص ٦ .
(٥) تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص ١١١ — ١١٢ .
(٦) ، (٧) ، (٨) مقدمة الطبقات الكبرى ص ٧ .
(٩) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٠ ، وشذرات الذهب جـ ٢ ص ٦٩ .
(١٠) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٦٩ .
(١١) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٠ .

ابن سلام الجمحى : (ت ٢٣١ أو ٢٣٢ هـ)

هو أبو عبد الله بن محمد بن سلام مولى قدامة بن مظعون الجمحى ، من أئمة أهل الأدب البصريين ، وله علم بالشعر والأخبار[١] . بل كان أحد كبار الإخباريين والرواة القوامين على رواية الشعر ، وتمحيص أخبار الشعراء وأخبار الرواة ومن أجلها كتب « طبقات فحول الشعراء » وغيره من كتبه[٢] . وهو أول من أفاض القول فى قضية الانتحال فى الشعر العربى ، وحدد أسبابه ودوافعه ، وقدم الأدلة والبراهين لإثبات نظريته ، فأتاح بذلك للدارسين من عرب ومستشرقين أن يوسعوا البحث فى هذه القضية ، وأن يتناولوها من جوانب متعددة .

ومما لا شك فيه أن ابن سلام قد أفاد كثيراً من علماء البصرة ورواتها المشهورين كخلف الأحمر ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد الأنصارى ، والأصمعى ، ويونس النحوى ، وغيرهم ، وروى عن الجم الغفير كحماد بن سلمة . ومبارك ابن فضالة ، وجماعة[٣] ، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل . وابنه عبدالله ، وأبو العباس ثعلب ، وأحمد بن على الأبار[٤] ، كما أخذ عنه أبو حاتم والرياشى والمازنى والزيادى ومشايخ الأدب(٥) .

وابن سلام من أبرز العلماء الثقات فى رواية الشعر والأخبار ، ومن

---

(١) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٧ ، وإنباه الرواة جـ ٣ ص ١٤٣ ، ومعجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٠٤ .

(٢) مجلة المجلة عدد مايو سنة ١٩٦٩ مقال محمود شاكر .

(٣) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٧١ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٧ .

(٤) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٠٥ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٧ .

(٥) المزهر جـ ٢ ص ٤٠٥ ، وإنباه الرواة جـ ٣ ص ١٤٣ .

النقاد المحصين المتثبتين ، الذين يعتد برأيهم ويؤخذ بحكمهم فى دراساتنا الأدبية ، أما فى رواية الحديث فقد اختلفوا فيه ، فوثقه جماعة وأخذوا عنه ، ووهاه آخرون لأنه يرمى بالقدر فتركوا روايته . قال محمد بن أبى خيثمة : « سمعت أبى يقول : لا يكتب عن محمد بن سلام الحديث ، رجل يرمى بالقدر ، إنما يكتب عنه الشعر »[(١)] . ولكن هذا السبب الواهى لا يقدح فى عدالته ، ولا يجعلنا نشك فى توثيقه ، ولذا وثقه علماء ثقات ووصفوه بالصدق مثل صالح جزرة[(٢)] . وابن العماد[(٣)] . وياقوت[(٤)] .

ومع أن الدكتور طه حسين قد عول كثيراً على آراء ابن سلام فى قضية الانتحال إلا أنه اتهمه بأنه انخدع ببعض الشعر المنتحل للقصص[(٥)] . وهذا لا يقلل من فضل ابن سلام الذى أقر به حين قال « وقد كفانا ابن سلام نقده وتحليله ، حين جد فى طبقات الشعراء فى إثبات أن هذا الشعر وما يشبهه .. موضوع منحول ، وضعه ابن إسحاق ومن إليه من أصحاب القصص »[(٦)] .

البلاذرى : (ت ٢٧٩ هـ)

هو أبو العباس[(٧)] أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى . ولد فى

(١) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٥٦٧ .
(٢) نفسه .
(٣) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٧١ .
(٤) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٠٤ .
(٥) فى الأدب الجاهلى ص ١٥٥ .
(٦) نفسه ص ١٥٣ .
(٧) ذكر له ياقوت كنيتين أخريين هما : أبو الحسن وأبو بكر (معجم الأدباء جـ ٥ ص ٨٩) .

بغداد فى العقد الأول من القرن الثالث الهجرى[١] . كان عالماً فاضلا راوية نسابة متقناً[٢] ، ومؤرخاً جغرافياً[٣] . كما كان ذا موهبة شعرية . قال ابن عساكر : « وبلغنى أن البلاذرى كان أديباً راوية له كتب جياد[٤] . ولعل ما تميز به من العلم والموهبة الأدبية قد أهله ليكون نديما للخليفة المتوكل[٥] .

وقد رحل البلاذرى لطلب العلم من بلد إلى بلد ، شأنه فى ذلك شأن علماء عصره ، فسمع بدمشق هشام بن عمارة ، وأبا حفص عمر بن سعيد ، وبحمص محمد بن مصفى ، وبأنطاكية محمد بن عبد الرحمن بن سهم[٦] ، وبالعراق عفان بن مسلم ، وعلى بن المدينى ، ومصعبا الزبيرى ، وأبا عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سعد ، كاتب الواقدى[٧] . فأخذ عن هؤلاء جميعاً وعن غيرهم من العلماء الثقات . وروى عنه يحيى بن النديم ، وأبو يوسف ، وأحمد بن عبد الله بن عمار ، وغيرهم[٨] .

ويعد البلاذرى مؤرخاً جامعاً من أشهر مؤرخى القرن الثالث الهجرى الذين حلت مؤلفاتهم شيئاً فشيئاً محل مصادرها[٩] . وله مصنفان قيمان هما :

---

(١) انظر فى ترجمته ومصادرها تاريخ التراث العربى لسيزجين مجلد ١ ج ٢ ص ١٥٢ — ١٥٣
(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ٩٢ .
(٣) الأعلام ج ١ ص ٢٥٢ .
(٤) معجم الأدباء ج ٥ ص ٩١ .
(٥) نفسه ص ٩٢ .
(٦) نفسه ص ٩١ .
(٧) نفسه .
(٨) نفسه .
(٩) تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ١٥٢ .

« فتوح البلدان » و « وأنساب الأشراف »[1]. الذى عرضنا له فى مصادر شعر السير. كما يذكر له أنه ترجم عن الفارسية كتاب «عهد أردشير»[2].

الطبرى : (ت ٣١٠ هـ)

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى. ولد سنة ٢٢٤ أو ٢٢٥ هـ فى آمل بطبرستان[3]. وهب نفسه للعلم وهو فى مقتبل حياته : فذهب إلى الرى ، ثم انتقل إلى بغداد حيث حضر دروس أحمد بن حنبل ، وذهب بعد ذلك إلى البصرة والكوفة والشام ومصر[4]. وسمع إسحاق بن إسرائيل ومحمد بن حميد وطبقتهما[5].

والطبرى من كبار أئمة الإسلام المعتمدين ، كان عالماً بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض ، له فى جميع ذلك تصانيف ، فاق بها على سائر المصنفين[6] ، بل تناول ــ إضافة إلى ذلك ــ علوم الأخلاق والرياضيات والطب[7]. كان ثقة صادقاً ، ذا زهد وقناعة[8] ، وكان إماماً مجتهداً لا يقلد أحداً[9] ، أسس مدرسة فقهية سميت «الجريرية»[10] نسبة إليه . قال إمام

(١) تاريخ التراث العربى ص ١٥٣ ، الفهرست ص١١٣ .
(٢) الأعلام جـ ١ ص ٢٥٢ والفهرست ص ١١٣ .
(٣) انظر ترجمته ومصادرها فى تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص ١٥٩ ـــ ١٦٢ .
(٤) نفسه .
(٥) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٩٨ .
(٦) شذرات الذهب جـ ٢ ٢٦٠ .
(٧) تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص ١٥٩ .
(٨) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٢٦٠ .
(٩) ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٩٨ .
(١٠) تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص١٥٩ .

الأئمة ابن خزيمة : « ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير »[١] .
وقال الخطيب : « كانت الأئمة تحكم بقوله ، وترجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ،
وكان ممن جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره »[٢] .

وإذا كان الطبرى أحد العلماء غزيرى الإنتاج فى العلوم الإسلامية ،
وتقوم مكانته — أولا وقبل كل شيء — على الأثرين الهامين اللذين وصلا
إلينا ، وهما كتابا « التاريخ » و « تفسير القرآن »[٣] . فإن ذلك لا يغض
من قدر علمه بالأدب والشعر . قال ثعلب : «قرأ على أبو جعفر شعرا لشعراء
قبل أن يكثر الناس عندى بمدة طويلة ، وبان فضله فى علم اللغة والأدب»[٤] .
وحين لقيه أبو الحسن بن سراج فى مصر بالفسطاط ، وجده فاضلا فى كل
ما يذاكره به من العلم ، ويجيب فى كل ما يسائله عنه ، حتى سأله عن
الشعر ، فرآه فاضلا بارعاً فيه[٥] . وهذا يفسر لنا اهتمام الطبرى برواية
الأشعار خلال سرده لأحداث التاريخ ، وإضافاته القيمة لمجموعة أشعار
السيرة النبوية التى سبقت الإشارة إليها فى فصل المصادر .

أبو الفرج الأصفهانى : (ت ٣٥٦ هـ)

هو على بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصفهانى ، سليل الأسرة الأموية ، ولد
فى أصفهان سنة ٢٨٤ هـ[٦] ، ثم طلب العلم وتأدب ببغداد[٧] ، وعمل كاتبا فى

(١) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٢٦٠ .
(٢) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٤٥ .
(٣) تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص ١٥٩ .
(٤) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٢٦٠ ، وميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٤٩٨ .
(٥) شذرات الذهب جـ ٢ ص ٢٦٠ .
(٦) انظر فى ترجمته ومصادرها تاريخ التراث العربى مجلد ١ جـ ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨٣ .
(٧) نفسه ، ومعجم الأدباء جـ ١٣ ص ٩٤ .

خدمة ركن الدولة البويهى ، والتى حظوة بعد ذلك عند سيف الدولة الحمدانى ، الذى قدم إليه كتابه « الأغانى » كما لقى الحظوة عند الصاحب ابن عباد ، والوزير المهلبى ، وعلى الرغم من تشيعه ، فقد كان على اتصال سرى بالأسرة الأموية الحاكمة فى الأندلس(١) .

كان أبو الفرج مؤرخاً أديباً وعالماً بالموسيقى ، بل كان إليه المنتهى فى معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات(٢) . قال عنه التنوخى : « إنه كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة ، والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله ، وكان شديد الاختصاص بهذه الأشياء »(٣) .

روى أبو الفرج عن جمع من العلماء يطول تمدادهم(٤) ، منهم أبو بكر ابن دريد ، وأبو بكر بن الأنبارى ، والفضل بن الحباب الجمحى ، وعلى بن سليمان الأخفش ، وإبراهيم بن نفطويه(٥) . وجمع إلى جانب ذلك مادة عدد كبير من الكتب التى ضاع أكثرها ، ولم يصل إلينا من مادتها إلا ما أخذه عنها(٦) . ويبدو أنه قد حصل إجازات برواية معظم مصادره ، كما أفاد من مئات الكتب اللغوية والموسيقية والتاريخية دون أن يكون قد

(١) نفسه . تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨٣ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٩٥ .

(٣) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ٣ ص ٦٨ .

(٤) إنباه الرواة ج ٢ ص ٢٥١ .

(٥) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٩٥ .

(٦) تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ٢٨٠ .

حصل على إجازة براويتها[١] . ولعل ذلك كان سبباً فى أن يتهمه الخطيب والنوبختى بأنه كان أكذب الناس ، حيث كان يشترى شيئاً كثيراً من الصحف ، ثم تكون رواياته كلها منه[٢] .

ولكن هذا الاتهام لا يصمد أمام توثيق الكثرة من العلماء له : قال أبو الحسن البتّى : « لم يكن أحد أوثق من أبى الفرج الأصبهانى »[٣] ، وقال المهلبى : « كان أبو الفرج عزيز الأدب ، عالى الرواية ، حسن الدراية »[٤] . كما وثقه الذهبى فى ميزانه[٥] ووصفه بالصدق . ثم إنه لم يكن يأخذ من الكتب أخذاً عشوائياً دون أن يكون على بينة من قيمتها العلمية ومن صدق رواياتها ، يقول ابن النديم « كان أكثر تعويله فى تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد »[٦] . وكان يسوق مادته مقترنة بإسناد تصور مصدرها ، محتاطاً إزاء رواته أشد الحيطة ، فمن عرف بكذبه نبه عليه ، وحتى من عرف بصدقه كان يراجع روايته على روايات معاصريه ودواوين الشعراء ، مبالغة فى الدقة والتحرى[٧] . فهو إذن قد جمع بين سعة الرواية والخدمة فى الدراسة[٨] وترجع أكثر مصادره إلى النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة ، أو إلى النصف

---

(١) تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٢) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٢٣ .

(٣) معجم الأدباء ج ١٣ ص ٩٥ .

(٤) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٢٤ .

(٥) نفسه .

(٦) الفهرست ص ١١٥ .

(٧) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ص ١٦٣ .

(٨) إنباه الرواة ج٢ ص ٢٥١ .

الأول للقرن الثالث[١] . وهى الفترة التى ظهر فيها كبار الرواة والعلماء الثقات الأثبات .

ومصنفه المشهور كتاب « الأغانى » قد أضاف مجموعة قيمة من أشعار السيرة كما أشرنا من قبل . وله مصنفات أخرى غيره مثل مقاتل الطالبيين ، وأدب الغرباء ، وكتاب القيان[٢] .

* * *

(١) تاريخ التراث العربى مجلد ١ ج ٢ ص ٢٨١ .

(٢) نفسه ص ٢٨٣ — ٢٨٧ ، وإنباه الرواة ج ٢ ص ٢٥٢ .

الفصل الخامس

ظواهر التشويه والنقص في شعر السيرة

لقد مر شعر السيرة النبوية — الذى وصل إلى أيدينا — بمراحل متعددة من الرواية الشفوية والتدوين الكتابى ، وتناقله رواة كثيرون عبر الأجيال المتعاقبة ، منهم الثقات الصادقون ، ومنهم الكاذبون الوضاعون ، وعلى الرغم من الجهود المحمودة التى بذلها العلماء المتثبتون ، من أجل تمحيصه وتنقيته من الزائف والمنحول ، ومن أجل التحقق من صحة نصوصه ، وصحة نسبتها إلى قائليها الحقيقيين ، لم تزل هناك غيامات من الشك تلف بعض هذه النصوص ، وتجعل الباحث يقف إزاءها موقف التردد والحيرة ، لا يستطيع أن يصل إلى حكم قاطع فى التحقق منها .

ولكى نتعرف على جوانب هذه القضية ، ينبغى أن نتتبع الظواهر التى تعرض لها شعر السيرة خلال رحلته الطويلة ، من نحل ووضع ، وغلط وتغيير ، وضياع وفقد ، حتى يمكننا أن نحدد درجة اليقين والتوثيق ، التى توجه نظرتنا إلى شعر السيرة . ولو كانت هذه الدرجة تقريبية تساعد على ترجيح الرأى الصائب والحكم السليم ، وترسى دعائم الطمأنينة فى النفس ، وتمحو ما يعتورها من شوائب الحيرة والبلبلة . وفيما يلى نعرض لهذه الظواهر عرضاً مفصلا بالقدر الذى يتيح لنا الوقوف على مدى تمثلها ووجودها فى شعر السيرة .

النحل والوضع :

يمثل النحل أو الوضع أو الانتحال فى شعر السيرة النبوية ظاهرة عامة عرفها الشعر العربى فى عصوره المختلفة ، منذ عصره الجاهلى حتى عصره الحديث ، وإن تفاوتت درجات وجودها قلة وكثرة ، تبعاً لاختلاف العوامل والظروف التى أدت إلى هذا الوجود ، ومع أن وسائل الحضارة الحديثة — من كتابة وطباعة وتسجيل للقول — يمكن أن تقلل منها ، إلا أنها لا يمكن أن تقضى عليها قضاء تاماً .

وليست هذه الظاهرة خاصة بأدبنا العربى وحده ، أو أنه انفرد بها دون آداب الأمم الأخرى . فالحقيقة أنها ظاهرة عالمية ، عرفتها كل أمة لها نتاج أدبى[1] ، وإن اختلفت بين أدب كل أمة وأخرى ، نتيجة لضخامة هذا النتاج أو قلته ، وتبعاً للبعد الزمنى الذى قطعه هذا النتاج ، وتعدد الأجيال التى تناقلته بوسائلها التى استخدمتها ، ولما كان أدبنا العربى من أقدم الآداب العالمية ، وأكثرها غزارة ووفرة ، صارت ظاهرة الانتحال والوضع فيه أشد خطورة وأوسع تشابكا ، وأدعى إلى الاهتمام والدرس ، وهذا ما نلمسه فى كثرة من تعرض لها من الدارسين قديماً وحديثاً . وفى كثرة الأمثلة التى نطالعها فى صفحات الكتب والمصادر ، التى عنيت برواية نصوصه ، والتى تشهد على وجود هذه الظاهرة فى أدبنا منذ أقدم عصوره .

ولم تكن ظاهرة النحل أو الانتحال هذه وقفاً على الشعر فحسب ، بل كانت ظاهرة عامة عرفها تراثنا الأدبى — شعره ونثره — وشملت كل

---

(١) مصادر الشعر الجاهلى ص ٣٢٦ .

ما يمت إلى الأدب العام بسبب كالنسب والأخبار[١] ، وغير ذلك من جوانب التراث .

ونظراً لأن هذه الظاهرة ترتبط أساساً بالطبيعة البشرية وبخلق الإنسان وما جبل عليه من طباع متغايرة بين الصدق والكذب ، والحق والزور ، والحفظ والنسيان فإنه لم يسلم منهما شيء من نتاجه البشرى . بل لم تسلم منها الكتب السماوية حين تركت بين يديه ليبلغها لغيره ، فبدل فيها وغير ، على نحو ما فعل بالتوراة والإنجيل ، ولولا أن الله عز وجل أخذ على نفسه العهد بحفظ قرآنه الكريم : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[٢] . لما سلم كذلك من تزييف الإنسان وتغييره ، وقصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى ذلك معروفة ؛ إذ كان من كتبة الوحى ، ثم ارتد ولحق بالمشركين وقال — فى زعمه — : « إن محمداً يكتب بما شئت »[٣] ، وذكر أنه كان يكتب « عزيز حكيم » مكان « غفور رحيم »[٤] . وكان ممن أمر الرسول (ص) بقتلهم فى فتح مكة ، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، ولولا أن تشفع له عثمان بن عفان لأنفذ فيه أمر القتل[٥] .

والوضع والكذب فى الحديث النبوى أمره مشهور ، وقد حدث فى عهد الرسول (ص) نفسه ، إذ جاءه المنقع بن الحصين ذات يوم فقال : يارسول الله إن الناس خاضوا فى كذا وكذا . فرفع النبى (ص) يديه وقال : « اللهم

---

(١) نفسه ص ٣٢٣ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ١٣ .

(٤) المعارف لابن قتيبة ص ١٤٩ .

(٥) سيرة ابن هشام ق ٢ ص ٤٠٩ .

لا أحل لهم أن يكذبوا على »[1] . ومع أن الرسول (ص) حذر من مغبة الكذب عليه بقوله : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[2] . فإن وضع الأحاديث المكذوبة عليه قد استمر ، بل تزايد وتفاقم أمره ، إلى أن قيض الله له العلماء المحققين فنقحوه وصححوه .

فالوضع والانتحال في الشعر إذن ظاهرة بشرية طبيعية ، ليس بوسع أحد أن ينكرها ، لأن الشعر يحمله رواة ، وهم بين ثقة صادق ، يثق الناس في صدق روايته ، ويطمئنون إلى أمانته ودقة حفظه ، وبين كذوب مستهتر ، لا يرعوى عن الوضع والاختلاق والتزيد ، سعياً وراء هدف يرمى إليه ، أو رغبة في كسب يكتسبه ، أو طمعاً في مغنم يغتنمه .

وإذا كانت قضية الانتحال في الشعر الجاهلي قد شغلت الكثيرين من الباحثين وخاصة في العصر الحديث بين عرب ومستشرقين فإن شعر السيرة النبوية قد نال جانباً من اهتمامهم في إطار بحثهم للقضية بصورة كلية . ولكن الذى ينبغي أن نلفت إليه الانتباه أن حيثيات القضية في الشعر الجاهلي تختلف عنها في شعر السيرة ، وإذا كانت هناك وجوه من الاتفاق بينهما في بعض عواملها ومظاهرها ، إلا أن شعر السيرة تبقى له وجوه أخرى خاصة به ومن ثم كانت دراسة هذه القضية أو هذه الظاهرة في شعر السيرة أمراً جديراً بأن يطرح ويناقش في نطاقه المحدود .

وقد رد ابن سلام ظاهرة النحل في الشعر — جاهليه وإسلاميه — إلى عاملين رئيسيين هما : العامل القبلي ، وعامل الرواة الوضاعين ؛ يقول :

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ٤٣ — ٤٤ .

(٢) نفسه جـ ٣ ص ٧٥ .

لما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم ، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار التي قيلت »[1] .

فالعامل القبلي كان له أثره الواضح في نحل الأشعار التي تدخل في إطار السيرة النبوية ، وخاصة بالنسبة لقبيلة قريش ، التي كان لها دور أساسي في أحداثها ، والتي قادت حملة العداء ضد الإسلام والمسلمين في ميدان الحرب وفي ميدان الشعر ، فلما انتهى دورها الحربي بفتح مكة ودخولها في الإسلام ، بقي دورها الشعري الذي رأته متضائلا بالقياس إلى دور شعراء الأنصار ، فعمدت إلى تقويته بوضع الأشعار ، يقول ابن سلام : « وقريش تزيد في أشعارها ، تريد بذلك الأنصار والرد على حسان »[2] . ومن أمثلة ذلك ما يروى لأبي سفيان بن الحارث من قول يوجهه إلى حسان :

أبوك أبو سوء وخالك مثله
ولست بخير من أبيك وخالكا

وإن أحق الناس أن لا تلومه
على اللوم من ألفى أباه كذلكا

ويعلق ابن سلام على هذا الشعر بقوله : « وأخبرني أهل العلم من أهل المدينة أن قدامة بن موسى بن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان ؛ وقريش ترويه في أشعارها »[3] .

---

(١) طبقات الشعراء ص ٣٩ — ٤٠ .

(٢) نفسه ص ٢٠٨ .

(٣) نفسه ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

ولم يقتصر موقف قريش على وضع الشعر ونحله شعراءها ، بل تجاوز ذلك إلى نحله شعراء الأنصار ، وخاصة حسان بن ثابت ، يقول ابن سلام في حديثه عنه إنه « كثير الشعر جيده ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد ، لما تعاضهت قريش واستبت وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تنقى »(١) .

وهذا القول يشير إلى التطور الذى طرأ على موقف قريش فى انتحال الأشعار ، فلم يعد العامل القبلى هو وحده الدافع لها إلى انتحالها ، وإنما تداخل معه دافع آخر سياسى ، إذ حصرت الخلافة فى قريش حين تولاها الخلفاء الراشدون ، ثم ضاق نطاق حصرها بعد ذلك فى بنى أمية ، وانتقلت منهم إلى بنى العباس . وخلال هذه الفترة اشتد الصراع السياسى على الخلافة بين الأمويين والشيعة ، وبين الأمويين والزبيريين ، وترك هذا الصراع بصماته على شعر السيرة ، فوضعت الأشعار التى تخدم الموقف السياسى لكل فريق منهم ، ونسبت إلى حسان(٢) ، أو إلى غيره من الشعراء .

ولعل حزب الشيعة كان أكثر هذه الأحزاب أثراً فى وضع الأشعار ، لإبعاده عن الخلافة وسلطتها السياسية ، فتزيدوا فى أشعار على بن أبى طالب ، وكذلك فى أشعار أبيه ، قال ابن سلام : « وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، وأبرع ما قاله قصيدته التى مدح فيها النبي (ص) وهى :

وأبيض يُستسقى الغَمامُ بوجهه
ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٧٩ .

(٢) انظر تفاصيل ذلك فى العصر الإسلامى للدكتور شوقى ضيف ص ٨٠ – ٨١ ، وكتاب محمد طاهر درويش عن حسان بن ثابت ص ٥٠٣ وما بعدها .

وقد زيد فيها وطولت . ورأيت فى كتاب كعبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ، وقد علمت أن قد زاد الناس فيها ، فلا أدرى أين منتهاها ، وسألني الأصمعى عنها فقلت : صحيحة . قال : أتدرى أين منتهاها ؟ قلت : لا أدرى ، وأشعار قريش فيها لين تشكل بعض الإشكال »[1].

وقد أورد ابن إسحاق قصيدة أبى طالب هذه ، وانتقى ابن هشام منها أربعة وتسعين بيتاً ، ثم قال : هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها »[2] .

وذكر بروكلمان أن مخطوط ليبزج ٥٠٥ (رفاعية ٣٣) اشتمل مع ديوانى سحيم وأبى الأسود الدؤلى على ديوان منسوب لأبى طالب عم النبى تدور أشعاره حول ما وقع بين النبى وقريش من أحداث ، ثم أدلى برأيه فى هذا الديوان فقال : « ولعل بعض هذا الديوان صحيح ، لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبى طالب ، ولكن أكثره منحول ، لأن الدواعى توافرت عند المحدثين لتزيين سيرة النبى فى أوائل عهد النبوة أيضاً بكثير من الأشعار ، بعد أن كثرت الأشعار فى سيرته بالمدينة . كما أن شيعة على أرادوا أن يشيدوا بمعاونة أبيه للنبى ، ليضعوه بذلك فى مكان بارز . ولا بد أن هذا الشعر وضع من قديم ؛ لأنه لم يزل يذكر بنى هاشم أمة واحدة ، لم تفترق بعد إلى علويين وعباسيين ، ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر ، فقد روى ابن إسحاق أكثره فى سيرة النبى »[3].

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٠٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ق ١ ص ٢٩٩ .

(٣) تاريخ الأدب العربى جـ ١ ص ١٧٥ .

وزاد الشيعة كذلك فى أشعار على بن أبى طالب ، حتى إنهم جمعوا له ديوانا أسموه « أنوار العقول لوصى الرسول » . وقد وردت فى بعض المصادر أخبار تدل على أن عليا كان لديه موهبة الشعر ، وكان يقرضه فى بعض الأحيان(١) ، منها أن قائلا قال لعلى : « اهج عنا الذين يهجوننا — يعنى شعراء المشركين — فقال : إن أذن لى رسول الله فعلت »(٢) . ولكن الأشعار التى قرضها على قليلة ، لا تصل إلى الحد الذى يجعلها تكون ديوانا . فوضع الشيعة لمعظم أشعاره ظاهر مكشوف حتى فى تسميتهم للديوان ، تلك التسمية المستمدة من زعمهم بوصاية الرسول (ص) لعلى .

يقول بروكلمان : « لا شك أن عليا كان على سليقة من الشعر ، ولكن من المشكوك فيه كثيرا اشتمال الديوان المنسوب إليه على أشعار صحيحة . فقد وضح اختراع الشيعة له وضوحا بينا ، حتى أدركه النقاد من أهل السنة ، ويبدو أن ابن قتيبة رأى ديوانا منحولا عليه »(٣) .

ويؤيد هذا الرأى أيضا المستشرق نالينو ، إذ يقول : « ومن الكتب الكثيرة التداول حتى فى أيامنا ديوان يحتوى على قصائد ومقطعات دينية منسوب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ولكنه كتاب مختلق ، وهو مما صنعه أهل الشيعة لأغراضهم الخاصة »(٤) .

ويدخل العامل الدينى دافعا من الدوافع المؤثرة فى نحل أشعار السيرة ،

(١) انظر معجم الشعراء ص ١٣٠ — ١٣١ ، والخزانة جـ ٢ ص ٥٢٦ ، والطبرى جـ ٢ ص ٥٣٣ ، والمغازى ص ٢٨٢ .

(٢) الاستيعاب جـ ١ ص ٣٤٢ .

(٣) تاريخ الأدب العربى جـ ١ ص ١٧٥ — ١٧٦ .

(٤) تاريخ الآداب العربية ص ١١٦ .

فقد عمد الوضاعون إلى إظهار صورة الرسول (ص) فى شكلها اللائق به ، وأنه من غير الملائم أن يرووا أشعاراً تسيء إليه أو إلى أحد من أهل بيته . وتجاوزوا ذلك إلى إنطاق شعراء قريش بمديحه أثناء هجائهم للأنصار[١] . كما عمدوا إلى إبراز الفضل والشرف لآل بيته بوضع الأشعار التى تؤيد ذلك . فنسبوا إلى جده عبد المطلب بن هاشم أشعاراً تبين عن علمه بأن سبطه محمداً سيكون نبياً[٢] . ووضعوا أشعاراً على بنات عبد المطلب ، وعلى أخته ضُعيفة بنت هاشم[٣] ، وعلى أم النبى (ص) آمنة بنت وهب[٤] ، وعلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب[٥] ، وعلى فاطمة بنت مر الخثعمية[٦] حين عرضت نفسها على عبد الله لتفوز بنور النبوة ، ورد عبد الله عليها .

وتضمن الوضع فى ذلك أيضاً أشعاراً نسبت إلى بعض العرب فى الجاهلية مرهصة أو منبئة بظهور نبى من قريش ، كأنما كان يعلم قائلوها بالغيب ، وبما ستأتى به الأيام ، على نحو ما ترى فى تلك الأبيات التى نسبت إلى المشمرج بن عمرو الحميرى ، وفيها يقول :[٧]

وقريش هى التى تسكن البحـ
ـر بها سُميت قريش قريشا

(١) تاريخ الشعر السياسى ص ٧٣ .
(٢) عمدة الطالب فى أنساب آبى طالب ص ٩ .
(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٨٦ .
(٤) نفسه ص ٩٢ .
(٥) نفسه ص ٨٠ .
(٦) بلاغات النساء لابن طيفور ص ٢٠٠ .
(٧) المزهر ج ١ ص ٣٤٤ — ٣٤٥ ، ومعجم الشعراء ص ٤٣٧ .

ولهم آخـــر الزمـان نـبيٌّ
يـكثر القتـــل فيهم والخموشا
تمـلأ الأرضَ خيلُــه ورجالٌ
يحشرون المطـــيَّ حشراً كثيشا

وقد أفاض الدكتور طه حسين فى حديثه عن هذا الجانب من أسباب النحل ، فأبدى شكه فى كل ما يروى من هـذا الشعر الذى قيل فى الجاهلية ممهـداً لبعثة النبى ، وكل ما يتصل بهـا من هـذه الأخبار والأساطير التى تروى لتقنع العامة بأن علماء العرب وكهانهم ، وأحبار اليهود ورهبـان النصارى ، كانوا ينتظرون بعثة نبى عربى يخرج من قريش أو من مكة[1] .

ولم يأت الدكتور طه بجديد فى هذا ، فقـد سبق علماء الإسلام فحكموا على جانب مما كان من هذا القبيل بالوضع ، كالأخبار والأشعار المعزوة إلى قس ابن ساعدة[2] .

وبهذا الدافع الدينى وضعت أشعار كذلك على الصحابة ، وكأنمـا عـز على الرواة الذين أخذتهم حماستهم للدين ، أن يـكون للصحابة هذا الدور العظيم فى نصرة الإسلام ثم لا تـكون لهم أشعار تزين أعمالهم ، وتبرز بلاءهم وتضحيتهم فى سبيل الله ، ومن قبيل ذلك ما ينسب لأبى بـكر الصديق[3] ، مع العلم بأن ابنته عائشة قـد نفت عنه ذلك فقالت ــ فيما يرويه الزهرى عن عروة ــ : « كذب من أخـبركم أن أبا بـكر قال بيت شعر

---

(١) فى الأدب الجاهلى ص ١٤٧ .

(٢) نقش كتاب الشعر الجاهلى ص ١٨٨ .

(٣) سيرة بن هشام ق ١ ص ٥٩٢ — ٥٩٣ .

فى الإسلام »[1] . ومنه ما ينسب إلى حمزة بن عبد المطلب[2] ، وسعد بن أبى وقاص[3] ، وعلى بن أبى طالب[4] ، وغيرهم ، وهى أشعار شك فيها ابن هشام ، وعلق عليها بقوله : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له » ووضعوا شعراً كذلك فى إسلام عثمان بن عفان[5] . وفى إسلام عمر بن الخطاب منسوباً إليه[6] .

ووضعت أيضاً أشعار على بعض الصحابة للتدليل بها على ما أثر عنهم من الورع والتقوى ، ولتزيين ما ورد فى حقهم من آيات قرآنية ، مثلما أورده القرطبى من حوار شعرى بين على بن أبى طالب وزوجته فاطمة الزهراء ، خلال تفسيره لسورة الإنسان . وهى ست أراجيز[7] ، لم يقتنع بصحتها ، فعقب عليها بقول الترمذى الحكيم أبى عبدالله فى نوادر الأصول : « فهذا حديث مزوق ، قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة . ما يروج مثل هذا إلا على حمقى جهال . وليت شعرى من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن على وفاطمة ، وإصابة كل واحد منهما صاحبه ، حتى أداه إلى هؤلاء الرواة ؟ فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى . بلغنى أن قوماً يخلدون فى السجون ، فيبقون بلا حيلة ، فيكتبون أحاديث فى

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٥٩٢ هامش ٤ .

(٢) نفسه ق ١ ص ٥٩٦ .

(٣) نفسه ق ١ ص ٥٩٤ — ٥٩٥ .

(٤) نفسه ق ٢ ٥٢٥ .

(٥) الإصابة جـ ٨ ص ١٠٦ — ١٠٧ . والشعر منسوب إلى خالته سعدى بنت كريز العبشمية .

(٦) الروض الأنف جـ ١ ص ٢١٨ .

(٧) تفسير القرطبى جـ ١٩ ص ١٣١ — ١٣٣ .

السحر وأشباهه »[١] . ثم أضاف القرطبي إلى ذلك قوله : « ومثل هذه الأحاديث مفتعلة ، فإذا صارت إلى الجهابذة ، رموا بها وزيفوها ، وما من شيء إلا له آفة ومكيدة ، وآفة الدين وكيده أكثر »[٢] .

والكيد للدين عن طريق نحل الشعر أمره قديم منذ عهد الرسول (ص) وهو في المدينة ، إذ كان المنافقون يحاولون الإساءة إلى الإسلام وتشويه حقيقته بكل وسيلة ملتوية خبيثة . روى البلاذري أن بشر بن أبيرق المنافق كان يهجو أصحاب رسول الله ثم ينحله بعض العرب ، فإذا ما سمعه الصحابة قالوا : والله ما قاله إلا الخبيث بشر ، فلما بلغه ذلك قال :

أوَ كلما قال الرواة قصيدةً
أصمَتُوا وقالوا ابنُ الأبيرقِ قالها
متعصبين كأنني أخشامُ
جدعَ الإلهُ أنوفهم فأمالها[٣]

وكان لورود المعاني والأفكار الدينية في شعر أمية بن أبي الصلت أثر في شك بعض الباحثين ، حتى إن المستشرق « هوار » تطرف في زعمه بأن شعره كان من مصادر القرآن الكريم[٤] . ولكن بروكلمان خطأ هذا الزعم ، ورأى أن الحق ما ذكره « ثور آندريه » ، وهو أن الأشعار التي نظر إليها هوار إنما هي نظم جمع القصاص فيه ما استخرجه المفسرون من

(١) تفسير القرطبي جـ ١٩ ص ١٣٤ — ١٣٥ .
(٢) نفسه ص ١٣٥ .
(٣) أنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٧٨ .
(٤) تاريخ الأدب العربي جـ ١ ص ١١٣ .

وراء القصص القرآني[١]. ويرى ناللينو[٢] كما يرى طه حسين[٣] أن ما أضيف إلى أمية من الشعر المملوء بالعبارات القرآنية[٤] والمعاني الدينية إنما انتحل عليه انتحالا.

ومن عوامل النحل في شعر السيرة وضع الأشعـــار لتزيين الأخبار والقصص، فالسيرة زاخرة بكثير من هذه الأخبار والقصص، التي تشكل تفاصيل أحداثها وأطوارها، ونحن نعرف « أن القصص العربي لا قيمة له ولا خطر في نفس سامعيه إذا لم يزينه الشعر من حين إلى حين »[٥]. فقد كان معاوية يسأل عبيد بن شرية — حين يقص عليه — : « هل قيل في بعض تلك الأخبـــار والقصص شعر؟ »[٦] فالشعر يزيد استمتاع العربي بما يروى له من خبر أو قصة. وقد وجد الوضاعون في السيرة النبوية مجالا خصبا لتزيين أخبارها بالأشعار، وخاصة ما كان يتصل منها بالنبي (ص) كمولده ونشأته، وبعثته وهجرته، وجهاده لأعداء دعوته، وكذلك قصص البطولة في الغزوات، وغيرها من أخبار الصحابة وجهادهم، وليس من شك في أن بعض هذه المناسبات قيلت فيها أشعار صحيحة، ولكن بعضها الآخر لم يقل فيه شعر، فعمد القصاصون والإخباريون إلى اختراع الأشعار المناسبة للقصة أو الخبر، ليحظى بالقبول والاهتمام لدى السامعين.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ج ١ ص ١١٣ .

(٢) تاريخ الآداب العربية ص ٩٤ .

(٣) في الأدب الجاهلي ص ١٤٢ .

(٤) انظر كتاب البدء والتاريخ تحقيق هوار ج ١ ص ٢٠٣ . فالشعر الوارد فيه يبدو نظما لبعض آيات سورة « الطور » .

(٥) في الأدب الجاهلي ص ١٧٨ .

(٦) أخبار عبيد ص ٣٢٧ ، ٣٣٥ .

وهذا الضرب من الشعر شائع فى كتب التاريخ والسير ، ومنها — على سبيل المثال — كتاب « الدرة المكللة فى فتح مكة »[١] للبكرى . وقد نبه العلماء الثقات إلى هذا الشعر المصنوع ، قال الأصمعى : « أقمت بالمدينة زماناً ، ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة ، إلا مصحفة أو مصنوعة ، وكان بها ابن دأب عيسى بن يزيد بن بكر ، يضع الشعر وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسبه إلى العرب ، فسقط وذهب علمه وخفيت روايته . وكان بها الشرقى ابن القطامى وكان كذاباً »[٢] وقال ابن سلام : « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه ، وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق بن يسار ... وكان من علماء الناس بالسير ، فقبل الناس عنه الأشعار ... فكتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال »[٣] .

كذلك وضع الرواة والقصاصون أشعاراً نسبوها إلى الجن ، خلال القصص التى نسجوها عنهم ، وشواهد ذلك كثيرة فى كتب التاريخ والسير والأدب ، فقد عقد ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية »[٤] باباً خاصاً بهم سماه (باب هواتف الجن) تحدث فيه عن الجن وأخبارها وأشعارها ، كما نجد فى « الإصابة »[٥] و « جمهرة أشعار العرب »[٦] و « الأغانى »[٧] و « الاشتقاق »[٨] شعراً كثيراً منسوباً إلى الجن .

---

(١) انظر ص ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٦١ ، وغيرها .

(٢) المزهر ج ٢ ص ٤١٣ — ٤١٤ .

(٣) طبقات الشعراء ص ٧ — ٨ .

(٤) البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٣٤ وما بعدها .

(٥) الإصابة ج ١ ص ٢٤٦ ، ٢٦٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ .

(٦) جمهرة أشعار العرب ص ٤٥ — ٤٧ .

(٧) الأغانى ج ٨ ص ١٠٢ .

(٨) الاشتقاق ج ٨ ص ١٤٢ .

وعلاقة الجن بالشعر والشعراء قديمة عند العرب منذ الجاهلية ، وقد عرفنا أنهم يربطون بين الشاعر وشيطانه الجني الذى يلهمه القول[١] ، ولعل إقرار القرآن بوجود الجن ، وإفراد سورة من سوره لهم ، تتحدث آياتها عن استماعهم تلاوته ، وتأثرهم بهدايته ، وإيمانهم بدعوته ، وعودتهم إلى قومهم ليدعوهم إلى الإسلام ، فكان منهم المؤمنون ومنهم القاسطون ، لعل ذلك كان مشجعاً للرواة والقصاصين أن ينسجوا القصص عن الجن ، وأن يزينوها بأشعار لهم ، فزعموا أنهم شاركوا فى حمل الدعوة الإسلامية ، وأنذروا العرب ببعث النبى ورسالته إلى الناس كافة[٢] ، وكشفهم مؤامرة قريش عليه عند هجرته[٣] ، وإبلاغهم أهل مكة بهزيمة بدر[٤] قبل أن يصل إليهم خبرها ، وغير ذلك من أخبار وأشعار لهم ظاهرة الوضع والاختلاق ؛ لإرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة فى كل شىء[٥] . فالحديث عن الجن فيه إثارة لنفس الإنسان المتلهفة إلى معرفة هذه المخلوقات الغيبية التى لا ترى ، والتى يؤمن بحقيقة وجودها .

ويرى الدكتور الحامد أن سماع الجن للقرآن ، وإعجابهم به ، وفهمهم للغته العربية ، ومخاطبتهم للنبى (ص) ، ومخاطبته لهم ، وهو لم يكن يعرف غير العربية كل ذلك يعنى معرفتهم للعربية ، وقدرتهم على التحدث بها نثراً ، فماذا يمنع بعد من أن يقولوا بها شعراً ؟ ! وأن المغالاة فى المادية والتجريبية

---

(١) انظر الفصل الأول من هذا البحث .

(٢) الإصابة جـ ٦ ص ٣٣ . والبداية والنهاية جـ ٢ ص ٣٤٣ .

(٣) الإصابة جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٤) الروض الأنف جـ ٢ ص ٨٥ ، والبداية والنهاية جـ ٣ ص ٣٠٨ .

(٥) فى الأدب الجاهلى ص ١٤٩ .

في أمور هي من علم الغيب ، أمر يؤدي إلى إنكار الكثير من الحقائق [1] .
ولكنه يعود فيرجح نحل هذا الشعر لعدم روعته [2] .

ومع إيماننا بحقيقة الجن ، إلا أن ذلك لا يذهب بنا إلى تصديق قولهم للشعر حتى ولو كان رائعاً ، لأن هـــذه المخلوقات لها عالمها الخاص ، الذي لا نعرف عنه الكثير ، ولها طبيعتها التي تختلف عن طبيعة البشر ، وإذا كانت موهبة الشعر وإبداعه شيئاً خاصاً بالطبيعة البشرية ، فكيف لنا أن نتصور وجود هذه الموهبة الشعرية في طبيعة الجن ؟ ! وحتى إذا افترضنا وجودها عندهم ، وأنه بإمكانهم الاتصال بالبشر وإبلاغهم بما قرضوا من شعر ، فلماذا يقتصر هذا الإبلاغ على تلك الأبيات أو المقطوعات الهزيلة التي لا ترقى بأي حال إلى مرتبة الشعر الجيد ؟ ! ولماذا يقتصر هذا الاتصال على حقبة معينة من التاريخ ولا يستمر على مدى الحقب التالية الأخرى حتى عصرنا الحديث ؟ ! كل هذه التساؤلات والافتراضات تسوقنا إلى حقيقة مؤكدة هي أن الجن لم يقولوا هذا الشعر ، وإنما هو شـــعر موضوع منتحل من صنع البشر .

من كل ما سبق نرى أن ظاهرة الانتحال في شعر السيرة تضافرت عوامل عديدة على إيجادها ، ولكن أمرها لم يكن خافياً على علمائنا القدامى إذ تنبهوا لها ، ونبهوا إليها ، ووقفوا أمام الأشعار التي تشككوا فيها وقفة متفحصة ممحصة ، وتعقبوا روايات الوضاعين والمزيفين بالنقـــد والتحقيق ، فأشاروا إلى الزائف منها والمنحول ، وأبدوا رأيهم في القصائد أو المقطوعات

---

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام للدكتور عبد الله الحامد ص ٥٩ .
(٢) نفسه .

أو الأبيات التى ارتابوا فى أمرها ، وبينوا ما إذا كانت صحيحة أو منحولة أو أنها لفلان وليست لغيره ، أو أن بيتاً أو أبياتاً زيدت عليها وليست منها ، وما إلى ذلك من تعليقات تدل على دقة علمهم وعمق معرفتهم بالشعر ، وقلما نجد رواية عالم من هؤلاء العلماء الأثبات دون نص صريح منه على ما هو صحيح وما هو منحول فيما يورده من أشعـــار . ولعل فى قول ابن سلام ما يطمئننا على مقدرة هؤلاء العلماء فى تصديهم للوضع والنحل ، إذ يقول : « وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ، ولا ما وضع المولدون »[1] ويزيد من طمأنتنا ما نراه من جهد عظيم بذله ابن هشام فى تحقيق ما رواه ابن إسحاق من أشعار السيرة . وإذا كانت هناك بعض أشعار لا تزال موضع شك بين صحتها ونحلها ، فإنها أشعار قليلة لا تقاس إلى الكم الضخم من الأشعـــار الصحيحة . ولا ينبغى أن ننساق وراء آراء الباحثين المتطرفين من عرب ومستشرقين ، تلك الآراء التى تدعو إلى رفض أشعار السيرة جملة وتفصيلا ، وتصمها بأنها جميعها موضوعة ، فالحقيقة العلمية تفرض علينا أن نلتزم بالاعتدال فى أحكامنا ، وأن تكون أحكامنا قائمة على البحث والتقصى والحيدة والموضوعية . وهذا هو ما نلتزم به ، ونصدر على أساسه حكمنا بأن شعر السيرة النبوية الذى وصل إلينا بعد تنقيته وتصحيحه على أيدى علمائنا الأجلاء ، هو شعر صحيح فى معظمه ، وأن ما يشك فى صحته منه لا يمثل إلا نسبة ضئيلة ، لا تشكل خطراً ، ولا تجعلنا نحجم عن دراسته .

* * *

---

(١) طبقات الشعراء ص ٤ .

٣ ـ الخلط والتداخل :

تعد ظاهرة الخلط والتداخل فى أشعار السيرة من الظواهر الشائعة ، التى تطل بوجهها فى كثير من صفحات المصادر ، التى حملت إلينا تلك الأشعار ، وهى ظاهرة طبيعية ناتجة عن الظروف والملابسات ، التى أحاطت بنظامها وروايتها وتدوينها ، وتناقلها عبر الأجيال والحقب حتى وصلت إلينا .

وهذه الظاهرة تتمثل فى وجوه متعددة من الاختلاط بين القصائد أو المقطوعات ، ومن التنازع فى نسبتها إلى قائليها ، ومن التضارب فى ذكر المناسبة التى قيلت فيها ، ومن التداخل بين الأبيات فى قصيدتين متشابهتين فى الوزن والقافية لشاعر واحد أو لشاعرين مختلفين ، إلى غير ذلك من الوجوه . وهذا لا يقدح فى صحة تلك الأشعار ، ولا يشكك فى أصالتها ، ولا يدخلها فى دائرة النحل والوضع ، وإنما هى أشعار صحيحة فى نصوصها ، وفى صدورها عن شعراء شاركوا فى أحداث السيرة ، وعبروا عن مجرياتها وتطوراتها .

وإذا نظرنا إلى الأسباب التى أدت إلى وجود هذه الظاهرة ، وشيوعها فى أشعار السيرة ، رأيناها أسباباً كثيرة متشابكة ، منها أسباب هامة هى :

١ — كثرة أحداث السيرة وتتابعها وتشعبها .

٢ — كثرة الشعراء المشاركين فيها ، وكثرة المغمورين منهم ، الذين لم يعرفوا بقول الشاعر .

٣ — تعدد روايات الأشعار وطرق نقلها مشافهة وكتابة .

وتأتى بعــد ذلك أسباب خاصة ترتبط بنوعية الخلط الذى حدث ، وما إذا كان فى نسبة الشعر إلى قائله ، أو فى تداخل الأبيات بين نصين لشاعرين مختلفين أو لشاعر واحد . على أن أبرز أنواع الاختلاط يكون فى نسبة الشعر إلى قائله . وهنا تتركز الأسباب فى الظروف والملابسات الخاصة بالنص أو النصوص الشعرية التى وقع فيها الخلط . ومن ذلك ورود المعانى والأفــكار الإسلامية فى أشعار المسلمين ، ومشاركتهم فى المناسبات التى قيلت فيها ، وفى مقدمة شعراء المسلمين الثلاثة المشهورون : حسان وكعب وابن رواحة ومن ثم حدث الخلط بينهم فى نسبة القصائد ، كما حدث بينهم وبين غيرهم من الشعراء المسلمين . وقد نبه ابن هشام إلى هذا الخلط فى مواضع كثيرة ، منها على سبيل المثال أبيات كعب التى قالها فى الرد على قصيدة هبيرة بن أبى وهب ، التى يفتخر فيها بانتصار قريش فى أحد . وفيها يقول كعب :

سقتم كنـانة جهـلاً من سفاهتـكم
إلى الرسـول فجنــد الله مخزيهــــا

فقد أوردها ابن هشام منسوبة إلى حسان على قول ابن إسحــاق . ثم علق عليهــا بعد ذلك بقوله : « أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لـكعب بن مالك »[١] .

ومن ذلك أيضـاً قصيدة نسبها ابن إسحق لعبد الله بن رواحة فى رثاء حمزة بن عبد المطلب ، ولـكن ابن هشام يصحح نسبتها إلى كعب بن مالك بناء على رواية أبى زيد الأنصارى . ومطلعها[٢] :

---

(١) السيرة ق ٢ ص ١٣١ — ١٣٢ ، وانظر مثل هذا الخلط ص ٣٤٨ .

(٢) السيرة ق ٢ ص ١٦٢ ، وانظر مثل هذا الخلط ص ٢١٠ .

بكت عيني وحقّ لهـا بكاها
ومـا يغني البكاءُ ولا العويلُ

ومن ذلك الخلط أيضاً قصيدة حسان التي مطلعها :

مُستشعِري حلقَ الماذيِّ يقدُمُهم
جَلْدُ النَّحيزةِ ماضٍ غيرُ رِعديد

فقد أوردها ابن هشام منسوبة إليه ، ولكنه قال : « ويقال قالها عبد الله بن الحارث السهمي »[١] ويبدو من عبارته أن شكه في نسبتها ضعيف لا يرقى إلى درجة القطع بنسبتها إلى غيره ، ويؤيد ذلك أنها وردت في ديوان حسان دون خلاف في نسبتها إليه[٢] .

ومن ذلك أبيات نسبها ابن إسحق إلى حسان ، وأوردها ابن هشام ثم عقب عليها بقوله : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلي ، ثم أورد بيتاً آخر زيادة عليها . وبعده ذكر أنها تروى أيضاً لأبي أسامة الجشمي[٣] .

وقد يحدث الخلط في نسبة الشعر بين حسان وابنه عبد الرحمن ، مثل تلك القصيدة التي وردت منسوبة إلى حسان ، ولكن ابن هشام استدرك على نسبتها بقوله : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان . ومطلعها[٤] :

ألستُ خيرَ معد كلِّها نفرا
ومعشرا إن هم عُمّوا وإن حُصِّلوا

(١) السيرة ق ٢ ص ٢٠ .
(٢) ديوان حسان — بتحقيق د سيد حنفي ص ٢٤٢ .
(٣) السيرة ق ٢ ص ٢٦٨ .
(٤) نفسه ص ٥٥٤ .

ويؤيد قول ابن هشام أن هذه القصيدة لم ترد فى ديوان حسان .

ومن الخلط فى شعر حسان قصيدة وردت فى ديوانه مع تقديمها بقول العدوى : « هذه القصيدة لصرمة بن أنس الأنصارى أحد بنى عدى بن النجار وأولها : ثوى فى قريش . » ومطلع القصيدة فى الديوان(١) :

وثـوى بمـكـة بضـع عشرة حجـة
يذكـر لو يلقى صديقـا مواتيـا

ومن هذه الأمثلة وغيرها نرى أن الاختلاط فى نسبة الأشعار كان شائعا بين شعراء الأنصار بصورة خاصة ، ثم بينهم وبين من شاركوهم الأحداث من شعراء المسلمين وغيرهم بصورة عامة ، ومن الواضح أن حسان كان صاحب النصيب الأكبر من هذا الخلط ، وسبب ذلك راجع إلى شهرته الواسعة التى وضعته فى مقدمة شعراء الإسلام جميعا لتلك الحقبة ، وأكثرهم شعرا فى أحداث السيرة النبوية ومناسباتها العديدة .

ولهذا السبب من تشابه المعانى والأفكار الدينية فى أشعار الشعراء ، اختلط شعر أمية بن أبى الصلت بشعر غيره من الجاهليين والإسلاميين ، الذين طرقوا تلك المعانى ، واختلط شعره بشعر ورقة بن نوفل ، لما شاع عند القدماء من أنهما كانا يطلبان الدين فى الجاهلية(٢) . وبشعر زيد بن عمرو

(١) ديوان حسان ص ١٤٠ — ١٤١ ، وراجع الاستيعاب ص ١٤ ، ٣٣٤ .
(٢) السيرة ق ٢ ص ٨٧ — ٧٩ .
(٣) طبقات الشعراء ص ١٠٣ ، والخزانة جـ ٢ ص ٤٠ .

ابن نفيل[١] ، وأبى قيس بن الأسلت[٢] ، والنابغة الجعدى[٣] ، وطالب ابن أبى طالب[٤] .

وفى مقابل هذا الخلط فى نسبة الشعر بين شعراء المسلمين ، كان هناك خلط بين شعراء المشركين لتقارب أفكارهم ومواقفهم فى معاداة الإسلام ، من ذلك الأبيات التى نسبت لعبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى قتلى بدر . فقد عقب ابن هشام على نسبتها إليه بقوله : وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف ، وأولها :

ماذا على بدرٍ وماذا حوله
من فتيةٍ بيضِ الوجوه كرام[٥]

إلا أنه من الملاحظ أن اختلاط نسبة الأشعار لدى شعراء المشركين أقل بكثير منه لدى شعراء المسلمين ، ولعل ذلك يرجع إلى أن شعرهم أقل ، وإلى أن الرواة لم يتنازعوا رواية شعرهم ، كتنازعهم رواية شعر المسلمين ، الذى لقى من الرواة اهتماماً وعناية أكبر .

وقد يكون سبب الاختلاط فى نسبة الشعر هو صلة القربى والنسب بين شاعرين من مثل ما رواه ابن إسحاق من أبيات نسبها لحسان يهجو فيها

---

(١) الخزانة ج ٢ ص ٤٠ .
(٢) السيرة ق ١ ص ٥٨ — ٥٩ .
(٣) طبقات الشعراء ص ٤٥ ، ومعجم الشعراء ص ١٩٥ .
(٤) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٠٦ . ٢
(٥) السيرة ق ٢ ص ١٥ .

قريشاً على تخاذلها فى رفع لوائها يوم أحـد ، حتى رفعه غلام حبشى لهم ، وأولها :

فخـــرتمْ باللواء وشـــرُّ فخـــرٍ
لــواءٌ حـــين ردَّ إلى صؤاب

فعقب ابن هشام عليها بقوله : « آخرها بيتاً يروى لأبى خراش الهذلى ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أقـــرَّ العـين أن عُصبت يـداها
وما إنْ تُعصَبان عـــلى خِضاب

فى أبيات له ، يعنى امرأته ، فى غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلى »[1]. فالقرابة بين الهذليين كانت عاملا فى هذا الخلط ، كما أن شهرة حسان فى هجاء قريش كانت عاملا آخر فى تنازع نسبتها معهما .

وقد يكون التشابه بين الأسماء سبباً فى اختلاط نسبة الشعر ، من مثـل ما وقع فيـه الرواة بنسبتهم أبياتاً قالها أميـة بن خلف إلى أميـة بن أبى الصلت[2] .

ومن ظواهر الاختلاط فى شعر السيرة تداخل الأبيـات بين قصيدتين لشاعر واحـد ، نتيجة التشابه بينهما فى الوزن والقـافية ، والتقـارب بين موضوعيهما ، ممـا يؤدى إلى التباس الأمر على الرواة ، فيظنونهما قصيدة

---

(١) السيرة س ٧٨ — ٧٩ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١٧ ص ١٧١ .

واحدة . ومثال ذلك أن ابن إسحاق روى قصيدة لعباس بن مرداس السلمى في مناسبة خروج الرسول (ص) بجيشه إلى هوازن ، وأولها :

أصابت العـــامَ رِعلاً غولُ قومهم
وسـط البيوت ولونُ الغولِ ألوان

فعقب عليها ابن هشام بقوله : « من قوله (أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها) إلى آخرها فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غير هـذا اليوم . وهما مفصولتان ، ولـكن ابن إسحاق جعلهما واحدة »(١) . فالجزء الأول من القصيدة (٨ أبيات) قالها الشاعر فى غير هذا اليوم موجهاً حديثه إلى هوازن يعيرها بالهزيمة ، ويصمها بالغدر والخيانة ، أما الجزء الثانى منها (٥ أبيات) فهو خاص بما قاله فى هذه المناسبة وقد جمعا فى قصيدة واحدة للتشابه بينهما فى الموضوع والوزن والقافية .

وربما يأتى هذا التداخل بسبب المناسبة التى قيل فيها الشعر ، مما يؤدى إلى اختلاط الأمر على الرواة ، فيروون أبيات الشاعر فى مناسبة غير التى قيلت فيها ، لمجرد ورود بعض الأسماء أو الأحداث التى تشير إلى المناسبة الأخرى ، مثلما فعل ابن إسحاق حين روى لطالب بن أبى طالب بيتين فى وقعة الفيل هما :

ألم تعلموا ما كان فى حرب داحسٍ
وجيشِ أبى يكسومَ إذ ملئوا الشِّعبا
فـلولا دفـاعُ الله لا شىء غــيرُهُ
لأصبحتم لا تمنعــون لـكم سِـرْبا

(١) السيرة ق ٢ ص ٤٤١ — ٤٤٢ .

فعقب ابن هشام عليهما بقوله : « وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى »[١] . وأبو يكسوم كنية أبرهة الحبشى .

ومن هذا الخلط فى المناسبة ، ما رواه ابن إسحاق لمالك بن عوف النصرى ، بعد هزيمة هوازن فى يوم حنين ، ومنها قوله :

لأبتْ جعفــرٌ وبنــو هلالٍ
خَــزايا مُحقبين على شقوق

ولكن ابن هشام لم يؤيد روايتها فى هذه المناسبة فقال : « هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم ، ومما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمة فى صدر هذا الحديث : ما فعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدها منهم أحد . وجعفر بن كلاب »[٢] . يعنى بذلك أن ذكر جعفر فى هذه الأبيات دليل على أنها قيلت فى يوم آخر غير يوم حنين الذى لم يشهدوه .

وقد يكون الخلط نتيجة تداخل أبيات بين قصيدتين لشاعرين مختلفين ، ولكنهما متحدتان فى الوزن والقافية ، على نحو ما نجد فى نقيضتى حسان وأبى سفيان بن الحارث اللتين قيلتا فى يوم بدر . إذ أنشد حسان قصيدته التى أولها :[٣]

دعوا فلجاتِ الشام قد حالَ دونها
جِلادٌ كأفواه المخاضِ الأوارك

(١) السيرة ق ١ ص ٥٩ — ٦٠ ، وانظر البيتين فى قصيدته ق ٢ ص ٢٦ .

(٢) نفسه ق ٢ ص ٤٥٥ — ٤٥٦ .

(٣) نفسه ص ٢١١ .

فرد عليه أبو سفيان بقصيدته التى أولها[1] :

أحسانُ إنّا يابن آكلةِ الفغَا
وجدِّكَ نغتالُ الخروقَ كذلكِ

فعقب ابن هشام عليهما بأن أبا زيد الأنصارى أنشده بيتين من قصيدة أبى سفيان منسوبين إلى حسان وهما[2] :

خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بيننا
ولو وألتْ منا بشدٍّ مُدارِكِ

إذا ما انبعثنا من مناخٍ حسبتَه
مُدَمِّنَ أهل الموْسم المتعاركِ

ومع أن ابن هشام قد اكتفى بهذا التعقيب دون أن يضيف البيتين إلى قصيدة حسان ، فإنه بمراجعة القصيدة فى ديوانه نجد البيتين ضمن أبياتها فعلا[3] ، وإن كان هناك اختلاف فى روايتهما وترتيبهما عما ورد فى السيرة .

وأحيانًا يأتى هذا التداخل فى الأبيات بين نصين لشاعرين مختلفين ، مع اختلاف المناسبة التى قيل فيها الشعر ، على نحو ما نجد فى أبيات الرجز التى أنشدها عبد الله بن رواحة ، وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله (ص) حين دخل مكة معتمراً قبل فتحها ، وفيها يقول :

نحن قتلناكمْ على تأويلهِ كما قتلناكمْ على تنزيله

(١) السيرة ص ٢١٠٢ .
(٢) نفسه ص ٢١٣ .
(٣) ديوان حسان بتحقيق د. سيد حنفى ص ١٦٣ — ١٦٤ .

فعقب ابن هشام عليها بأن هذا البيت وما بعده لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم — يقصد يوم صفين — ويستدل على ذلك بأن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل[1] .

ومن هذا الخلط والتداخل بين أشعار شاعرين ، ما ورد ضمن قصيدة هبيرة ابن أبي وهب المخزومي ، التي قالها في يوم أحد ، ومطلعها[2] :

مـا بال همٍّ عميـــدٍ بات يطرقُـني
بالوُدِّ من هنـدَ إذ تعـدو عواديهـا

إذ ورد فيها بيت أشار إليه ابن هشام بأنه ليس من شعره ، وأنه يروى لجنوب أخت عمرو ذي الكلاب الهذلي في أبيات لها في غير يوم أحد ، وهو[3] :

وليـلةٍ يصطلي بالفَـرْث جازرُهـا
يختصُّ بالنَّقَـرَى المثرين داعيهـا

وبهذا يتضح لنا أن ظاهرة الخلط والتداخل في شعر السيرة قد تنوعت مظاهرها ، وتعددت أسبابها ، وأن تمحيص العلماء لهذا الشعر قد أوقفنا على الكثير منها ، وما ذكرناه من أمثلة ، إنما هو للتعرف على هذه الظاهرة بأنواعها ودواعيها ، وهناك مواضع أخرى لهذا الخلط أشارت إليها بعض

---

(١) ديوان حسان بتحقيق د . سيد حنفي ق ٢ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .

(٢) نفسه ص ١٢٩ .

(٣) نفسه ص ١٣٢ .

المصادر[١] ، لسنا بحاجة إلى ذكرها ما دام الأمر أصبح واضحاً لدينا بما ذكرناه منها .

على أنه ينبغي التنبيه إلى أن شيوع هذه الظاهرة في شعر السيرة لم يكن أمراً متفاقماً ، ولم يكن بالكثرة التي تشوه هذا الشعر ، أو تقلل من درجة توثيقه ، فمواضع الخلط فيه لا تتجاوز أربعين موضعاً ، على وجه التقريب ، منها حوالى ثلاثين موضعاً في سيرة ابن هشام وحدها . وهذا القدر لا يمثل إلا نسبة ضئيلة بالقياس إلى ما ورد فيهـــا من نصوص شعرية تقرب من خمسائة نص .

٣ ـ الضياع والترك :

وصل إلينا شعر السيرة بعد أحقاب طويلة من الزمن ، تعرض خلالها الكثير من العوامل والظروف التي ضيعت منه قدراً غير قليل ، وأفقدتنا جانباً لا يستهان به من نصوصه وأبياته . وسواء كان هذا الضياع بفعل الرواة الذين حملوه ، أو العلماء الذين دونوه ، أو بفعل الأحداث التاريخية المتوالية والظروف والأحوال المتباينة ، التي مرت بهـا دول الإسلام ومجتمعاته على هذا المدى الزمني الطويل ، فإن الحقيقة الماثلة أمامنا أن هذا الشعر لم يصل إلينا بصورته الكاملة ، وأن الدلائل متوافرة تؤكد هذا النقص فيه .

---

(١) انظر من هـــذه المواضع فى السـيرة ق ١ ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٥١٣ ـ ق ٢ ص ١٣٢ ، ١٦٢ ، ٢١٠ ، ٤٠٩ ، ٥١٣ ، وفى تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٢٠١ ، ج ٢٠ ص ٥٤ ، وفى الـكامل للمبرد ج ١ ص ٤٣ . وفى صحيح مسلم ج ٥ ص ١٦١ ـ ١٦٢ ، وفى جمهرة اللغة ج ٢ ص ٣٧١ ، وفى الخزانة ج ٢ ص ٥٢٦ .

وإذا أردنا أن نعرض للشواهد التى تدل على ضياع ما ضاع من شعر السيرة لوجدنا منها الكثير فى مصادره . فابن هشام يشير فى مواضع عديدة إلى تركه رواية القصيدة كلها ، أو تركه رواية بيت أو أبيات منها . ومن أمثلة ذلك أنه بعد أن أثبت قصيدتين لأبى أسامة معاوية بن زهير فى يوم بدر قال : « تركت قصيدة لأبى أسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بدر إلا فى أول بيت منها والثانى كراهية الإكثار »[1] وكذلك بعد أن روى قصيدتين لحسان فى رثاء خبيب بن عدى قال : « وهذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرت »[2] . فهو يترك بعض القصائد إما كراهية الإكثار ، وإما لشكه فى صحتها بناء على إنكار بعض أهل العلم بالشعر .

وأما تركه لرواية بيت أو أبيات من القصيدة فهو كثير ، وهو أحيانا يعلل هذا الترك بسبب الإقذاع[3] . أو بسبب الضعف والخلل[4] . وأحيانا يكتفى بذكر بعض أبيات قليلة مشيراً إلى أنها من قصيدة للشاعر[5] ، أو يترك بعض أبياتها دون تعليل لذلك[6] .

ومن قبيل ترك العلماء لإثبات بعض الأشعار ما فعله ابن كثير أيضاً ، فهو بعد أن ذكر ما أورده ابن هشام من شعر غزوة أحد يقول : « وقد روى ابن إسحاق فى يوم أحد أشعاراً كثيرة ، تركنا كثيراً منها خشية

(١) السيرة ق ٢ ص ٣٨ .
(٢) نفسه ق ٢ ص ١٧٨ .
(٣) نفسه ق ١ ص ٢٦٨ ، ٤١٣ — ق ٢ ص ١٩ ، ٢٠ .
(٤) نفسه ق ١ ص ٦٤٨ ، ق ٢ ص ٢١٣ .
(٥) نفسه ق ٢ ص ٢٦٣ ، ٣٧٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ .
(٦) نفسه ق ١ ص ٣٧٢ ، ٥٩٤ .

الإطالة ، وخوف الملالة ، وقد أورد الأموى فى مغازيه من الأشعار أكثر مما ذكر ابن إسحاق ، كما جرت عادته ، ولا سيما ههنا »[1] .

وأكثر الأشعار التى تركت وأسقطت من شعر السيرة كانت فى الهجاء ، وخاصة ما كان منصبا فى هجاء الرسول (ص) وصحابته ، وما تعرض منها للطعن فى الإسلام ، ومما لا شك فيه أن أعداء الإسلام من مشركى مكة واليهود ومن سلكوا مسلكهم من العرب قد نظموا أشعاراً كثيرة فى ذلك ، ولدينا شواهد عديدة تدل على أنها كانت موجودة ، فى ردود شعراء المسلمين عليهم إشارات واضحة إليها ، على نحو ما نجد فى قصيدة حسان ، التى يرد فيها على أبى سفيان بن الحارث ، حيث يقول :[2]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله فى ذاكَ الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ
فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ

ومثل ذلك أيضاً فى شعر كعب بن مالك ، الذى يوجه القول فيه إلى ابن الزبعرى مشيراً إلى هجائه للرسول (ص) . يقول :[3]

تَبَجَّسْتَ تهجو رسولَ المليك
قاتلكَ اللهُ جلفاً لعينا

---

(١) البداية والنهاية جـ ٤ ص ٦٠ .

(٢) ديوان حسان ص ٢٦ والسيرة ق ٢ ص ٤٢٤ .

(٣) السيرة ق ٢ ص ١٦١ .

تقـــولُ الخَنْسا ثم ترمى بـه
نقىَّ الثيـــابِ تقيـاً أمينـا

وكذلك ما نجده فى أقوال بعض الشعراء التى يحاولون فيها دفع تهمة هجاء الرسول (ص) عن أنفسهم ، فهذا أنس بن زنيم الديلى يقول :(١)

ونبِّوا رسـولَ الله أنِّى هجوتُـه
فلا رفعتْ سوطى إلىَّ إذن يـدى

ولم يكن إهدار الرسول (ص) لدماء بعض هؤلاء الشعراء إلا نتيجة لما بدر منهم من فحش القول فى حقه وفى حق الإسلام والمسلمين . فإهداره لدم كعب ابن زهير لم يكن بسبب الأبيات ، التى أرسلها إلى أخيه بجير ، يلومه فيها على اتباعه محمداً ، وتركه لدين آبائه فحسب ، بل لأنه كان يلهج بالنبى ، ويحرض عليه ويدس إلى محضره من يناله بالمكروه(٢) ، ولأنه كان يهجو من يسلم من قبيلته مزينة هجاء مريراً(٣) . فلم يكن ذلك التصدى له والاهتمام بأمره وأمر إسلامه ، إلا لأنه كان يلعب دوراً خطيراً فى عدائه للإسلام ، تلك الخطورة التى تتمثل فى شعره قبل كل شىء . ونراه فى اعتذاره يحاول رفع هذه التهمة عن نفسه حيث يقول :(٤)

لا تأخـذَنِّى بأقوال الوُشـاة ولم
أُذنبْ ولو كثرت فىَّ الأقاويـل

---

(١) الإصابة جـ ١ ص ٦٩ .
(٢) حديث الأربعاء جـ ١ ص ١١٨ .
(٣) بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربى جـ ١ ص ١٥٦ .
(٤) معجم الشعراء ص ٣١٧ .

ومن ذلك مايذكره المرزبانى عن فرات بن حيان ، أنه كان ممن هجوا رسول الله ، ثم قدم عليه فمدحه ، فقبل النبى مديحه وعفا عنه[١]. وما يذكره البلاذرى عن بشر بن أبيرق المنافق ، من أنه كان يهجو رسول الله وأصحابه ، ثم ينحله بعض العرب[٢]. كما يذكر فى موضع آخر « أن رجلا من خزاعة سمع رجلا من كنانة ينشد هجاء فى رسول الله ، فوثب عليه فشجه ، فهاج ذلك بينهم الشر »[٣] .

كذلك كان لشعراء اليهود دور خطير فى معركة الهجاء والطعن على الاسلام والمسلمين ، ولم يكن أمر النبى (ص) بقتل كعب بن الأشرف إلا لما لهج به لسانه من هجاء مقذع ، وتحريض ضد الإسلام ، ولما جاء اليهود إلى النبى (ص) يحتجون على اغتياله قال لهم : « لو أنه قر كما قر غيره ، ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى ، وهجانا بالشعر ، ولم يفعل ذلك أحد منكم إلا كان السيف »[٤] . ولم يكن ابن الأشرف وحده منهم هو الذى ينفث خبيث القول، بل برز منهم أيضاً كنانة بن أبى الحقيق، وكان من أشعر الناس ، وكان يهجو نبى الله[٥] . بل إنهم قد تمادوا فى ملاحاتهم وسبهم ، وعبروا عن حقدهم وشدة عدائهم للإسلام ونبيه ، فيذكر الواقدى أن النبى خرج إلى يهود بنى قريظة ، وهم يعيرون المؤمنين بالكذب والسحر ، ويهجون النبى وأزواجه[٦] .

---

(١) معجم الشعراء ص ٣١٧ .
(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٢٧٨ .
(٣) فتوح البلدان ص ٣٧ .
(٤) المغازى ص ١٩١ .
(٥) نفسه ص ٣٧١ .
(٦) نفسه ص ٣٩٣ .

وموقف اليهود من الإسلام كان عدائياً كما هو معروف ، ولابد أنه كان لهم شعر كثير يعبر عنه ، ومع ذلك لا نجد في المصادر من أشعارهم إلا القليل ، ومما لا شك فيه أن الرواة قد أهملوه وانصرفوا عن روايته ، لأنهم مسلمون لا يرضون لأنفسهم أن يحملوا تلك الأقوال القادحة في دينهم ، القاذفة في أعراض نبيهم وصحابته ، إذ يرون في حملها وزراً ، وفي روايتها نكراً .

وكما تحرج الرواة من رواية شعر اليهود ، كان تحرجهم من رواية الأشعار التي تضمنت هجاء النبي (ص) وصحابته ، والتي لهج بها الشعراء العرب من مشركي مكة وغيرهم ، يقول السهيلي : « ولكنني لا أعرض لشيء من أشعار الكفرة التي نالوا فيها من رسول الله إلا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزبعرى . وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحاق في إدخاله الشعر الذي نيل فيه من رسول الله ، قال أبو عبيد : رواية نصف بيت من ذلك حرام ، وعلى القول بالإباحة ، فإن النفس تقذر تلك الأشعار وتبغضها وقائليها في الله ، فالإعراض عنها خير من الخوض فيها وتتبع معانيها »[١] .

ومن الطبيعي أن يكون موقف الشعراء أنفسهم — الذين صدرت عنهم تلك الأشعار ، ثم أسلموا بعد ذلك — أشد حرجاً في روايتها أو إنشادها ، فهم قد استشعروا في أنفسهم ندماً بالغاً على ما فرطوا في جنب الله ، ووجدوا في أشعارهم هذه وثائق تدمغهم بالخزى والعار ، وتفضح سفاهتهم وسوء قولهم ، فعمدوا إلى طمس هذه الأشعار وعدم ترديدها ، وحاولوا محوها من ذاكرتهم ومن ذاكرة كل من يرويها ، حتى يخلصوا أنفسهم من وزرها ، ويلقوا عن كواهلهم أثقال نكرها ، يقول ابن الزبعرى[٢] .

---

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٥٧ .

(٢) السيرة ق ٢ ص ٤١٩ ، والاستيعاب ج ٣ ص ٩٠٢ .

يا رســـول المليـك إن لســـانى
راتـــقٌ ما فتقت إذ أنـا بـورُ
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغىّ
ومن مـــالَ ميلَـه مثـــبور

فهو يستشعر الندم الشديد لما ذرب به لسانه فى حق رسول الله (ص) ، وفى حق الإسلام أيام كفره واتباعه غواية الشيطان ، ويعلن أنه سيرتق ما فتقه لسانه من سفه القول ، وهذا الرتق يقتضى محاولة محوه أولا ، ثم إنشاده شعراً يمجد فيه الإسلام ونبيه ثانياً ، لعله بذلك يكفر عن ذنبه ، ويخلص نفسه من أوضار هذا الوزر الذى ينوء به كاهله .

وكثير من هؤلاء الشعراء قد أسلموا وحسن إسلامهم ، وهذا مما يقوى رغبتهم فى التخلص من أشعارهم السابقة التى تمس رسول الله (ص) ، فهذا أبو سفيان بن الحارث يقول لأهله عندما حضرته الوفاة : « لا تبكوا على ، فإنى لم أتنطف بخطيئة منذ أسلمت »[1] . ونلمس حسن إسلامه فى رثائه لرسول الله (ص) حيث يقول[2] :

نبىٌّ كان يجـلو الشكَّ عنـــا
بمـا يُوحىَ إليـه ومـا يقـــولُ
ويهـــدينا فـــلا نخشى ضـــلالاً
علينـا والرسـولُ لنـا دليـــلُ

(١) الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٤٨ .

(٢) نفسه ص ١٦٧٥ .

ولا شك أن ذم القرآن الكريم للشعراء غير المؤمنين ، وتفصيل الحديث الشريف لهذا الذم ، وإدانته لكل ضروب السوء من القول ، جعل رواية تلك الأشعار أمراً بغيضاً إلى نفس كل مسلم ، يرى فى تجنبه وعدم الخوض فيه نجاة من عواقبه ، وتطهراً من رجسه ، وهذا من شأنه أن يقوى الدوافع الدينية والنفسية لإسقاط تلك الأشعار ، وعدم تناقلها أو روايتها فى مجتمع إسلامى علت فيه كلمة الله وانتصر دينه وانتشر فى أمصار كثيرة .

ومع هذا التحفظ الشديد إزاء رواية تلك الأشعار المقذعة ، فإنها قد وجدت منافذها من خلال بعض الرواة ، الذين لم يروا فى روايتها حرجاً ، وربما وجدوا بعض التبريرات لموقفهم ، كأن تكون روايتها من باب العلم بالشىء ، والتعرف على الحقيقة فيما كان يواجه الإسلام ورسوله ، فليس على راويها وزر ما دام فى نفسه مؤمناً لا يوافق على ما تحتويه من معان وألفاظ ، ولذا وصلت بعض هذه الأشعار إلى ابن إسحاق وجمعها فيما جمع من أشعار السيرة . وإذا كان فعله هذا لم يجد قبولا لدى كثير من العلماء ، كما رأينا فى كلام السهيلى ، فإنه فى نظر بعض الباحثين المحدثين يعد نزاهة غير عادية[1] . ولكن الغلبة كانت فى النهاية لجمهور العلماء الذين كرهوا إثبات هذه الأشعار فى مدوناتهم فأسقطت ولم تصل إلينا .

وإلى جانب هذه الأسباب الخاصة التى كان لها أثرها فى ضياع بعض أشعار السيرة ، أو تركها وإسقاطها ، هناك أسباب عامة تنطبق على شعر السيرة كما تنطبق على غيره من أشعار تراثنا العربى القديم . وأظهر هذه الأسباب ما ذكره ابن سلام عن انشغال العرب بالجهاد والفتوحات الإسلامية .

---

(١) هوروفيتس — المغازى الأولى ومؤلفوها ص ٩٣ .

عن روايه شعرهم ، وهلاك الكثيرين منهم بالموت والقتل ، وأنهم حين راجعوا رواية الشعر بعد أن استقروا واطمأنوا بالأمصار ، ولم يئولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وجدوا أن أكثره قد ضاع ولم يبق إلا أقله[1] . ولابد أن شعر السيرة قد تأثر بهذه الظروف والأحداث فضاع بعضه نتيجة لها . وإذا كان القرآن قد خيف عليه من الضياع لما سقط من سقط من حافظيه خلال حروب الردة ، وهى حرب لم تطل مدتها ، فما أولى هذا الشعر بأن يذهب منه ما ذهب ، وأن يغيب عنا من صوره ما غاب ، بعد ما مر بحفاظه ورواته والأمناء عليه فى كل هذه الحروب[2] .

ومن هذه الأسباب العامة ما تعرضت له الدولة الإسلامية — بعد ازدهار حضارى عظيم — من تفكك وانهيار ، ومن دمار وتخريب على أيدى الغزاة من تتار وصليبيين ، ولا يغيب عنا ما فعله التتار فى بغداد من تدمير المكتبة العربية وما فعلته محاكم التفتيش فى الأندلس من القضاء على كل أثر للإسلام والعرب . وما عانته كثير من البلاد الإسلامية طيلة تاريخ طويل من عوامل الضعف والجهل والتخلف ، وسيطرة العناصر الأجنبية على مقدراتها . كل هذه الأسبـــاب كانت لهـا آثارها على ضياع الكثير من تراثنا العربى والإسلامى . وكان لشعر السيرة نصيبه من هذا الضياع .

والشواهد كثيرة على ضياع بعض أشعار السيرة نتيجة هذه العوامل العامة التى تعرض لها الشعر العربى ، وهى تتمثل فى الأبيات المفردة التى حملتها لنا كثير من المصادر القديمة ، فليس من المنطق أن تكون هذه الأبيات قد

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢ .

(٢) تاريخ الشعر العربى لنجيب البهبيتى ص ٤٨ .

قيلت مفردة يتيمة ، والأقرب إلى المعقول أن تكون منتزعة من قصائد أو مقطوعات كانت تتضمنها ، وأنها كانت معروفة لدى العلماء ، وضاعت لسبب من هذه الأسباب ، أو لأن علماء اللغة والنحو لم يكن يعنيهم سوى الاستشهاد بتلك الأبيات فى مسألة من مسائلهم دون التعرض لأبيات القصيدة الأخرى ، ومن هذه الأبيات المفردة على سبيل المثال قول كعب بن مالك(١) :

بمُـذرَّباتٍ بالأكفِّ نواهـلٍ
وبكلِّ أبيضَ كالغديرِ مُهنَّـدِ

وقول كعب بن زهير(٢) :

أرعى الأمانةَ لا أخونُ أمانتى
إنَّ الخئونَ على الطريقِ الأنكبِ

وقول هند بنت عتبة(٣) :

أفى السلمِ أعيـاراً جفاءً وغلظـةً
وفى الحربِ أشباهَ الإماءِ العوارِكِ

وفى ديوان حسان عدد من الأبيات المفردة التى تدل على أنها مأخوذة من قصائد ضائعة ، مثل قوله(٤) :

---

(١) ديوانه ص ١٩٩ .

(٢) ديوانه ص ٢٥٨ .

(٣) كتاب سيبويه ج ١ ص ٣٤٤ .

(٤) ديوان حسان ص ٣٩٧ .

أتانا فلم نعدلْ سواه بغيره
نبيٌّ أتى في ظلمةِ الليل هاديا

وقوله[1] :

نُصرنا فما تلقَى لنا من كتيبةٍ
يدَ الدهر إلا جبرئيلُ إمامُها

ويشرك الأبيات المفردة في الدلالة على ضياع القصيدة أو المقطوعة البيتان أو الثلاثة ، وكذلك ذكر بعض أبيات منها وترك بعضها الآخر ، وفي بعض الأحيان يذكر صاحب المصدر أنه يكتفي بما ذكر ويترك بقية القصيدة ، كما رأينا في سيرة ابن هشام ، وكما نلاحظ في كثير من مصادر شعر السيرة أن بعضها يروي أبياتاً معينة من القصيدة ، وبعضها يروي منها أبياتاً أخرى . وقد تشترك مصادر منها في رواية بعض هذه الأبيات ، وتختلف في رواية أبيات أخرى منها بالزيادة أو النقصان وتتضح لنا هذه الملاحظة بمراجعة الدواوين المحققة أو الأشعار المجموعة لشعراء هذه الفترة الذين ضاعت دواوينهم ، فنرى القصيدة أو المقطوعة تجمع أبياتها من مصادر متعددة . وكثير من قصائدهم لا نجدها مكتملة في أحد المصادر . وهذا يعني ضياع أبيات منها ، أحياناً تكون كثيرة ، وأحياناً تكون قليلة .

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن شعر السيرة الذي وصل إلينا تعرض لكثير من أسباب الضياع والترك ، وعوامل النقد والطمس ، ومع ذلك يمكننا القول بأن ما وصل إلينا منه هو القسم الأكبر وخاصة ما صدر عن

---

(١) ديوان حسان ص ٣٩٦ .

الشعراء المسلمين . وأن نسبة الضياع والترك في شعر المشركين أكبر من مثيلتها في شعر المسلمين ، ويؤيد ذلك أن ما ورد في أكبر مصادر شعر السيرة — وهو سيرة ابن هشام — من شعر المسلمين يكاد يبلغ ضعف ما ورد فيه من شعر المشركين . وهذا مما يشكل بعض العوائق في دراسة شعر هؤلاء ، ومعرفة مواقفهم الحقيقية في خصومتهم للإسلام والوقوف على السمات والخصائص الدقيقة التي يتميز بها شعر كل منهم .

* * *

الفصل السادس

توثيق شعر السيرة

١ – منهج ابن هشام بين التوثيق والتنقيح :

كان تصنيف ابن إسحاق للسيرة النبوية ، وحشوها بكل ما وصل إليه من أشعار دون تمييز للصحيح من المنحول ، أو للجيد من الرديء ، أمراً مثيراً للعلماء المهورين على تراثهم العربي والأدبي ، ولم يكن عذر ابن إسحاق بأنه لا علم له بالشعر مبرراً مقنعاً لديهم يمكن أن ينفيه من هذا الخطأ الفادح الذي تردى فيه ، والذي أفسد به الشعر وهجنه ، وحمل كل غثاء منه – كما يقول ابن سلام[1] – بل إنه صار فضيحة عند رواة الشعر – على حد قول ابن النديم[2] – فكانت حملة العلماء على ابن إسحاق شعواء ضارية فيما يخص روايته للأشعار ، ووجد ابن هشام أن الأمر خطير ، لا يكفي لدرء خطره إدانة ابن إسحاق واتهامه بالتقصير والقصور . وأنه لا بد من عمل إيجابي يمحو أخطاءه ، ويدرأ أخطارها ، ويعيد إلى شعر السيرة صورته الصحيحة الموثقة ، التي يطمئن إليها جمهور الناس من الدارسين والقارئين .

عكف ابن هشام على دراسة تلك الأشعار الكثيرة ، التي أوردها

---

(١) طبقات الشعراء ص ٧ .

(٢) الفهرست ص ١٣٦ .

ابن إسحاق فى سيرته ، والتى جمع فيها الصحيح والمنحول دون ما إشارة موضحة لحقيقته ، أو تحكيم لذوق أدبى يحدد ماهيته ، أو تقص للقرائن والحيثيات التى يستدل بها على وجه الصواب فى روايته . فكانت مهمة ابن هشام صعبة أيما صعوبة ، فى تمحيص هذا الكم الضخم من الأشعار ، لتنقيتها من شوائب الوضع والخلط ، ومشوهات النشاز والركاكة . وتطلب تحقيقه لها أن يعرضها على أهل العلم والدراية بالشعر ، ليسترشد بآرائهم وبما لديهم من علم عن وجوه روايتها ، إلى جانب ما أسعفه به علمه وذوقه الأدبى فى كشف سوءاتها التى لا تخفى على أمثاله .

وقد حدد ابن هشام نهجه العام فى إعادة كتابته للسيرة النبوية وتنقيتها واختصارها بقوله : « وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائى بروايته ، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه ، بمبلغ الرواية له ، والعلم به »[1] .

ويمكننا أن نحدد الخطوط الرئيسية ، التى رسم بها ابن هشام نهجه فى توثيق شعر السيرة ، وفى تنقيته وتنقيحه ، من خلال قوله السابق ، ومن خلال ما قام به من تمحيص للأشعار التى أثبتها ، وأبدى رأيه وآراء العلماء فيها . وفيما يلى توضيح ذلك .

---

(١) مقدمة ابن هشام للسيرة ق ١ ص ٤ .

أولا : حذف الكثير من الأشعار التي أوردها ابن إسحاق :

ونقسم حذفه إلى أربعة أنواع :

١ — حذف الأشعار المنحولة :

تمثل الأشعار المنحولة أخطر العيوب التي شوهت سيرة ابن إسحاق ، والتي اعتذر عنها بأنه لا علم له بالشعر ، وأنه يؤتى به فيحمله[1] ، ولذلك وجه ابن هشام همه إلى تخليص السيرة منها ، ولكي يتأكد من وضعها وانتحالها ، عرضها على أهل العلم بالشعر ، فلم يجد أحداً منهم يعرفها ، فأسقطها عن اقتناع تام بذلك ، وهو اقتناع ناتج عن إجماع العلماء ، وليس مجرد حكم شخصي له ، أو حكم لبعض العلماء دون بعض . وليس ثمة دليل على تركه لهذه الأشعار سوى قوله السابق في مقدمته ، إذ لا نتوقع منه بعد ذلك أن ينص على كل ما تركه منها خلال سرده لأحداث السيرة بعد اختصارها ، وإيراده للأشعار التي اقترنت بها ، والتي هي خلاصة ما استصفاه منها ، بعد حذف المنحول الذي ثبت نحله .

ونجد ابن هشام في بعض المواضع ، ينص على تركه لشعر قيل في حادثة أو مناسبة معينة ، لاقتناعه بأنه منحول ، من ذلك أنه ذكر مسير أبي كرب تبان أسعد إلى يثرب وغزوه إياها ، وأورد في خلال ذلك قصيدة لخالد بن عبد العزى ، حتى إذا جاء لذكر قصيدة أخرى لهذا الشاعر ، اكتفى بإيراد بيت واحد منها وهو :

---

(١) طبقات الشعراء ص ٨ .

حنقاً على سبطين حلا يثرباً

أولى لهم بعقاب يوم مفسد

وقال معقباً عليه : « الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته »(١) . وإن كان ابن هشام لم يبين السبب الذى جعله يحكم بأن هذا الشعر مصنوع . ولعله لم يشأ ذكره اكتفاء بما ذكره فى المقدمة .

وفى موضع آخر ذكر حديث ابن إسحاق عن نذر عبد المطلب ذبح ولده ، ولكنه حذف ما جاء خلال هذا الحديث من شعر لم يقتنع بصحته ، فقال : « وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر »(٢) .

ومن ضروب هذا الحذف : أن يكتفى بذكر الأبيات التى صحت لديه ، مما أورده ابن إسحاق ، ويترك الأبيات الباقية لعدم قناعته بصحتها . ففى ذكره لخبر استنصار عبد المطلب بالله لرد أبرهة عن الكعبة ، أورد بيتين لعبد المطلب ، وزاد عليها بيتاً ثالثاً أخذه عن الواقدى ، وعلق عليها بأن هذا ما صح له منها(٣) . كما ذكر ثلاثة أبيات لعكرمة بن عامر بن هاشم ، فى هذه المناسبة نفسها ، وعلق عليها بمثل تعليقه السابق(٤) . وفى موضع آخر يكتفى برواية ثلاثة أبيات من قصيدة رواها ابن إسحاق لعمرو بن الحارث ، يذكر

---

(١) السيرة ق ١ ص ٢٣ .

(٢) نفسه ص ١٥٥ .

(٣) نفسه ق ١ ص ٥٠ / ٥١ ولقد زاد السهيلى فى الروض الأنف بيتا على ما ذكره ابن هشام وروى الطبرى القصيدة كاملة ، كما ذكر لعبد المطلب قصيدة أخرى غيرها (أنظر ص ٩٤٠ — ٩٤١ ط أوربا) .

(٤) السيرة ق ١ ص ٥١ — ٥٢ .

بكراً وغويشان وسبا . كنى بكة الذين خلفوا فيها بعد جرهم ، ثم يعلق عليها بقوله : « هذا ما صح له منها ، وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل فى العرب ، وأنها وجدت مكتوبة فى حجر باليمن ولم يسم لى قائلها »[1] .

وقد يكون حذفه لأبيات من القصيدة ، واكتفاؤه بأبيات منها بناء على رواية أحد العلماء الثقات ، دون ذكر لرأيه هو . وهذا ما فعله حين اكتفى بستة أبيات من قصيدة رواها ابن إسحاق للحارث بن ظالم حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش ، ثم علق عليها بقوله : « هذا ما أنشدنى أبو عبيدة منها »[2] . ويفهم من ذلك أنه مقتنع بصحة هذه الأبيات التى رواها أبو عبيدة فحسب . وأنه أسقط بقية القصيدة ، لأنه غير مقتنع بصحتها .

وقد يحذف من القصيدة ما لم يصح لديه منها ، ويذكر ما صح له منها ، ولكنه يردف ذلك بما يضعف من درجة هذه الصحة ، وهذا ما يفهم من تعليقه على قصيدة أبى طالب المشهورة فى دفاعه عن النبى (ص) واستعطاف قريش ، إذ يقول بعد أن ذكر منها أربعة وتسعين بيتاً : « هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها »[3] .

وقد يقترن حذف ابن هشام لأبيات من القصيدة ، وإثباته لما صح له

---

(١) السيرة ق ١ ص ١١٦ . وذكر محقق السيرة فى الهامش رواية تفيد أنه وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار ، كتبت فى حجر منها هذه الأبيات التى ذكرها ابن هشام ، وكتبت فى كل من الحجرين الآخرين أبيات أخرى ذكروها ، وكلها فى الحكم والمواعظ .

(٢) السيرة ق ١ ص ١٠٠ .

(٣) نفسه ص ٢٨٠ .

منها ، بتحقيق فى نسبة الأبيات لقائلها ، وهذا ما فعله حين ذكر أبياتاً من قصيدة نسبها ابن إسحاق لأبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ، فعلق على ذلك بقوله : « وتروى لأمية بن أبى الصلت » ثم قال بعد أن ذكر الأبيات : « هذا ما صح له مما روى ابن إسحق منها إلا آخرها بيتاً قوله :

تلك المكارمُ لا قعبــــانِ من لبنٍ
شِيبا بمــاءٍ فعــــادَا بعدُ أبوالا

فإنه للنابغة الجعدى »(١) .

ومن ضروب حذف ابن هشام للشعر المنحول فى سيرة ابن إسحاق ، تلك الأشعار التى اقترنت بأحداث بعيدة عن السيرة ، وليس لرسول الله (ص) فيها ذكر ، أو ليست سبباً لشىء من هذا الكتاب — على حد قوله فى مقدمته — ومنها على سبيل المثال أحداث عاد وثمود وما اقترن بهما من أشعار ، كانت موضع نقد شديد من ابن سلام ، إذ قال منتقداً ابن إسحاق : « فكتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، وليس بشعر إنما هو كلام معقود بقواف . أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف السنين ؟ والله تبارك وتعالى يقول : « فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا » أى لا بقية لهم . وقال أيضاً : « وأنه أهلَكَ عاداً الأولى ، وثمودَ فما أبقَى » وقال فى عاد : « فهل ترى لهمْ من باقيةٍ » وقال : « وقرونا بين ذلك كثيرا » وقال : « ألم يأتِكمْ

(١) السيرة ص ٦٥ — ٦٦ .

نبأُ الذين من قبلكم ، قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم ، لا يعلمهم إلا الله »(١) .

وليس هناك من شك فى أن موقف ابن هشام من هذه الأشعار ، لم يكن يختلف عن موقف ابن سلام ، ومن ثم كان إسقاطه لها ولأحداثها ، ليمحو تلك السوأة التى لحقت بتراثنا الشعرى والتاريخى . كما حذف غيرها من الأحداث والأشعار ، التى لا تمت إلى السيرة النبوية بسبب من قريب أو من بعيد ، والتى تضمنت — بلا شك — كثيراً من الشعر الموضوع لتزيينها على النحو الذى كان شائعاً بين الرواة ، كما سبق أن عرفنا .

وعموماً فإن ترك ابن هشام للأشعار المنحولة التى أوردها ابن إسحاق فى سيرته ، والتى لم تصح لديه ، لعدم معرفة أحد من أهل العلم بالشعر بها ، أو لإنكار ثقاتهم لها واقتناعه بعدم صحتها ، هو عمل توثيقى عظيم ، خلص شعر السيرة من أخطر سوأة كانت تشوه حقيقته ، وأعاد إلينا الكثير من الثقة والاطمئنان إلى أصالته .

٢ — حذف الأشعار الرديئة :

ومن الأشعار التى عمد ابن هشام إلى تركها تلك الأشعار التى وجد فيها عيوباً شعرية من الضعف والركاكة وسوء النظام ، والتى حشدها ابن إسحاق حشداً دون تحقق أو نظر فى مستواها الفنى ، إذ كانت تحمل إليه فيضيفها إلى ما يرويه ، وهو لا علم له بالشعر — كما كان يقول — ولذلك انتقده

---

(٢) طبقات الشعراء ص ٨ — ٩ .

ابن سلام فقال : « فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن إسحاق ، ومثل ما رواه الصحفيون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم »[1] . ويقول فى موضع آخر : « ولأبى سفيان بن الحارث شعر كان يقوله فى الجاهلية ، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل . ولسنا نعد ما يروى ابن إسحاق له ولا لغيره شعراً ، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم »[2] .

وواضح أن انتقاد ابن سلام ينصب على الشعر الضعيف الردىء ، الذى حمله ابن إسحاق ، وأن جانباً من هذا الشعر حذفه ابن هشام من بين ما حذف من شعر منحول . بينما يبقى جانب منه لا يشير إلى نحله ولا يشكك فى صحته ، ويحذفه لما يراه فيه من عيوب ، يوضح ذلك تعليقه على أبيات أوردها من رواية ابن إسحاق للأسود بن المطلب فى بكاء أبنائه الذين قتلوا يوم بدر يقول : « هذا إقواء وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء ، وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا »[3] . فظاهرة الإقواء فى القصيدة التى علق عليها ، وهى اختلاف شكل القافية بين الدال المضمومة والدال المكسورة ، والتى تأتى على غير ذلك من اختلاف فى الشكل ، هذه الظاهرة التى يعدها ابن هشام إكفاء ، هى على أى حال عيب من عيوب الشعر ، وهى — كما يقول — مشهورة من أشعارهم ، وهذا يعنى أن شعر المكيين كان يكثر فيه هذا العيب الشعرى ، بل فيه كذلك عيوب أخرى أشهر من هذا ، وأن ابن هشام قد أسقط من أشعارهم التى رواها ابن اسحاق أشعاراً معيبة فى نظمها بمثل هذا العيب أو بغيره من

(١) طبقات الشعراء ص ٨١ .

(٢) نفسه ص ٢٠٦ .

(٣) السيرة ق ١ ص ٦٤٨ .

عيوب النظم التي تضعف الشعر ، وتفقده بعض العناصر اللازمة لاستوائه الموسيقى ، أو جودته الفنية .

.. وقد يفهم من تعليق ابن هشام أن القصيدة هي المشهورة من أشعارهم ، وليست ظاهرة الإقواء أو الإكفاء ، إلا أن ذلك لن يغير كثيراً مما يعنيه ، وهو أنه أسقط من أشعارهم قصائد مشهورة لوجود مثل هذه العيوب الفنية ، التي تقدح في جودتها وتقلل من قيمتها وأهميتها الأدبية .

ومثل ذلك ما حذفه ابن هشام من قصيدة أبي سفيان بن الحارث (الكافية) التي يرد بها على قصيدة لحسان بنفس القافية والوزن ، إذ يقول ابن هشام معللاً هذا الحذف : " بقيت منها أبيات تركناها لقبح اختلاف قوافيها "[1] .

فابن هشام إذن قام بحذف بعض القصائد ، أو أبيات من قصائد ، لا شك في صحتها ، ولا ظن في أنها موضوعة أو منحولة ، فهو لم يذكر في تعليله لهذا الحذف ما يشير إلى شك أو ظن من هذا القبيل ، وإنما كان حذفه لها على أساس فني أدبي ، وعمله هذا ليس توثيقاً للشعر ، بل هو عمل تنقيحي تهذيبي ، يستهدف انتقاء الأشعار الجيدة وإثباتها ، واستبعاد الأشعار الرديئة وإسقاطها ، مع أنها أشعار قد تكون صحيحة غير موضوعة ، وليس شرطاً أن تكون كل الأشعار الصحيحة جيدة المستوى ، فالشعر فيه الجيد والردىء حسب اختلاف القدرات الإبداعية بين الشعراء ، وإذا وضعنا في اعتبارنا أن كثيرين ممن رويت لهم أشعار في السيرة لم يكونوا مشهورين بقول الشعر ،

---

(١) السيرة ق ٢ ص ٢١٣ .

فإنه من البديهى أن تكون أشعارهم أقل جودة من شعر المشهورين ، بل إن الشعراء المشهورين أنفسهم يأتى فى شعرهم الردىء مع الجيد بنسب متفاوتة ، وهذا لا يعنى أن ما يصدر عنهم من شعر ردىء ليس صحيحاً فى نسبته إليهم ، أو أن تكون رداءته مدعاة للقول بأنه موضوع عليهم .

٣ — حذف الأشعار المقذعة :

عرفنا من قبل فى بحثنا لظاهرة الضياع والترك فى شعر السيرة ، أن كثيراً من العلماء كرهوا إثبات الأشعار التى عرض فيها المشركون بالنبى (ص) ، ونالوا فيها منه أو من أحد صحابته ، بل إنهم حرموا روايتها ، بينما كان بعضهم لا يرى حرجاً فى ذكرها ومنهم ابن إسحاق ، وجاء ابن هشام فقام بدوره المعروف فى اختصار سيرة ابن إسحاق وتوثيق أشعارها وتهذيبها ، وكان موقفه مع العلماء الكارهين لإثبات تلك الأشعار ، ومن ثم كان حذفه لها أمراً طبيعياً .

ولم يقف حذف ابن هشام عند الأشعار التى تنال فيها من النبى (ص) وصحابته وإنما تجاوز ذلك إلى حذف كل بيت أو أبيات فيها إقذاع ، سواء كانت فى هجاء مسلم أو مشرك ، وتكرر ذلك منه فى مواضع عديدة ، نذكر منها — على سبيل المثال لا الحصر — أنه أورد قصيدة رواها ابن إسحاق لأبى طالب فى التعريض بالمطعم بن عدى ومن خذله من بنى عبد مناف ، ثم عقب عليها بقوله : « تركنا منها بيتين أقذع فيهما »[1] .

---

(١) السيرة ق ١ ص ٢٦٨ .

ومنها أنه أورد أبياتاً رواها ابن إسحاق لحسان فى هجائه عتبة بن أبى وقاص لإصابته الرسول (ص) فى يوم أحد، ثم قال بعدها: «تركنا منها بيتين أقذع فيهما»[١].

ومنها أنه أورد من رواية ابن إسحاق بيتاً لحسان فى هجاء هند بنت عتبة، ثم عقب عليه بقوله: «وهذا البيت فى أبيات له تركناها، وأبياتاً له أيضاً على الدال. وأبياتاً أخرى على الذال، لأنه أقذع فيها»[٢].

وأورد أبياتاً من الرجز من رواية ابن إسحاق لهند بنت أثاثة فى الرد على هند بنت عتبة، ثم قال بعدها: «تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها»[٣].

وأورد أبياتاً من رواية ابن إسحاق لحسان فى بكاء خبيب بن عدى، ثم علق عليها بقوله: «وتركنا ما بقى منها لأنه أقذع فيها»[٤]. وأردف ابن هشام هذه الأبيات بأبيات من قصيدة أخرى لحسان فى الغرض نفسه، وعلق عليها بقوله: «وهذه القصيدة مثل التى قبلها ... وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرت»[٥]. يعنى بذلك أنه ترك أبياتاً منها لإقذاعه فيها، ويؤيد ذلك أن هذه القصيدة وردت فى ديوان حسان[٦]

---

(١) السيرة ق ٤ س ٨١. والبيتان المحذوفان وردا فى ديوان حسان س ١٥٨.

(٢) السيرة ق ٢ س ٩٣. والقصيدة التى ذكر منها بيتاً وردت فى ديوان حسان س ٣٥٠ (١٠ أبيات) أما الأبيات التى على الدال فهى خمسة بالديوان س ٣٨١. ولكن الأبيات التى على الذال لم نجدها فى الديوان، إذ لم ترد فيه أية أبيات على هذه القافية.

(٣) السيرة ق ٢ س ٩٢.

(٤) نفسه ق ٢ س ١٧٧. والقصيدة فى ديوانه س ٣٠٧ بزيادة بيتين.

(٥) السيرة ق ٢ س ١٧٨.

(٦) ديوانه س ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

زائدة سبعة أبيات مما رواه ابن هشام . هذا إلى ما يعنيه قوله من تركه لغير ذلك من القصائد أو المقطوعات التي قالها حسان في أمر خبيب وأقذع فيها .

والملاحظ أن أغلب الأشعار التي أسقط منها الأبيات المقذعة هي لحسان بن ثابت ، ومن السهل معرفة هذه الأبيات المحذوفة بالرجوع إلى ديوانه ، أما ما أسقطه لغير حسان فيمكن الوقوف عليه في المصادر الأخرى لشعر السيرة . وعموماً فإن مواضع الحذف لهذا السبب ليست بالكثرة التي تشكل نقصاً ذا أهمية في شعر السيرة ، إذ أنها لا تتجاوز أحد عشر موضعاً[1] . إلا أننا إذا وضعنا في الاعتبار ما حذف من أشعار كان فيها تعريض بالنبي (ص) وصحابته ، دون أن يكون هناك ما يشير إليها ، سوى ما قاله في مقدمته ، عند ذلك يمكن أن يمثل هذا الحذف في مجموعه نقصاً له أهميته في تحديد الأصول الحقيقية لشعر السيرة . ولما كان ابن هشام يستهدف به التهذيب والتنقيح ، فإن ذلك يعني تغاضيه عما استهدفه من توثيق وتحقيق وواضح أن هذين الهدفين هما متضادان لا يلتقيان .

٤ — حذف الأشعار للاختصار :

وجد ابن هشام بين يديه كمية ضخمة من الأشعار التي ضمنها ابن إسحاق سيرته . وكانت هذه الأشعار هي شاغله الأكبر حين عزم على تنقيح السيرة واختصارها ، ومن ثم كان حذفه الكثير منها بين منحول أو ردىء أو مقذع ، ولكن يبدو أنه لم يجد ذلك كافياً لإخراج السيرة على الصورة التي يريدها ،

(١) انظر غير المواضع التي ذكرناها في السيرة ق ١ ص ٤١٣ ، ق ٢ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٣٢ ، ٥٦٧ .

وأن الأشعار مازالت بالكثرة التي تزيد عن المطلوب بأو بعضها يجد كثرتها تكاد تطغى على أحداث السيرة وأخبارها التي تمثل جوهرها الحقيقي ومصادرها الرئيسي ، فرأى أن يختصر جانباً آخر من هذه الأشعار ليخفف من طغيان كثرتها على جوهر السيرة ، وليكون المقام الأول فيها هو لما تزخر به من أحداث ومواقف ، يأخذ منها المسلم العبرة والموعظة ، ويرى فيها مبادىء الإسلام ومثله كيف تطبق وكيف تعلو وتنتصر .

وفي كثير من المواضع نرى ابن هشـــام يعرب عن تركه لقصيدة أو مقطوعة ، أو تركه لأبيات بعد أن يذكر بيتاً أو أبياتاً منها ، وهو قـد أبان في موضع واحد عن سبب الترك أنه للاختصار أو كراهية الإكثار ، على حد قوله بعد أن أورد قصيدتين لأبي أسامة معاوية بن زهير في يوم بدر ، إذ قال : « تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام ، ليس فيها ذكر بدر إلا في أول بيت منها والثاني ، كراهية الإكثار »(١) . فهو لم يترك القصيدة لأي سبب من الأسباب الأخرى التي عرفناها ، وإنما هو يتركها اختصاراً لما بين يديه من أشعار كثيرة ، يكره أن يثبتها كلها ، ويرى ضرورة اختصارها . وهو إذا كان قـد أوضح سبب تركه لقصيدة في هذا الموضع دون سواه ، فليس معنى ذلك أنها القصيدة الوحيدة التي تركها ، بل من المحتمل أنه ترك قصائد أخرى في مواضع أخرى دون أن يشير إلى ذلك ، مكتفياً بقوله العام في المقدمة .

أما تركه لأبيات من قصيدة أو مقطوعة ، مكتفياً بذكر بيت أو أبيات منها ، فهو أمر يتكرر في مواضع كثيرة ، نلاحظ فيها أنه لا يبين عن سبب

---

(١) السيرة ق ٢ ص ٣٨ .

التهكم أو حتى يشير إليه ، من ذلك مثلا أنه ذكر ثلاثة أبيات من رواية ابن إسحاق لحسان ، يتهكم فيها من عكرمة بن أبى جهل لفراره يوم الخندق ملقيا رمحه ، بعد مقتل عمرو بن عبد ود ، بيد على بن أبى طالب ، ثم قال ابن هشام بعدها : « وهذه الأبيات فى أبيات له »[1] .

وأورد أربعة أبيات من رواية ابن إسحـــاق لبديل بن عبد مناف فى الرد على أنس ابن زنيم ، ثم عقب عليهـــا بقوله : « وهذه الأبيات فى قصيدة له »[2] .

وأورد ثلاثة عشر بيتـاً من رواية ابن إسحاق للبيد بن ربيعة ، يبكى فيها أخاه أربد ، ثم عقب بعدها قائلا : « وهى فى قصيدة له »[3] . كما أورد له بيتين آخرين بعد ذلك ، وقال : « وهذان البيتان فى أبيات له »[4] .

وأورد ستة أبيات من رواية ابن إسحـاق لـكعب بن مالك فى يوم الخندق ، ثم قال معقباً عليها : « وهذه الأبيات فى قصيدة له »[5] .

فتعليق بن هشام على أبيـات الشعر التى ذكرها فى هذه المواضع وفى غيرها[6] يفهم منه أن ما تركه من أبيـات كان للاختصار ، وإن لم يذكر

---

(١) السيرة ص ٢٢٦ .

(٢) نفسه ص ٤٢٥ .

(٣) نفسه ص ٥٧١ .

(٤) نفسه ص ٥٧٣ .

(٥) نفسه ص ٢٦٣ .

(٦) انظر مواضع أخرى مشابهة فى السيرة ق ١ ص ١٤ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٥١ ، ١٨٦ ، ق ٢ ص ٧٩ ، ٣٧٤ ، ٤٢٨ .

ذلك صراحة ، ومن المحتمل أن يكون هذا الترك أصلاً من ابن إسحاق ، أو يكون بعضه منه ، وبعضه من ابن هشام .

وتبقى ملاحظة ينبغي التنبه إليها ، وهي أن ابن هشام يذكر في مواضع كثيرة أبياتاً لشعراء جاهليين وإسلاميين ، ويعلق عليها بأنها من قصيدة الشاعر ، أو في أبيات له ، ولا يعني ذلك أنه ترك بقية الأبيات للاختصار ، كما فهمنا في المواضع السابقة ، لأنه إنما يأتي بهذه الأبيات لهؤلاء الشعراء للاستشهاد أو لشرح معنى أو لتوضيح شيء غامض ، كما أن معظم هذه المواضع هي من إضافاته التي زادها على سيرة ابن إسحاق . بينما كانت مواضع الاختصار التي أشرنا إليها من أشعار السيرة التي قيلت في أحداثها ، والتي رواها ابن إسحاق .

ومن الواضح أن هذا الضرب من الحذف ، الذي أجراه ابن هشام بقصد الاختصار ، هو كسابقه يهدف إلى التنقيح ، ويتنافى مع التوثيق .

ثانياً : التنبيه على الأشعار المشكوك فيها :

حاول ابن هشام أن يتثبت من صحة الأشعار التي أوردها في سيرته ، بعد أن حذف ما ثبت لديه أنه شعر موضوع لا صحة له ، ولا يعرفه أحد من أهل العلم بالشعر ، وقد بذل جهداً محموداً في تحقيقه لتلك الأشعار التي أبقى عليها مما رواه ابن إسحاق ، فعرضها على أهل العلم بالشعر ، ليسترشد بآرائهم في حكمه عليها ، وكانت هناك بعض النصوص الشعرية التي اختلفت آراؤهم حولها ، فمنهم من ينكرها ، ومنهم من يقرها ، ويتفاوت المنكرون والمقرون قلة وكثرة ، فلم يجد ابن هشام بداً من أن يثبت خلاصة آرائهم عن كل نص

وقع فيه الخلاف ، وأن يلتزم الأمانة والدقة فى إثباتها ، مفضلا أن يبقى هو على الحياد ، وألا يتدخل برأيه فى تقرير الحكم عليهما إلا فى أحيان قليلة لسبب يراه ، ومن خلال عباراته التي علق بها عليها يتبين لنا مصداق ذلك . وهى عبارات متعددة ، يتشابه بعضها ، ويتفاوت بعضها الآخر ، فى تحديد مدى الشك أو اليقين بالنسبة لكل نص شعرى . وباستقراء عبارات ابن هشام ، أو تعليقاته التى ينبه بها إلى الشك فى هذه النصوص ، نجدها تدور عموماً فى محورين اثنين :

١ — عبارات تغلب الشك :

فى تعليقات ابن هشام على بعض القصائد أو الأشعار ما يفيد أنه عرضها على أهل العلم بالشعر ، وأن أكثرهم قد أنكرها ، ولكى نكون أكثر دقة فى فهم هذا الإنكار ، ينبغى أن نستقرئ عباراته التي يعلق بها على تلك النصوص الشعرية ، وهى تدور فى نطاق أقواله : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة له ، أو ينكرها له ، أو ينكر هذه الأبيات له ، أو يشك فيها له ، أو ينكر هذا الشعر له . فكلها تتفق على أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر أو يشك فى النص الشعرى ، من قصيدة أو مقطوعة ، لمن نسبه إليه ابن إسحاق ، وقد وردت تعليقاته هذه على خمسة عشر نصاً شعرياً ، نسبت إلى : أبى بكر الصديق (١) . وعبد الله بن الزبعرى (٢) . وسعد ابن أبى وقاص (٣) . وحمزة بن عبد المطلب (٤) . وعلى بن أبى طالب (٥) .

---

(١) السيرة ق ١ س ٥٩٢ .
(٢) نفسه س ٥٩٤ .
(٣) نفسه س ٥٩٥ .
(٤) نفسه س ٥٩٦ ، ق ٢ س ٨ .
(٥) نفسه ق ٢ س ٢٢٥ . وهو النص الوحيد الذى علق عليه بلفظ (يشك) بدل (ينكر) .

وأبي جهل[1] ، والحارث بن هشام[2] ، ونجد بنت أثاثة[3] ، وميمونة بنت عبد الله[4] ، وكعب بن الأشرف اليهودى[5] ، وحسان بن ثابت[6] ، والزبرقان بن بدر[7] .

ومن الواضح أن تعليقات ابن هشام هذه تغلب الشك فى النص الشعرى ، ولكن هذا الشك لا ينسحب على النص ذاته ، أو يقدح فى صحته وأصالته ، وإنما ينسحب على نسبته إلى قائله الذى نسبه إليه ابن إسحاق ، فعباراته تعنى أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرون أن يكون النص الشعرى من قول هذا القائل الذى ذكره ابن إسحاق ، وأنه قد يكون لأحد غيره من الشعراء الذين شهدوا تلك الأحداث . ولكنهم لا يستطيعون تحديد إسم قائله تحديداً دقيقاً ، وهذا يفسر لنا عدم ذكر ابن هشام لاسم قائل آخر له .

يضاف إلى ذلك أن تعليقات ابن هشام ، تفيد من وجه آخر أن بعض أهل العلم بالشعر . ولو كانوا قلة — لا ينكرون النص لقائله ، كما ينكر أكثرهم . ولا مجال للظن بأن إنكار الأكثرين يمكن أن يوحى بأن الرواة الوضاعين قد صنعوا النص الشعرى ونسبوه إلى قائله ، لأنه لو كان هناك شك أو احتمال لذلك ، لذكره ابن هشام أو أشار إليه ، على ما عهدناه

---

(١) السيرة ق ١ ص ٥٩٨ .
(٢) نفسه ق ٢ ص ٨ — ١١ .
(٣) نفسه ص ٤٢ .
(٤) نفسه ص ٥٣ .
(٥) نفسه ص ٥٣ — ٥٤ .
(٦) نفسه ص ٥٣ ، ١٥٥ ، ١٨٣ .
(٧) نفسه ص ٥٦٣ .

من دقته في تقرير الحكم على الأشعار التي تكون موضع شك أو خلاف . وما رأيناه من إسقاطه للأشعار التي يثبت لديه أنها موضوعة وغير صحيحة .

وإذا كان ابن هشام قد وقف عند أحكام أهل العلم بالشعر ، وإنكار أكثرهم أن تكون هذه الأشعار لمن نسبت إليهم ، دون أن يبدى رأيه الخاص في إنكارهم ، فإن ذلك لا يعني أن يأخذ الباحث المحقق بهذا الإنكار الغالب ، بل ينبغي مراجعة هذه الأشعار في مصادر أخرى ، قد تفيدنا بمعلومات عنها تساعدنا على الوصول إلى الحكم السليم . فمن هذه النصوص ما يمكن الاطمئنان إلى صحة نسبته إذا قمنا بهذا التحقيق . نذكر منها أبيات حسان بن ثابت التي ناقض بها قصيدة كعب بن الأشرف ، والتي يقول حسان في مطلعها[1] :

أبكى لكعبٍ ثم عُلّ بعبرة
منه وعاش مُجدّعا لا يسمع

فقد أوردها الواقدى بإسناد عن رواة موثقين ، قال : « حدثني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن رومان ، ومعمر عن الزهرى عن ابن كعب بن مالك ، وابراهيم بن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبد الله »[2] . ثم ذكر الأبيات . يضاف إلى ذلك ما نلاحظه من تعقيب ابن هشام عليها بقوله : « وقوله (أبكى لكعب) عن غير ابن إسحاق »[3] . كما أنه يتفق مع الواقدى

(١) السيرة ص ٥٣ .

(٢) المغازى ص ١٨٦ .

(٣) السيرة ق ٢ ص ٥٣ . وانظر ديوان حسان ص ٣٩٠ .

على صحة قصيدة كعب بن الأشرف[١] ، التي ناقضها حسان بأبياته هذه . وكل ذلك يزيد من اطمئناننا إلى صحة نسبتها لحسان . ويضعف من غلبة الشك التي تقوم على إنكار أكثر أهل العلم بالشعر ، كما ذكر ابن هشام .

ومنها قصيدة الزبرقان بن بدر التي أنشدها في وفادة قومه بني تميم على النبي (ص) . ومطلعها[٢] :

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلُنا
منا الملوكُ وفينا تُنصبُ البِيَعُ

فقد أوردها الطبري بإسناد مرفوع إلى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله ابن أبي بكر[٣] . كما رواها أبو الفرج بإسناد مرفوع إلى السيدة عائشة أم المؤمنين[٤] . يضاف إلى ذلك أن ابن هشام ذكر رواية مختلفة لشطرين من أبياتها عن بعض بني تميم . كما أن قصيدة حسان[٥] التي ناقض بها قصيدة الزبرقان على نفس الوزن والقافية ، تضيف عاملا آخر في صحة إنشاد الزبرقان لقصيدته وصحة نسبتها إليه . وعلى ذلك يمكن الوصول إلى رأى في توثيقها يخالف ما ذكره ابن هشام .

وفى تعليقات ابن هشام على بعض النصوص الشعرية الأخرى ، ما يفيد

---

(١) المغازى ص ١٨٥ — ١٨٦ ، والسيرة ق ٢ ص ٥٢ .

(٢) السيرة ق ٢ ص ٥٦٣ .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٥ .

(٤) الأغانى ج ٤ ص ١٤٦ .

(٥) السيرة ق ٢ ص ٥٦٤ — ٥٦٥ .

غلبة الشك عليها ، وإن كانت عباراته التى علق بها ، تختلف عن عباراته فى تعليقاته على النصوص السابقة ، إذ تدور فى إطار قوله « ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، أو يعرفها له ..» وقد كررها فى خمسة مواضع ، ولكنه يضيف إليها معلومات أخرى تطامن من شكه ، وتبرر إيراده لهذه الأشعار . ولولا هذه المبررات لكان الأحرى به أن يسقطها ، كما أسقط غيرها من الأشعار التى لم يجد أحداً يعرفها من أهل العلم بالشعر ، على النحو الذى انتهجه من قبل .

ونذكر تعليقاته على هذه النصوص لنتبين الصورة الدقيقة لها . ففى إحداها يذكر قول ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب يذكر إجلاء بنى النضير ، وقتل كعب بن الأشرف ، ثم يعقب عليه بقوله : « قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى »[1] . وواضح أن عبارته تغلب الشك فى نسبتها لعلى ، ولكنها لا تقدح فى صحة النص ، وفى أصالة صدوره عن رجل من المسلمين ، الذين شهدوا تلك الأحداث ، وإن لم يذكر ، أو لم يعرف من يكون .

وبعبارة مشابهة لهذه العبارة يعلق على ثلاثة أبيات أخرى نسبها ابن إسحاق لعلى فى يوم أحد[2] . ولكن الواقدى يوردها — بزيادة بيت عليها — منسوبة إلى على . ثم يعقب عليها بقوله : « سمعتها من الإصبع بن عبد العزيز وأنا غلام . وكان بسن أبى الزناد »[3] . وهذا مما يزيد ثقتنا

(١) السيرة ص ١٩٦ .

(٢) نفسه ص ١٦٥ .

(٣) المغازى ص ٢٨٢ .

فى أصالة النص . ويخفف من الشك فى نسبته لعبد المطلب ، خصوصاً وأنه أبيات قليلة .

ومنها نصان آخران هما نقيضتان قيلتا فى يوم بدر ، أولاهما منسوبة لعلى ابن أبى طالب ، والثانية للحارث بن هشام ، على رواية ابن إسحاق ، ومع أن ابن هشام علق عليهما بأنه لم ير أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفهما ، إلا أنه أثبتهما لسبب رآه مرجحاً لصحتهما ، يقول : « وإنما كتبناهما لأنه يقال : إن عمرو بن عبد الله بن جدعان قتل يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى ، وذكره فى هذا الشعر »[1] . وإذا كان هذا السبب لا يعد مبرراً قوياً لصحة القصيدتين ، فإنه — على أى حال — يخفف من غلواء الشك فيهما ، ويدعونا إلى معاودة النظر فى تحقيقهما .

أما الموضع الخامس فيعلق ابن هشام فيه على ست قصائد رواها ابن إسحاق عن محمد بن سعيد بن المسيب لبنات عبدالمطلب الست وهن : صفية ، وبرة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى . فى ذكره لخبر وفاته ، وأن عبد المطلب قال لهن : ابكين على حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت . ويقول ابن هشام فى تعليقه : « ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه »[2] . فثقته فى راويها هى التى طمأنته إلى صحتها ، أو خففت من درجة شكه فيها . وإن كان ذلك غير كاف لتوثيقها ، وإبعاد الشك عنها .

---

(١) السيرة ق ٢ ص ١١ .

(٢) نفسه ق ١ ص ١٦٩ .

٢ — عبارات تقلل الشك :

وفي تعليقات ابن هشام على بعض الأشعار الأخرى ، التي رواها ابن إسحاق ، يردد قوله : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » أي لقائلها الذي نسبت إليه ، وقد تكررت هذه العبارة في عشرين موضعاً ، تعليقاً على نصوص شعرية لكل من : مالك بن الدخشم[١] . ومكرز بن حفص[٢] . وعبيدة بن الحارث بن المطلب[٣] . وضرار بن الخطاب الفهري (ثلاثة نصوص)[٤] . والحارث بن هشام[٥] . وهند بنت عتبة (ثلاثة نصوص)[٦] وحسان بن ثابت (خمسة نصوص)[٧] . وعبد الله بن الزبعرى (نصان)[٨] . وعمرو بن العاص[٩] . وخبيب بن عدى[١٠] . ومسافع بن عبد مناف[١١] .

وفي موضع آخر يعلق على قصيدة لأبي طالب — بعد أن حذف من أبياتها التي رواها ابن إسحاق ما لم يصح لديه — فيقول : « هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها »[١٢] .

---

(١) السيرة ص ٦٤٩ .
(٢) نفسه ص ٦٥٠ .
(٣) نفسه ق ٢ ص ٢٣ .
(٤) نفسه ص ٢٨ ، ١٤١ ، ١٦٥ .
(٥) نفسه ص ٢٨ .
(٦) نفسه ص ٣٩ ، ١٦٨ .
(٧) نفسه ص ١٤٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
(٨) نفسه ص ١٤٣ ، ٤٢٠ .
(٩) نفسه ص ١٤٧ .
(١٠) نفسه ص ١٧٦ .
(١١) نفسه ص ٢٦٧ .
(١٢) نفسه ق ١ ص ٢٨٠ .

وواضح من تعليقات ابن هشام أنه يقصر إنكار نسبة النص الشعرى على بعض أهل العلم بالشعر ، يقصد بذلك القلة منهم ، فى مقابل تعبيره السابق « وأكثر أهل العلم بالشعر » الذى قصد به الكثرة . فهو إذن قد حصر الشك أو الإنكار هنا فى قلة منهم أو فى بعضهم ، وهذا يعنى — من وجهة أخرى — أن أكثرهم لا ينكرون ، ولا يشكون فى صحة نسبة النص إلى قائله حسب رواية ابن إسحاق . وإذا كان ذلك يعنى ترجيح الحكم بالصحة ، فإنه لا يعنى القطع بها ، ولا يعفى الباحث المحقق من الرجوع إلى المصادر الأخرى التى أوردت هذه الأشعار ، ومن النظر فى سند رواتها ، والتحقق من أمانتهم وصدقهم ، حتى يصل إلى الحكم السليم ، ما أمكنه ذلك .

وبالرجوع إلى بعض المصادر الأخرى ، يمكن الاطمئنان إلى صحة نسبة بعض من هذه النصوص ، منها نص لمالك بن الدخشم ، إذ رواه الواقدى(١) ، والبلاذرى(٢) ، والمرزبانى(٣) ، وابن عبد البر(٤) ، وابن الأثير(٥) ، وابن حجر العسقلانى(٦) ، وابن كثير(٧) ، ونص لخبيب بن عدى ، فقد أورده الطبرى بإسناد يرتفع إلى أبى هريرة(٨) ، كما أورده ابن عبد البر(٩) . وأورد

(١) المغازى ص ١٣٨ .

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٠٣ .

(٣) معجم الشعراء ص ٣٦٢ .

(٤) الاستيعاب ج ٢ ص ٦٦٩ .

(٥) أسد الغابة ج ٢ ص ١٢١ .

(٦) الإصابة ج ٦ ص ٢٣ .

(٧) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣١٠ .

(٨) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٤٠ .

(٩) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٤١ .

بيتين منه كل من البخارى[1] والقرطبى[2] . ونص لمكرز بن حفص أورده المرزبانى[3] ناقصاً البيت الثانى ، وأورده ابن حجر[4] ناقصاً البيت الأول . ونص لهند بنت عتبة ، أورده البلاذرى[5] . وعلى هذا النحو يمكن تتبع هذه النصوص فى مصادر شعر السيرة لتحقيقها وتوثيقها .

والملاحظ أن ابن هشام لا يسمى أحداً من هؤلاء الذين ينكرون نسبة النص إلى قائله ، مع أنهم قلة ، ويكتفى بتعميم القول بأنهم بعض أهل العلم بالشعر ، ولعله عمد إلى ذلك من باب الاختصار ، أو لأنه لم يجد داعياً لذكر أسمائهم ، إذ أن ما يعنيه هو ذكر رأيهم فحسب ، ولو أنه ذكر اسماءهم أو بعضها لساعدنا فى البحث والتحقق من هؤلاء العلماء ، والتعرف على مكانتهم العلمية ، مما يقربنا من الوصول إلى حكم أكثر دقة ، وأصوب تحقيقاً .

وإذا كان إنكار هؤلاء العلماء يقتصر على نسبة النص إلى قائله ، حسب رواية ابن إسحاق ، فإن هذا الإنكار لا ينسحب على أصالة النص أو صحته ، وهذا مما يضيق دائرة الشك ويحصرها فيمن ينسب إليه فحسب . وهم من ناحية أخرى ، لا يذكرون قائلا آخر له ، وكان الأمر يقتضى أن يكونوا على علم بقائله ما داموا لا يقرون بصحة نسبته ، وهذا مما يزيد إنكارهم ضعفاً ، ويكسب النسبة المذكورة رجحاناً .

---

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ١١٥ ، ج ٥ ص ١٠٢ .

(٢) تفسير القرطبى ج ١١ ص ٣١ .

(٣) معجم الشعراء ص ٤٧٠ .

(٤) الإصابة ص ١٣٥ .

(٥) أنساب الأشراف ج ١ ص ١٥٢ — ١٥٣ .

وقد تكون عبارته التى علق بهما على النص المنسوب لأبى طالب ، موحية بالشك فى أبيات من النص ذاته ، لا فى نسبته ، لأن قوله : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها » دون أن يكمل العبارة بكلمة (له) ، كما فعل فى تعليقاته على النصوص الأخرى ، يجعل الإنكار مقصوراً على أكثر أبيات القصيدة ، ولا ينسحب على نسبتها لأبى طالب ، مما يوحى بأن هذه الأبيات من وضع الوضاعين ، أو من الزيادات التى زادها الناس عليها لأسباب سياسية ـ كما سبق أن أوضحنا[1] ـ فهذه القصيدة لها وضعها الخاص الذى كان يعرفه العلماء ، ويعرفه ابن هشام . ولذلك أسقط منها الأبيات التى تأكد من نحلها ، وأبقى على ما صح له منها ، ولكنه ـ مراعاة للأمانة والدقة ـ حرص على ذكر رأى بعض أهل العلم بالشعر ، مع أنه يخالف رأيه . واجتهد فى الوصول إلى هذا الحكم الترجيحى ، الذى خفف من الشك فيها إلى أقل درجة ممكنة .

وإذا كان ابن هشام قد اكتفى فى المواضع السابقة ، بذكر إنكار بعض أهل العلم بالشعر لنسبة الأشعار إلى قائليها ، الذين ذكرهم ابن إسحاق ، دون أن يقرر رأياً فى إنكارهم هذا ، سواء بالموافقة أو الرفض ، فإن ذلك يعنى رجحان نسبتها المذكورة ، وأن الشك فيها ضعيف يفتقر إلى الأدلة التى تؤيده ، وواضح أن ابن هشام رأى أن يترك هذا الشك قائماً ، حرصاً منه على الدقة التى يتوخاها ، والأمانة التى التزم بها فى ذكر الحقيقة ، ولعله رأى فى ذلك أن يتيح الفرصة لغيره من العلماء والباحثين ، فقد يأتى أى منهم بأدلة غابت عنه ، يمكن أن تقوى هذا الشك ، أو تصل به إلى درجة الترجيح ، ويمكن من ناحية أخرى أن تمحوه تماماً .

---

(١) انظر مناقشتنا لظاهرة النحل والوضع فى فصل « ظواهر التشويه والطعن فى شعر السيرة » من هذا الكتاب .

وفى مواضع أخرى من السيرة تضيق دائرة الشك ، لتصبح محصورة فى نسبة النص الشعرى بين شاعرين أو ثلاثة معروفة أسماؤهم ، وفى أغلب الأحيان يورد ابن إسحاق النص منسوباً لشاعر منهم ، فيعقب عليه ابن هشام بأنه ينسب إلى شاعر غيره ويحدد اسمه ، ونذكر أمثلة من ذلك ، حتى يمكننا أن نتبين موقف ابن هشام من خلال تعليقاته تبيناً واضحاً .

أورد ابن إسحاق قصيدة لأبى قيس بن الأسلت فعقب عليها ابن هشام بقوله : « والقصيدة تروى لأمية بن أبى الصلت »[١] وأورد قصيدة لأبى الصلت بن أبى ربيعة فعقب عليه ابن هشام بقوله : « تروى لأمية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة »[٢] . وأورد قصيدة لعبد الله بن الزبعرى ، فعقب ابن هشام عليه بقوله : « وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش »[٣]. وأورد قصيدة لحسان بن ثابت ، فعقب ابن هشام عليه بقوله : « ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمى »[٤] . وتتكرر مثل هذه التعقيبات فى مواضع أخرى نكتفى بالإشارة إلى صفحاتها »[٥] .

ونلاحظ على هذه التعقيبات لابن هشام أنه يكتفى بذكر اسم الشاعر الآخر ، الذى تنسب إليه القصيدة ، دون أن يخطىء رواية ابن إسحاق ، أو يؤكد روايته هو ، ويترك الأمر معلقاً دون حسم منه ، لأنه لا يملك

---

(١) السيرة ق ١ س ٥٨ ــ ٥٩ .

(٢) نفسه س ٦٠ .

(٣) نفسه ق ٢ س ١٥ .

(٤) نفسه س ٢٠ .

(٥) نفسه ق ١ س ١٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٤٩٧ ، ٦٤٣ ، ق ٢ س ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤٤٨ ، ٥٥٤ .

أن يحسنه ، ولأنه لا يريد أن يدعى من العلم شيئاً ليس متأكداً منه ، فيخرج عن منهجه فى الأمانة والدقة .

وفى بعض المواضع ينسب ابن هشام النص الشعرى لشاعر آخر ، غير الذى نسبه إليه ابن إسحاق ، اعتماداً على رواية أبى زيد الأنصارى ؛ وهى أربعة مواضع يقع الخلاف فيها بين شعراء المدينة الثلاثة ، حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، منها نصان نسبهما ابن إسحاق لحسان[1] ، ونصان نسبهما لابن رواحة[2] ، ويعقب عليها جميعها ابن هشام بقوله : « أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك » ومن الواضح أن ذكر ابن هشام لرواية أبى زيد ، قد أكسب نسبة هذه النصوص لكعب قوة توثيقية تجعلنا نطمئن إلى صحتها ، لسببين واضحين : فأبو زيد من علماء الرواة الثقات المشهورين ، وإلى جانب ذلك هو أقربهم وأدراهم بشعر الأنصار لأنه أنصارى منهم . ومع ذلك فابن هشام لا يؤكد صحة نسبته ، ولا ينفى نسبة ابن إسحاق ، ويترك الباب مفتوحاً لمن يريد التحقق .

وفى موضعين آخرين يروى ابن إسحاق أبياتاً ينسبها لحسان ، فيعقبه ابن هشام فى موضع منهما ، بأنها تروى لربيعة بن أمية الديلى ، وتروى أيضاً لأبى أسامة الجشمى[3] . وفى الموضع الآخر ، ينسب ابن هشام البيت الأخير منها لأبى خراش الهذلى ، ثم يقول : « وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلى[4] » .

---

(١) السيرة ق ٢ ص ١٣٢ ، ٣٤٨ .

(٢) نفسه ص ١٦٢ ، ٢١٠ .

(٣) نفسه ق ٢ ص ٢٦٩ .

(٤) نفسه ص ٧٨ — ٧٩ .

وقد يورد ابن إسحاق شعراً ، يتنازع نسبته شاعران يذكرهما ، كما فعل حين روى أبياتاً نسبها إلى العباس بن مرداس ، ثم قال : « ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمى »[1] ويأتى ابن هشام ، فيورد كلام ابن إسحاق كما هو ، دون أن يعقب عليه بشىء ، تاركا الشك فى نسبة الأبيات قائماً ، لعل غيره يمكنه التحقق منها .

وفى كل هذه المواضع التى عرضنا لها ، ورأينا فى تعليقات ابن هشام وتعقيباته مدى دقته فى التعبير عن الحقيقة ، والتزامه بالحيدة فى مواقفه ، والأمانة فى عرض معلوماته ، والعدالة فى تقرير أحكامه ، نستطيع أن نتبين كثيراً من جوانب منهجه فى توثيق شعر السيرة ، وجهده فى حصر أوهام الشك التى أحاطت به .

ومع أن ابن هشام كان على هذه الدرجة من الدقة والأمانة فى تحرى صحة النصوص ونسبتها ، فإنه قد سها فى بعض الأحيان ، فأورد نصوصاً برواية ابن إسحاق دون أن يتحقق منهـا — مع حاجتها إلى التحقق — من ذلك أبيات رواها ابن إسحق فى هجرة الرسول (ص) ونسبها إلى رجل من الجن ، فأوردها ابن هشام بنفس نسبتها[2] ، دون أن يبدى رأيه فى ذلك ، أو يعقب عليها بشىء ، بينما تنبه غيره من العلماء[3] ، إلى هذه الرواية ، وعقب عليها .

ومن ذلك أيضاً أن ابن إسحاق روى أربعة أبيات نسبها إلى رجل من بنى جشم ابن معاوية يرثى بها رجلين من قومه[4] ، ثم عاد بعد صفحات قليلة ،

---

(١) السيرة ق ٢ ص ٤٣٢ .

(٢) نفسه ق ١ ص ٤٨٧ .

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٢٦٢ .

(٤) السيرة ق ٢ ص ٤٥٧ .

فأورد ثلاثة أبيات قريبة التماثل معها ، ونسبها إلى امرأة من جشم ، ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين[١] . فأورد ابن هشام الأمرين ونسبتهما كما رواها ابن إسحاق ، دون أن يتنبه إلى ذلك ، أو يعقب عليه بشيء . إلا أن مثل هذا السهو لا يقلل من خطورة عمله ، ولا ينال من أمانته ودقته .

ثالثاً : تمحيص وإضافة ونقد للأشعار :

لم يقف ابن هشام من الأشعار التى أوردها ابن إسحاق موقف الراوى ، أو الناقل ، الذى يحملها . كما هى دون تمحيص لرواياتها ، فقد عرفنا أنه كان يعرض هذه الأشعار على أهل العلم بالشعر ، وأنه كان حريصاً على تسجيل آرائهم عنها من حيث الإنكار أو الإقرار ، ليلقى الضوء على مدى صحتها أو صحة نسبتها إلى قائلها ، ملتزماً بموقف حيادى منها إلى حد بعيد .

تجاوز ابن هشام هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى أكثر تداخلا فى النص الشعرى ، وتفحصاً لعباراته وألفاظه ، فمن خلال عرضه للأشعار على أهل العلم بالشعر ، وجد لديهم روايات مختلفة لبعض الأبيات أو العبارات أو الألفاظ ، فحرص على تسجيلها تعقيباً على رواية ابن إسحاق ، أو الأخذ بتلك الروايات وتعديل النص الشعرى على أساسها ، مع الإشارة إلى مواضع التعديل التى أجراها . وقد تعددت هذه المواضع التى قام ابن هشام فيها بتعديل النص أو التعقيب بذكر الروايات المختلفة حتى بلغت نيفاً وتسعين موضعاً .

---

(١) السيرة ص ٤٧٦ .

وتختلف تعبيرات ابن هشام فى تعليقاته على الأشعار ، وفى إشارته إلى مواضع التعديل أو الرواية المخالفة ، وفى تحديده للرواة الذين أخذ عنهم ، فبعد أن يورد النص يعقب عليه بقوله : قوله (كذا) أو بيته (كذا) عن غير ابن إسحق ، أو أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله (كذا) ، أو ويروى (كذا) ، أو أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله (كذا) . أو البيت (كذا) والبيت الذى يتلوه ، والثالث منه ، إلى آخرها بيتاً عن أبى زيد الأنصارى ، وعلى هذا النحو تتنوع تعليقاته .

وهو يذكر من الرواة الذين أخذ عنهم أيضاً أبا عبيدة النحوى ، وخلف الأحمر ، ويونس النحوى . وأغلب هذه المواضع لا يحدد فيها اسم راوى الشعر ، بينما يحدد اسم أبى زيد الأنصارى فى اثنين وعشرين موضعاً ، وأبى عبيدة فى نصف عددها ، وخلف الأحمر فى أربعة مواضع ، ويونس النحوى فى موضع واحد .

ومن الواضح أنه لا يحدد إسم راوية من هؤلاء العلماء ، إلا إذا كانت الرواية المغايرة لرواية ابن إسحاق مأخوذة عنه وحده ، أو عنه أساساً ومعه غيره من الرواة الآخرين . أما حين يورد الرواية دون تحديد لأحد منهم ، فمعنى ذلك أن هذه الرواية يقول بها عدد من أهل العلم بالشعر ، قد يكون من بينهم هؤلاء العلماء ، أو بعضهم ، وقد يقول بها معهم غيرهم من العلماء الذين عاصرهم ابن هشام وأخذ عنهم ، ممن كانوا موضع ثقة وأمانة وحفظ .

ونعرض لنماذج من تعليقات ابن هشام على الأشعار ، لنتبين منهجه فى

تحيحها ومنها قصيدة كعب بن زهير المشهورة ، التي أوردها ابن إسحاق ، ومطلعها[1] .

بانت سعادُ فقلبي اليوم مَتبولُ
متيَّمٌ إثرَها لم يُفدَ مكبولُ

أوردها ابن هشام برواية ابن إسحاق ، ولكنه أجرى بعض التعديلات أو الإضافات عليها ، وهي التي أشار إليها بعد القصيدة بقوله : « وبيته (حرفٌ أخوها أبوها . . .) ، وبيته (يمشي القُرادُ . . .) وبيته (عيرانةٌ قُذفت . . .) وبيته (تُمِرُّ مثلَ عسيبِ النخلِ . . .) وبيته (تفري اللبانَ . . .) وبيته (اذا يساورُ قِرنا . . .) وبيته (ولا يزال بواديه . . .) عن غير ابن إسحاق[2] » .

ويفهم من عبارته « عن غير ابن إسحاق » أحد احتمالين :

أولهما : أن تكون هذه الأبيات وردت في رواية ابن إسحاق ، ولكنها ليست صحيحة تماماً ، أو تشوبها بعض الأخطاء ، فلما قارنها بروايات غيره من أهل العلم بالشعر وجد روايتهم أصح وأفضل فأثبتها وأسقط رواية ابن إسحاق .

ثانيهما : ألا تكون هذه الأبيات وردت في رواية ابن إسحاق ، فأضافها ابن هشام في مواضعها من القصيدة ، بناء على روايات غيره من أهل العلم بالشعر .

---

(١) السيرة ق ٢ ص ٥٠٣ .

(٢) نفسه ص ٥١٤ .

وقد يكون الاحتمال الثانى هو الأرجح ، لأن الأول كان يقتضى أن يورد ابن هشام الأبيات فى القصيدة برواية ابن إسحاق ، ثم يعقب عليها بذكر الرواية الأخرى عن غيره مشيراً إلى أنها الأصح . ولكن الاحتمال الأول يزكيه أن ابن إسحاق لم يكن له علم بالشعر — كما سبق أن عرفنا — وأن روايته لأبيات تشوبها الأخطاء أمر وارد . وأن ابن هشام رأى أن يختصر هذه الخطوات مكتفياً بذكر الرواية الصحيحة فى النص مباشرة .

وفى قصيدة أخرى يرويها ابن إسحاق لعمرو بن الحارث ، فيوردها ابن هشام كما رواها ، ولكنه يجرى تعديلا على أحد أبياتها ، وهو الذي يقول فيه[1] :

ألم تنكحوا من خير شخص علمته
فأبناؤه منا ونحن الأصاهر

إذ يقول ابن هشام : « قوله (فأبناؤه منا) عن غير ابن إسحاق[2] : فهو قد أسقط رواية ابن إسحاق من البيت ، ووضع مكانها تلك الرواية عن غيره ، بعد أن محص الروايتين ووازن بينهما ، ثم كان اختياره لهذه الرواية التى أثبتها .

وتتكرر تصحيحات ابن هشام التى يوردها عن غير ابن إسحاق فى مواضع كثيرة تقرب من خمسة وثلاثين موضعاً ، منها ما يكون فى أبيات

---

(١) السيرة ق ١ ص ١١٥ .
(٢) نفسه ص ١١٦ .

كاملة ، كما رأينا في قصيدة كعب بن زهير ، ومنها ما يكون في أشطر من الأبيات ، أو في كلمات منها ، كما رأينا في القصيدة الأخرى .

وفي مواضع أخرى لا يحدد ابن هشام إسماً لأحد من الرواة الذين أخذ عنهم ، فيقول : « أنشدني بعض أهل العلم بالشعر » ، أو أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر » . من ذلك تعقيبه على قصيدة لعباس بن مرداس التي رواها ابن إسحاق ، وأوردها ابن هشـــام بعد إجراء تعديلاته عليها ، أو إضافاته إليها ، ثم عقب بقوله : « أنشدني من قوله (وكنا على الإسلام) إلى آخرها بعض أهل العلم بالشعر . ولم يعرف البيت الذى أوله (حملنا له في عامل الرمح راية) وأنشدني بعد قوله (وكان لنا عقد اللواء وشاهره) (ونحن خضبناه دما فهو لونه) »[1] .

وبمراجعة قوله هذا على القصيدة نجد أن الأبيات التي أنشدها بعضهم من قوله (وكنا على الإسلام) إلى آخرها أربعة أبيات ، وأن البيت الذى لم يعرف هو الثاني من القصيدة . وأن هناك اختلافا في ترتيب الأبيات فوضع الثالث مكان الرابع ، والعكس ، هذا إلى خلاف في بعض الألفاظ بين الروايتين ، وواضح أن ابن هشام قد جمع بينهما ومحصهما ، ثم أثبت القصيدة بالصورة التي رآها أفضل من وجهة نظره ، أو أقرب إلى الصحة والصواب .

ومن ذلك قصيدة أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر من قريش ، فقد أوردها ابن هشام بعد التعديل أو الإضافة إلى رواية ابن إسحاق ثم عقب عليها بقوله : « وأنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته :

(١) السيرة ق ٢ ص٤٦٩ .

ويلاقِ قرنٌ قِرنَه مشيَ المصافحِ للمصافِحْ

وأنشدني أيضاً :

مُوهُبُ المشين من المئيـــــ ــنَ الى المئينَ من اللواقـــحْ
ســوقُ المـــؤبَّل للمؤبِّــــ ـــل صادرات عن بـلادحْ[1]

وفي مواضع أخرى يورد ابن هشام رواية ابن إسحاق للنص الشعرى كما هي دون أي تعديل عليها ، ثم يعقب بذكر رواية أخرى لبعض الأبيات أو الأشطر أو الكلمات ، مقدماً لها بقوله « ويروى » . من ذلك أنه أورد أبياتاً لأبي قيس صرمة بن أبي أنس الأنصارى ، برواية ابن إسحاق ، ثم عقب عليها بقوله : « ويروى (وإن ناب أمرٌ فادح فارفدوهم) »[2] وهو شطر بيت جاء في رواية ابن إسحاق (وان ناب غرمٌ فادح فارفقوهم) . وواضح أن الخلاف بين الروايتين في كلمتين ، ولكنه أثبت الروايتين لأن كلتيهما تتعادلان في استقامة المعنى وصحته ، ولذلك لم يفضل إحداهما على الأخرى ، أو لم يسقط رواية ابن إسحاق ، كما فعل في غير ذلك من المواضع .

ومثل ذلك ما أورده من شعر للزبرقان بن بدر ، برواية ابن إسحاق ، وتعقيبه عليه بقوله : ويروى (منا الملوك وفينا تُقسمُ الرُّبَع) ويروى (من كل أرض هوانا ثم نُتَّبع) رواه لي بعض بني تميم »[3] ، والخلاف هنا في شطرين من بيتين ، أولهما ورد في القصيدة (منا الملوك وفينا تُنصَبُ البِيَعُ)

---

(١) السيرة ص ٣٢ .
(٢) نفسه ق ١ ص ٥١٠ .
(٣) نفسه ق ٢ ص ٥٦٣ .

وثانيهما ورد (من كل أرض هويا ثم تصطلع) والخلاف واضح بين الروايتين فى بعض الكلمات ، ولكنه أبقى على رواية ابن إسحاق ، لما رآه من صحتها ، ثم ذكر الرواية الأخرى ، لأنها يمكن أن تكون صحيحة كذلك .

وتمثل رواية ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى جانبا مهما من التصحيص والإضافة لما رواه ابن إسحاق من أشعار . نذكر منها ما عقب به على قصيدة لكعب بن مالك ، فقال : « أنشدنى بيته (بنا كيف نفعل . . .) والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله (نشب وتهلك آباؤنا) والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصارى[1] » ، فابن هشام لم يورد القصيدة إلا بعد أن أجرى عليها من التعديل والإضافه ، بناء على رواية أبى زيد لها .

وقد يحدث ابن هشام تعديلا فى بعض كلمات من الأبيات التى يرويها ابن إسحاق ، اعتماداً على رواية أبى زيد ، مثلما فعل فى أبيات لكعب بن مالك ، إذ عقب عليها بقوله : « أنشدنى قوله (لم تلى) وقوله (من نعم المفضل) أبو زيد الأنصارى[2] » . وهذه الكلمات التى أجرى بها التعديل ، يقع القول الأول منها فى نهاية البيت الأول ، ويقع القول الثانى فى نهاية البيت الثانى .

وفى مواضع قليلة يجمع ابن هشام بين رواية أبى زيد وغيره من الرواة ،

(١) السيرة ص ١٦١ .

(٢) نفسه ص ١٦٣ .

فقد عقب على قصيدة رواها ابن إسحاق لأبي قيس بن الأسلت بقوله : أنشدني بيته (وماء هريق . . .) وبيته (فبيضوا الحراب . . .) وقوله (ولي امرئ فاختار) وقوله (على اللامذاكات في رؤوس المناقب) أبو زيد الأنصاري وغيره[1] » .

ويضيف ابن هشام إلى أشعار السيرة قصيدتين من إنشاء أبي زيد الأنصاري ، لم يروهما ابن إسحاق ، إحداهما لكعب بن مالك في ذكر نقباء بيعة العقبة الإثنى عشر ، إذ يقول ابن هشام في تقديمه للقصيدة : « وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري[2] » . والثانية لحسان بن ثابت في رثاء رســـول الله (ص) ، إذ يقدم لها بهذه العبارة : « وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري[3] » .

ومن تصحيحات ابن هشام للأشعار التي رواها ابن إسحاق ، ما نبه اليه من خلط وتداخل بين أشعار الشعراء ، فقــد أورد قصيدة لأبي سفيان بن الحارث برواية ابن إسحاق ، ثم عقب عليها عدداً بيتين منها ، أنشدها اياه أبو زيد الأنصاري لحسان بن ثابت في نقيضته لأبي سفيان[4] . كما أورد قصيدة لأبي قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري ، ثم عقب عليها عدداً بيتين منها على أنهما لأفنون التغلبي ، وهو صريم بن معشر في أبيات له[5] .

---

(١) السيرة ق ١ ص ٢٨٦ .

(٢) نفسه ص ٤٤٥ .

(٣) نفسه ق ٢ ص ٦٦٦ .

(٤) نفسه ص ٢١٢ — ٢١٣ .

(٥) نفسه ق ١ ص ٥١٢ — ٥١٣ .

وكذلك أورد رجزاً نسبه ابن إسحاق لعبد الله بن رواحة، فنبه ابن هشام الى بيتين منه من هذا الرجز، على أنهما لعمار بن ياسر[1]، وقدم حجة قوية أثبت بها صحة رأيه. وتتكرر مثل هذه التصحيحات في مواضع أخرى[2].

واذا كان ابن هشام قد نبه الى الأشعار، التي يشك في نسبتها الى قائلها، حسب رواية ابن إسحاق، أو التي يتنازع نسبتها شاعران أو أكثر — كما سبق أن رأينا — وكان موقفه من هذا التنازع حيادياً، لا يستطيع أن يقرر النسبة الصحيحة، أو التي يرجح صحتها لأحد من القائلين، فإننا نجده في بعض المواضع يمحص ويتحقق من صاحب النص الحقيقي، ويصدر حكمه قاطعاً غير متردد، من ذلك أن ابن إسحاق أورد أبياتاً يتنازع نسبتها اثنان كما يتضح من قوله : « فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه، في غزوة عبد الله بن جحش، ويقال : بل عبد الله بن جحش قالها »[3]. فعقب ابن هشام على ذلك بقوله : « هى لعبد الله بن جحش »[4]. ليحسم هذا التردد أو التنازع، ولا شك أنه لم يقطع بهذا الحكم الا بعد تثبت وتمحيص.

وقد يروى ابن إسحاق النص الشعرى منسوباً الى قائل معين، ولكن ابن هشام يمحص هذه النسبة، فيتبين له أنها غير صحيحة، وأن صاحب النص شخص آخر غيره، فلا يتردد فى تصحيح هذا الخطأ. من ذلك أن ابن إسحاق أورد أبياتاً نسبها الى زيد بن عمرو بن نفيل، فعقب ابن هشام

(١) السيرة ق ٢ ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

(٢) نفسه ق ١ ص ٦٦ — ٦٧، ٢٧٢، ق ٢ ص ٧١٨، ١٣٢١ .

(٣) ، (٤) السيرة ق ١ ص ٦٠٥، وانظر مثل ذلك فى ق ١ ص ٦٥٥، ق ٢ ص ١٣٠٩

عليه بقوله : « هى لأمية بن أبى الصلت فى قصيدة له ، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس ، وآخرها بيتا . وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق »[1]. فجمع بين تصحيح النسبة ، والإشارة إلى الأبيات المتداخلة فى القصيدة وليست منها . ولكنه لم يحدد لمن تكون هذه الأبيات التى استثناها ، وربما كانت هى الأبيات التي يمكن أن تنسب لزيد بن عمرو . وإن كان أمرها يحتاج إلى تحقيق .

ومع اهتمام ابن هشام بتصحيح نسبة الأشعار إلى قائليها الحقيقيين ، فإنه قد أثبت بعض النصوص الشعرية المجهولة القائل ، كما رواها ابن إسحاق . ولا شك أن ابن هشام حاول أن ينسبها إلى قائليها[2] ، ولكنه لم يوفق فى معظمها ، فأثبتها كما هى ، ولم يحذفها ، لثقته فى أنها أشعار صحيحة ، وإن لم تعرف نسبتها ، وهى — على أى حال — مقطوعات قليلة الأبيات[3] . وعددها قليل لا يمثل خطراً يذكر .

وبنظرة شاملة لكل ما قام به ابن هشام من تمحيص للأشعار ، وتصحيح لنسبتها ، واستقصاء للروايات المختلفة ، التى أخذها عن أهل العلم بالشعر ، نلاحظ أنه كان يراجع فى ذلك علماء البصرة ورواتها ، لأنه كان ينتمى إلى مدرستهم ، التى نشأ بها ، وتلقى العلم على أيدى أساتذتها . وأنه لم يذكر من العلماء الذين أخذ عنهم إلا بصريين ، وليس بينهم كوفى واحد . وهذا أمر طبيعى ناتج عن فقدان الثقة بين رواة المدرستين .

---

(١) السيرة ق ١ ص ٢٢٧ .

(٢) أنظر السيرة ق ١ ص ٦٤٣ .

(٣) أنظر هذه الأشعار فى السيرة ق ٢ ص ٣٠٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ .

وإلى جانب مراجعة ابن هشام لرواة البصرة وعلمائها ، كانت له نظرته الخاصة ، فى مقارناته بين رواية ابن إسحاق ، وروايات غيره ، وإسقاط ما بدا له منها ضعيفا ، لا يتناسب فى جودته مع مستوى جودة شعر الشاعر الذى يروى له ، والإبقاء على الرواية الجيدة بإثباتها فى النص ، أو فى تعليقه عليه . فمن الواضح أنه فى كل ذلك كان يعتمد على ذوقه الأدبى ، إضافة إلى علمه باللغة والشعر . وأنه كان يجرى فى ذهنه عملية نقدية تصل به إلى النتيجة التى يقررها ويثبتها . ولكنه لم يشأ أن يثبت آراءه النقدية التى بنى عليها مقارناته واختياراته ، تجنبا للإطالة ، وحتى لا يخرج بالكتاب عن موضوعه الأساسى ، فاكتفى بإثبات النتائج التى تحمل خلاصة نقده وعلمه .

إلا أننا نراه فى بعض المواضع ـ وهى مواضع قليلة ـ يسجل رأيه النقدى ، إما بتعليق عام على القصيدة ، وإما بتعليق على بعض أبياتها ، فحين روى قصيدة حسان ، التى يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد ، والتى مطلعها :

منع النومَ بالعَشاء الهمومُ وخيالٌ إذا تغورُ النجومُ

قدم لها بقوله : « هذه أحسن ما قيل »(١) .

وقدم لقصيدة أبى أسامة معاوية بن زهير ، فى انهزام قريش فى بدر ، ومطلعها :

ولما أن رأيتُ القومَ خفُّوا وقد زالت نعامتُهم لنَفْر

---

(١) السيرة ق ٢ ص ١٤٩ .

بأنها « ... أصبح أشعار أهل بدر »[١] .

وعلق على بيت من قصيدة أبى أحمد بن جحش ، فى هجرته إلى المدينة ، وفيه يقول :

ستعلمُ يوماً أيُّنا إذْ تزايلوا
وزُيِّل أمر الناس للحق أصوب

فقال ابن هشام : يريد بقوله « إذ » إذا ، كقول الله عز وجل : « إذ الظالمونَ موقوفونَ عند ربِّهم » . قال أبو النجم العجلى :

ثم جزاه الله عنا إذ جزى
جنّاتِ عدنٍ فى العلالى والعلا[٢]

وعقب على أبيات للأسود بن المطلب ، فى بكاء أبنائه يوم بدر بقوله : « هذا إقواء ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا إكفاء »[٣] . بل إن مثل هذه العيوب الفنية كانت تدفعه أحياناً لحذف أبيات من القصيدة ، كما فعل فى قصيدة أبى سفيان بن الحارث ، التى رواها ابن إسحاق ، إذ ترك أبياتاً منها لقبح اختلاف قوافيها[٤] .

وعقب على ما كان يرتجز به المسلمون فى بنائهم لمسجد المدينة ، وهو قولهم :

---

(١) السيرة ق ٢ ص ٣٤ .
(٢) نفسه ق ١ ص ٤٧٤ .
(٣) نفسه ق ١ ص ٦٤٨ .
(٤) نفسه ق ٢ ص ٢١٣ .

لا عيش إلا عيش الآخـــرة   اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

بقوله : « هذا كلام وليس برجز »(١) .

ومن هذه الشواهد القليلة يتبين لنا أن ابن هشام كان على علم واف باللغة العربية ، ومعرفة دقيقة بأدبها وفنها الشعري ، وأن تذوقه الفني لهذا الشعر كان على درجة رفيعة ، شأنه في ذلك شأن العلماء من أقرانه في تلك الحقبة من تاريخنا الحضاري والأدبي ، ولا شك في أنه قد أفاد كثيراً بذلك في تمحيصاته ومقارناته ، واختياراته بين الروايات المختلفة ، التي وجدها لدى العلماء ، حتى استطاع أن يقوم بهـــذا العمل العظيم في تحقيق شعر السيرة وتمحيصه ، وفي تنقيته وتنقيحه ، ليدرأ عنه الشبهـات التي أحاطت به ، وليقدمه للأمة الإسلامية في صورة جديرة بالثقة والاحترام .

٣ — منهج توثيقي متكامل :

بعد أن عرضنا لـكل الظروف والملابسات التي أحاطت بشعر السيرة ، منذ نظمه شعراؤه إلى أن وصل إلينـا في مصادره التي كتب لهـا البقاء ، وما تعرض له خلال رحلته الطويلة عبر الأجيال والقرون ، من عوامل النحل والتغيير ، والخلط والتزييف ، والحذف والضياع ، وما بذله العلماء الذين حفظوه ونقلوه ، من جهود مخلصة لتمحيصه وتنقيحه ، وتنقيته وتخليصه من تلك الشوائب ، التي شوهت وجهه ، وأثارت الشكوك حوله . وعلى رأس

---

(١) السيرة ق ١ ص ٤٩٦ .

هؤلاء العلماء ابن هشام بعمله العظيم ، فى تمحيص الأشعار التى وردت فى سيرة ابن إسحاق ، وفى تنقيحها وتوثيقها بقدر ما وسعه الجهد والعلم .

بعد ذلك كله ، يمكننا أن نخلص إلى منهج توثيقى متكامل ، نتوصل به إلى تحقيق شعر السيرة تحقيقاً علمياً دقيقاً ، نستكمل به عمل ابن هشام ، ونستجمع به كل النصوص الشعرية ، التى أوردتها شتى المصادر ، لنضعها فى مصفاة التحقيق ، ونفحصها بعين متبصرة متأنية ، وننقيها من بقايا الشوائب التى ما تزال عالقة بها ، لنخرج بها فى أوثق صورة وأدقها ، تبعث فى نفوس الدارسين كثيراً من الثقة فى صحتها ، والاطمئنان إلى أصالتها .

ويقتضى المنهج العلمى أن نلم بالعناصر الرئيسية اللازمة لاستيفاء التحقيق ، وهى هنا ثلاثة عناصر : المصادر ، والرواة ، والنص .

فالمصادر هى الكتب التى نقلت إلينا نصوص شعر السيرة ، وحفظتها بين طياتها من أخطار الضياع قروناً طويلة . وهذه المصادر تتنوع موضوعاتها وتصانيفها ، على نحو ما بينا فى الفصل الثانى من هذا البحث ، فمنها الأدبية والتاريخية والدينية واللغوية والجغرافية . فينبغى أن نتعرف على كل كتاب منها تعرفاً دقيقاً ، يوقفنا على موضوعه وقيمته العلمية ، وعلى مؤلفه وزمن وفاته ، وما بلغه من العلم وسعة الاطلاع ، وإلى أى مدى يمكننا أن نثق فى أمانته وصدقه ، ومدى اهتمامه بالنص الشعرى ، من ذكره لإسناد روايته ومن إثباته للروايات المختلفة فيه . كما ينبغى أن نتعرف على مصادره التى نقل منها ، والعلماء الذين أخذ عنهم ، والمدرسة العلمية التى كان ينتمى إليها ، والاتجاه الفكرى المتمثل فى كتاباته . فهذه المعلومات تفيدنا فى تحديد موقفنا

منه ومن كتابه ، وإلى أى درجة يمكننا اعتماد ما ورد فيه من أشعار ، أو توخى الحذر من معطياته ، وعدم الأخذ بها إذا كانت ظاهرة الزيف ، أو طرحها على بساط التحقيق والمقارنة بما ورد فى المصادر الأخرى الموثوق بها .
كذلك ينبغى أن نعنى عناية خاصة بزمن تأليف الكتاب ، فكلما كان زمن تأليفه أقدم وأقرب إلى عصر السيرة النبوية ، كان اتصاله برواة شعرها أوثق ، وكانت حلقات إسناده أضيق وأقصر ، مما يسهل على المحقق مهمة التحقق من رجال الإسناد وتوثيقهم .

وإذا كانت بعض المصادر لا تعنى بالسند ، وتكتفى بذكر النص ، فإن ذلك لا يمنعنا من الإفادة منه ، أو لا يجعلنا نستبعده ، خصوصاً إذا كان المصدر قيمته العلمية ، أو إذا كان النص الذى أورده قد ورد فى مصدر آخر ، فهنا يتطلب الأمر أن نبحث الظروف والعوامل التى تؤيد صحة هذا النص أو تنفيها .

ولا تتوقف الإفادة من المصـــادر عند ما تورده من نصوص شعرية فحسب ، بل تتجاوز ذلك إلى ما تورده من معلومات تفيدنا فى الوصول إلى الحكم السليم أو المرجح . وهذه المعلومات قد تتصل بالشاعر أو الأحداث والمواقف التى قيلت فيها الأشعار . فلا ينبغى أن يتغافل المحقق عنها لما تحمله من الأدلة والشواهد التى تساعده على كشف الحقيقة .

وبعد الاطمئنان إلى المصادر التى يمكن اعتمادها للتحقيق ، ننظر فى أمر الرواة الذين حملوا أشعار السيرة بعضهم عن بعض حتى تدوينها فى المصادر . ولا يغيب عنا أن أخبـار هؤلاء الرواة وأحوالهم لم تصل إلينا بالرواية

الشفوية ، وإنما حملتها إلينا بعض الكتب القديمة ، التي عنيت برواية تلك الأشعار وتدوينها ، أو التي عنيت بالشعر القديم وقضاياه بوجه عام ، كما حملتها إلينا كتب الرجال ، التي وضعتهم في موازين التعديل والتجريح ، وذكرت ما قيل في حقهم من توثيق أو اتهام .

ومن خلال الأسانيد المتعددة للروايات ، يمكننا أن نعرف أسماء هؤلاء الرواة ، وتأتي الخطوة التالية في التعرف على أحوالهم ، والتحقق من صفاتهم العلمية والأخلاقية ، لنتبين درجة علمهم وحفظهم لما يروون ، ومدى صدقهم وأمانتهم في نقله . ومعولنا في معرفة ذلك هو تلك الكتب التي تحدثت عنهم وقومتهم .

وحين نقف على أقوال العلماء وآرائهم ، في توثيق هؤلاء الرواة أو في تجريحهم ، لا ينبغي أن نأخذ هذه الأقوال والآراء مسلمين بها ، دون أن ندرسها ونتحقق منها ، فنستقصي الأسباب والدوافع التي تكمن وراء هذا التوثيق أو ذاك التجريح ، هل هؤلاء العلماء ينتمون إلى المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها الرواة ؟ هل هم من تلاميذه أو شيوخه ؟ أم هم من خصومه ومنافسيه ؟ فهذه المعلومات والملاحظات تساعدنا على تكوين الصورة الصحيحة لهؤلاء الرواة ، أو القريبة إلى الصحيحة قدر المستطاع .

والرواة — كما نراهم من خلال الكتب التي تحدثت عنهم — بين ثقة صادق ، ومنهم كاذب ، ومغمور ليس له شأن في أوساط العلماء ، فلم يذكروه فيما كتبوا عن الرواة من تراجم أو أخبار .

ونلاحظ أن الاتهامات التي وجهت إلى بعض الرواة ، إنما صدرت عن

رواة آخرين أمثالهم، فقد تقاذفوا التهم فيما بينهم ، حتى لم يكد ينجو منهم من الطعن والتجريح إلا القليل . والأسباب التى أدت إلى تبادل الاتهامات بينهم واضحة جلية لكل من درس الأدب فى عصورهم . وأبرز تلك الأسباب يتمثل فى المنافسة العلمية التى كانت قائمة بين مدرستى البصرة والكوفة ، واختلاف المصادر التى أخذ منها رواة كل مدرسة منهما . وقد احتدمت تلك المنافسة حتى وصلت إلى حد التعصب والخصومة بين رواتهما . ولكن هذا الأمر لا ينبغى أن يؤخذ على إطلاقه ، فهناك من علماء المدرستين من ترفع عن تلك السفاسف ، وعلا به قدره العلمى عن الخوض فيها .

إلا أن التنافس بين الرواة لم يقف عند حد التعصب للمدرسة العلمية التى ينتمى إليها كل منهم ، وإنما تجاوز ذلك إلى تنافس فى الحياة العامة ، يدفعه السعى إلى الكسب ، ونيل الحظوة لدى الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة ، كما تدفعه الميول الحزبية والسياسية . فقد يرى أحدهم رأى القدرية ، ويذهب آخر مذهب المعتزلة ، ويأخذ غيره بفكر الشيعة . وقد يكون بعضهم أموى الهوى ، وبعضهم عباسى النزعة ، فيحمله تعصبه لفرقته أو زعمائه السياسيين على اتهام خصومهم والنيل من قدرهم .

ودليل على تأثير التعصب العلمى فى الحكم على الرواية ، يتمثل فى اتهام كل من حماد الراوية ، وخلف الأحمر ، بالوضع والانتحال فى الشعر ، ولكننا نجد عالمين بصريين من الثقات ، هما : يونس النحوى ، وابن سلام الجمحى ، يوثقان خلفا البصرى ، ويتهمان حماداً الكوفى . ودليل آخر نجده فى أخذ ابن هشام — البصرى النشأة — عن علماء بصريين ، مثل أبى زيد الأنصارى ، وخلف الأحمر ، وأبى عبيدة ، ويونس النحوى ، بينما لا نجد له

رواية واحدة من عالم كوفى . ومن هنا ينبغى على المحقق أن يتوخى الحذر ، وأن يتريث كثيراً قبل أن يقرر موقفاً ، أو يصدر حكماً على أحد من هؤلاء الرواة العلماء . وذلك ما أوصى به ابن حجر فى ميزانه « فإن كلام العلماء بعضهم فى بعض ينبغى أن يُتأنى فيه[1] » .

والرواة المتهمون لا يقوم اتهامهم على مجرد أقوال تقال عنهم ، وإنما يؤيد هذه الأقوال أدلة أخرى تدمغهم بالكذب والزيف ، وقد عنى بعض العلماء كابن سلام بسرق العديد من أدلة الاتهام — على نحو ما رأينا — كما أشار الواقدى فى بعض المواضع إلى هؤلاء المتهمين ، ونبه إلى ما انفردوا بروايته ، من ذلك أنه أورد قصيدة لعباد بن بشر الأنصارى فى قتل كعب بن الأشرف ، ثم عقب عليه بقوله : « قال ابن حبيبة : أنا رأيت قائل هذا الشعر ، وقال ابن أبى الزناد : لولا قول ابن حبيبة لظننت أنها ثبت »[2] . فمعرفة هؤلاء العلماء بالرواة الوضاعين ، وفضحهم لأكاذيبهم ، يساعدنا كثيراً فى كشف حقيقتهم ، ويسهل علينا مصاعب التحقيق .

ورواة شعر السيرة الذين حامت حولهم الشبهات والشكوك قلة قليلة ، وأبرزهم : محمد بن إسحاق ، وخلف الأحمر . وقد وثق خلفا كثير من العلماء الثقات ، وأخذوا بروايته ، أما ابن إسحاق فاتهامه يقوم على تهاونه وتفريطه فى حمل ما يؤتى به من شعر ، دون تمحيصه أو عرضه على أهل العلم بالشعر ، ليسترشد بآرائهم ، ما دام قاصراً فى علمه بالشعر حسب اعترافه[3] . ولكن

---

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٩٩ .

(٢) المغازى ص ١٩٠ .

(٣) طبقات الشعراء ص ٩ .

العلماء الأثبات كشفوا أخطاءه ، وأسقطوا المنحول مما رواه ، إلا أن ذلك لا يعني استبعاد كل رواياته ، فكثير منها مسند إلى الصحابة والتابعين ، وغيرهم من الرجال العدول ، وقد اعتمدها القدماء من علمائنا الأثبات ، فليس هناك ما يمنعنا من قبولها والوثوق بها ، ووضعها في مصاف التحقيق مع غيرها من الروايات .

وأما الرواة الثقات الذين اتفق العلماء على نزاهتهم ، وأجمعوا على أمانتهم ، ولم يطعنوا في صدق رواياتهم ، فهم الكثرة الغالبة في رواية ما وصل إلينا من أشعار السيرة ، وكثيراً ما اعتمد العلماء رواياتهم حين دونوا تلك الأشعار في كتبهم ، على نحو ما رأينا في صنيع ابن هشام في سيرته ، وما نراه من تعقيبات على بعض النصوص ، تدل على التثبت من روايتها ، مثل قول الواقدي معقباً على قصيدة رواها : « وهي ثبت لم أر أحداً يدفعها »(١) . وقوله في موضع آخر : « ما رأيت من أصحابنا أحداً يدفعه »(٢) .

من ذلك يتبين لنا أن هؤلاء العلماء الرواة قد تنبهوا إلى وجود الشعر المنحول . وأدركوا بما أوتوا من علم باللغة العربية ، وتذوق لأدبها وشعرها ، ما تحمله تلك الأشعار الموضوعة من دلالات تكشف زيفها ، فدعتهم أمانتهم وحرصهم إلى استقراء ما وصل إليهم من نصوص شعرية ، وتفحصها وتمحيصها ، وتقويم رواتها وناقليها ، والتنبيه على العدول منهم والمتهمين ، وبذلوا في ذلك جهوداً فذة ، وبلغت دقتهم في تمحيص هذه الأشعار أنهم

(١) المغازي ١٩١ .
(٢) نفسه ص ٤٣٦ .

كانوا يخرجون البيت الموضوع ، أو الأبيات المنحولة من النص الشعرى[١] ويردونها إلى قائلها الحقيقى[٢] . وأحيانا يشيرون إلى من قام بوضعها[٣] . ولا شك أن قرب اتصالهم بمنابع شعر السيرة ، ومعرفتهم بأسانيد رواياته ومصادرها ، قد ساعدهم كثيراً على الوصول إلى الحقيقة ، وعلى درء كثير من الشبهات التى أحاطت بهذا الشعر . وهذه الجهود العظيمة ينبغى ألا تضيع هباء ، وعلينا أن نفيد منها ، لنخرج بتحقيق دقيق لشعر السيرة .

وتبقى مشكلة قد تواجهنا فى إسناد بعض النصوص ، وهى وجود انقطاع فى سلسلة الرواة الذين يتضمنهم السند ، أو وجود رواة مجهولين بين رجاله لا سبيل إلى التعرف على شخصياتهم وتقويمها ، وهنا يكون التعامل المباشر مع النص ، وبحث الظروف المحيطة به ، والمناسبة التى قيل فيهسا ، مع الاستعانة بآراء العلماء الثقات فيه ، هو الطريق السليم لقبوله أو رفضه .

وتقودنا عناصر التحقيق العلمى الدقيق ، من توثيق المصادر والرواة ، إلى أهم عنصر من عناصره ، وهو النص الشعرى ، فهو الأساس الذى تدور حوله كل جهود التحقيق ، لتصل إلى نتيجة فى الحكم عليه ، إما بتوثيقه والاطمئنان إلى أصالته ، وإما برجحان الثقة فيه ، وإما برفضه وعدم قبوله .

وأهم مشكلة تعترض طريقنا فى تحقيق نصوص شعر السيرة ، هى تعدد

---

(١) سيرة ابن هشام ق ١ س ٥١٣ ، ق ٢ س ٧٨ .

(٢) نفسه ق ٢ س ١٣٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٩ ، ٣٧١ .

(٣) طبقات الشعراء س ٩٨ .

الروايات التي أوردتها المصادر المختلفة لكثير من هذه النصوص ، وتفاوت هذه المصادر فيما تثبته من أبيات النص ؛ فمنها ما يثبته كاملا . ومنها ما يكتفي بإثبات أبيات منه ، تقل وتكثر تبعاً لموضوع المصدر ، واتجاه مؤلفه . ومنها ما يخل بترتيب الأبيات بين التقديم والتأخير . ومنها ما يغير في بعض العبارات أو الألفاظ ، وذلك تبعاً للرواية أو الراوية الذي أخذ عنه المؤلف .

وهنا يقتضي منهج التحقيق أن نعتمد المصدر الذي أورد الأبيات في أوفى صورة وأقربها إلى الاكتمال ، وأن نعده المصدر الأم ، فنثبت النص كما ورد فيه ، ثم نضيف إليه ما أوردته المصادر الأخرى من أبيات لم ترد فيه ، ونضعها في ترتيبها حسب ورودها في مصدرها ، فإن لم يكن هناك ما يشير إلى تحديد مواضعها ، ولم يكن بد من ان نقوم بترتيبها ، فعلينا حينئذ ان نراعي سياق الأبيات ، وتناسق معانيها وافكارها ، ليكون الترتيب منطقياً مقبولا . ثم نقوم بالإشارة إلى كل ذلك في الهامش ، كما نشير إلى الروايات المختلفة في بعض الألفاظ او العبارات . ونتبع ذلك بتخريج الأبيات حسب ورودها في كل مصدر من المصادر .

ولا يغيب عنا أن ما يطالعنا في هذه المصادر ، من إخلال في ترتيب الأبيات ، أو اختلاف في بعض ألفاظها ، هو أمر طبيعي ناتج عن طول الفترة الزمنية ، التي قطعتها هذه النصوص ، وتناقلها بين الرواة مشافهة ، قبل أن تصل إلى مرحلة التدوين ، ولعل هذه الاختلافات نتجت عن تعدد الرواة ، وتعدد المصادر الأولية التي أخذوا عنها ، إضافة إلى التفاوت بينهم في القدرة على الحفظ ، فقد ينسى أحدهم بيتاً فيسقطه ، وقد ينسى كلمة ، فيضع مكانها كلمة مرادفة لها ، بحيث لا يخل بالوزن .

ومن أبرز المشكلات كذلك فى تحقيق نصوص هذا الشعر ، مشكلة الخلط فى نسبة بعض نصوصه ، فقد ينسب النص منها إلى شاعرين أو أكثر ، وسبق أن عرضنا لهذه الظاهرة بالتفصيل فى الفصل الخامس من هذا البحث . والباحث المحقق لشعر السيرة مطالب بالوقوف على القائل الحقيقى لكل نص من هذه النصوص ، وسبيله إلى ذلك هو استقصاء الروايات المختلفة التى أوردتها المصادر للنص ، والمناسبة التى قيل فيها ، والموضوع الذى طرقه الشاعر ، وما تضمنه من أفكار ومعان ، كما يقف على أشعار الخصوم فى تلك المناسبة ، إذا كان النص من أشعار النقائض ، فقد يكون فيه دليل أو إشارة إلى صاحب النص الحقيقى . وإلى جانب ذلك ينبغى الاسترشاد بآراء العلماء فى تحديد نسبته ، فكثيراً ما نجد لهم أحكاماً صائبة فى ذلك . وبهذا يمكن حسم الخلاف ، وإزالة الخلط ، ومعرفة النسبة الصحيحة للنص .

وقد يكون الاختلاط فى النسبة بين شاعرين يشتركان فى المبادىء والأفكار ، كأن يكونا مسلمين أو يكونا من المشركين ، فتزيد المشكلة تعقيداً . وما من سبيل إلى حلها إلا بمعاودة البحث فى المصادر ، وتلمس كل ما يشير إلى صاحب النص من قريب أو من بعيد ، وما قد يكون هناك من آراء للعلماء فى ترجيح هذا أو ذاك . وما صاحب آراءهم هذه من أدلة قد تكون مقنعة ، وتعزيزاً للموقف يقارن النص بشعر كل من الشاعرين ، اللذين اختلطت بينهما نسبته ، للتعرف على مدى المشابهة بينه وبين شعر أى منهما فى خصائصه الفنية ، من حيث الأسلوب والتصوير ، والنهج الذى يتبعه فى عرض أفكاره ، وما إلى ذلك من خصائص وسمات يتميز بها شعر كل منهما ، ويستطيع الدارس لشعر هؤلاء الشعراء بخبرته أن يتعرف على

الفروق الدقيقة بين شعر الشاعرين .. وبذلك يستطيع ترجيح نسبة النص لأى منهما ، بناء على تشابهه من شعره فى خصائصه وسماته .

وتزداد مشكلة نسبة النص الشعرى إلى قائله تعقيداً فى الشعر المجهول القائل ، إذ يتطلب منا فى هذه الحال التحقق من نسبته ، ثم التحقق من أصالته . والوصول إلى معرفة نسبته ينبغى استقصاء البحث فى جميع المصادر ، لعلنا نجد فى بعضها أو فى أحدها ذكراً لقائله ، أو إشارة إليه ، وهنا نمسك بطرف الخيط ، محاولين تقصى الأسباب والدلائل ، التى تعزز هذه النسبة أو ترجحها ، أو من ناحية أخرى تنفيها وتستبعدها .

وإذا لم نجد ما يساعدنا على التحقق من نسبة النص ، وسدت أمامنا كل السبل إلى ذلك ، بقى علينا أن نتحقق من أصالته . وهل قيل فى أى حدث من الأحداث ، أو أى موقف من المواقف ، التى تضمنتها حقبة السيرة ؟ أم قيل فى حقبة زمنية تالية ؟ فإن وجدنا إجماعاً من المصادر التى أوردته ، والرواة الذين رووه — على زوايته مجهول النسبة ، ولم نجد ما يشكك فيه من الدوافع أو الأغراض أو الملابسات الباعثة على التشكيك ، كان علينا قبوله نصاً أصيلا ، وإن لم تتوفر له دعامات الأصالة هذه ، كان علينا رفضه .

وهذه المشكلات أو الصعوبات التى عرضنا لها ، لا تقف حائلا دون تحقيق شعر السيرة ، أو جانباً من نصوصه ، وإن كانت تتطلب منا جهوداً أكثر ، فى الاستقصاء والتفحص ، والمدارسة والتمحيص ، لإخراجه فى أدق صورة محققة .

وقد يخفف كثيراً من العناء المتوقع فى هذا السبيل ، أن الجانب الأكبر

من أشعار السيرة ، قد مر بمراحل متعددة من النظر المتفحص ، والنقد المقوم ، منذ دونه القدماء فى مصنفاتهم ، وما بذلوه من جهود خاصة فى ذلك ، يتوجها جهد ابن هشام المعروف ، ثم تتابعت جهود المحققين فى العصر الحديث ، متناولة دواوين كثير من الشعراء الذين شاركوا بنصيب كبير فى أشعار السيرة ، وفى مقدمتها ديوان حسان بن ثابت ، الذى وصل إلينا بتدوين القدماء ، وحققه عدد من الدارسين فى نشرات مختلفة ، ومنها ديوان كعب ابن مالك ، الذى لم يصل إلينا ، ولكن أشعاره جمعت من بطون الكتب وحققت ، ومثله فى ذلك ديوان عبد الله بن رواحة ، وديوان العباس بن مرداس ، يضاف إلى ذلك دواوين شعراء آخرين ، أغلبها وصل إلينا عن القدماء ، ثم حقق حديثاً(١) ، وإن كانت أشعارهم فى السيرة قليلة ، مثل كعب بن زهير ، ولبيد بن ربيعة ، وأمية بن أبى الصلت ، والنابغة الجعدى ، ولا شك أن مجموع الأشعار ، التى شارك بها هؤلاء الشعراء جميعهم فى السيرة ، يشكل نسبة كبيرة من أشعارها ، إن لم يكن الجانب الأكبر منها . وأن جهود التحقيق التى بذلت فيها ، لها فائدتها الكبيرة ، إذ تتقدم بنا خطوات نحو التحقيق الشامل ، وتسهل علينا أداء هذا العمل الضخم على أفضل وجه من الصحة والدقة .

ويضاف إلى هذه النصوص التى حققت فى دواوين شعرائها ، نصوص أخرى أوردتها المصادر الموثوق بها ، لثقتنا فى أمانة مصنفيها ، ولاهتمامهم بأسانيد رواياتهم ، وتمحيصهم للأشعار ، وتنقيتها من الزائف والمنحول ، أو إبداء آرائهم وآراء العلماء غيرهم فى توثيقها ، وفى مقدمة هذه المصادر

---

(١) راجع المصادر الأدبية فى الفصل الثانى من هذا البحث .

« سيرة ابن هشام » ثم « المغازى » و « طبقات الشعراء » و « أنساب الأشراف » و « تاريخ الطبرى » و « الأغانى » و « تفسير القرطبى » وغيره من كتب التفسير والحديث ، فالنصوص التى أوردتها هذه المصادر على جانب كبير من الأصالة ، وإن كان ذلك لا يمنع من تطبيق منهج التحقيق العلمى عليها .

وبعد التصفية الدقيقة للنصوص الأصيلة ، التى توفرت لها كل عوامل أصالتها وصحتها ، تبقى النصوص التى تحوم حولها الشبهات ، وتدفعنا إلى الشك فيها ، والقول بأنها موضوعة أو منحولة ، بناء على دلائل وعوامل ، سبق أن فصلنا القول فيها[1] . إلا أنه ينبغى أن نتأنى ونتريث قبل أن نقرر نحلها . إذ يتطلب منا المنهج العلمى أن ننظر فى أسانيد روايتها ، وفى المصادر التى أوردتها . ثم نتبع ذلك بفحص دقيق للنصوص ذاتها ، فننظر فيما تضمنته من معان وأفكار ، وما انتظمه من ألفاظ وأساليب ، ونقف على خصائصها وسماتها الفنية ، لنرى مدى المطابقة بينها وبين خصائص الشاعر الذى ينسب إليه النص ، فإن لم يكن النص لشاعر معروف ، له خصائصه المميزة ، ننظر فى مدى ملاءمة هذا النص الشعرى لفترة السيرة وأحداثها ، ومواءمته لسياق الخبر وطبيعة الموقف . كما ننظر فى أسماء المواضع والأعلام التى وردت فيه ، وإذا كان النص من أشعار النقائض ، فعلينا أن نقارنه بالنص المقابل له من شعر الخصوم ، الذى قيل فى المناسبة نفسها ، لعلها تساعدنا فى الكشف عن حقيقته .

---

(١) راجع ما كتب عن ظاهرة النحل والوضع فى الفصل الخامس من هذا البحث .

ومع تفحص النص من كل هذه الجوانب ينبغي ألا يغيب هذا النظر فيما وراءه من دوافع أدت إلى وضعه ، من سياسية أو دينية ، أو غيرها من الدوافع التي كانت باعثة على الوضع والنحل ، كتلك التي دفعت قريشاً إلى الزيادة في أشعارها[1] ، أو دفعت الشيعة إلى وضع ديوان منسوب إلى علي بن أبي طالب ، أو تلك الأشعار التي قيلت بمناسبة إسلام بعض الصحابة فتظهر من ورائهم ما يتنافى مع روح الإسلام وتعاليمه ، أو ذلك الشعر المنسوب لورقة بن نوفل[2] ، والذي يحمل من الأفكار ما يتنافى تماماً مع الحقيقة التاريخية ، وهي موت ورقة على غير الإسلام ، أو ذلك الشعر الذي رفضه القرطبي ، في معرض تفسيره لسورة الإنسان ، حيث يجري واضعه حواراً شعرياً بين علي وفاطمة[3] . فمثل هذه الأشعار تكشف عن وجهها الزائف ، بما تحمله من معان بينة الوضع ، أو بما يكمن فيها من دوافع إليه .

أما النصوص الشعرية المنسوبة إلى الجن ، فلا خلاف على الشك في نسبتها . وعلى ذلك ينظر إليها باعتبارها مجهولة القائل ، وينبغي البحث عن قائلها الحقيقي ، كما فعل بعض القدماء[4] . أو النظر في أصالتها ، على أنها أشعار قيلت في فترة السيرة ، إذا وجدنا إجماعاً من المصادر والرواة على صحتها . أو رفضها على أنها أشعار منحولة ، إذا افتقرت إلى الأدلة التي تثبت أصالتها .

---

(١) طبقات الشعراء ص ٩٧ .

(٢) السيرة ق ٢ ص ١٩٢ ، ٢٣٢ والبداية والنهاية جـ ٣ ص ١٠ ، ١١ وخزانة الأدب جـ ٢ ص ٣٧ .

(٣) تفسير القرطبي جـ ١٩ ص ١٣٣ .

(٤) أنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٦٢ .

بهذا المنهج التوثيقي المتكامل ، يمكننا تحقيق شعر السيرة النبوية تحقيقاً علمياً دقيقاً ، يزيل كل الشوائب العالقة به ، ويمحو بلابل الشبهات التي حامت حوله ، حتى تحفظ ذلك التراث الغالي ، ونبعث في نفوس الدارسين له ، أو القارئين لصفحاته ، كل مقومات الثقة به ، والاطمئنان إلى أصالته .

الخاتمة

حاولت فى هذه الدراسة التوثيقية لشعر السيرة النبوية ، أن أقيم أركان قضيته الخاصة على أسس من مادته الأدبية والتاريخيـــة ، وما دار حولها من آراء ومناقشات ، وشكوك واتهامات ، تناولت مصادره ورواته ونصوصه ، وغلفت أجواءه بغيوم من الريبة والبلبلة وفقدان الثقـة ، حجبت عن الباحثين الرؤيا الواضحة ، وصرفتهم عن الاهتمام بدراسته .

ولما كانت قضية شعر السيرة جزءاً من القضية الكبرى ، التى حوكم فيها تراثنا الأدبى القديم — خاصة فى عصره الجاهلى — فإنها لم تنل من الباحثين ما تستحقه من اهتمامات ، فلم يتناولوها إلا تناولا ثانوياً ، خلال دراساتهم لقضية الشعر الجاهلى ، مما أوجب ضرورة إفرادها ببحث خاص ، يقيم دعواها ، ويستجمع حيثياتها ، فى إطار علمى منهجى .

بدأت فى الفصل الأول باستجلاء موقف الإسلام من الشعر والشعراء ، لأن الأشعار التى تضمنتها السيرة ، إنما قيلت فى ظل ذلك الموقف الإسلامى ، وتأثرت به تأثراً مباشراً أو غير مباشر . وفى الآيات الكريمة التى تحدد موقف الإسلام ، تبينا تأكيدها على الفصل الكامل بين القرآن والشعر ، ورفض مزاعم المشركين بالربط بينهما ، بناء على خرافة اعتقادهم بوجود قوة غيبية تتمثل فى الجن ، هى التى تلهم الشعراء القول ، كما أنها وراء ما يأتيه السحرة والكهان من أعمال وأقوال تذهل عقولهم ، فهى — بالتالى — التى توحى لمحمد بالقرآن ، ومن ثم كان اتهامهم له بأنه شاعر ، أو بأنه ساحر ، أو بأنه كاهن . ولقد نفت الآيات الكريمة عنه كل هذه الاتهامات ، وأكدت على قطع الصلة بينه وبين الشعر « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » وذلك لحكمة إلهية تهدف إلى استبعاد أدنى شبهة يمكن أن يثيرها المضللون حول القرآن بأنه من قول البشر ، أو من نفث الجن .

ولا يعنى نفى الشاعرية عن النبى « ص » الحط من قدر الشعر ، أو تبغيضه له وللمسلمين ، كما أن الآيات التى ذمت الشعراء من أهل الغواية ، لا تعنى الذم المطلق للشعراء ، بدليل أنها استثنت منهم المؤمنين الصالحين .

ويتبلور موقف القرآن الكريم من ذلك كله ، فى أنه أرسى المبادىء التى يجب على الشاعر المسلم الالتزام بها ، وهى مبادىء نابعة من تعاليم الاسلام ومثله تدعو إلى الكلمة الطيبة ، والقول الحسن ، والتعبير الجميل ، وتنفر من القول الفحش والهجاء المقذع ، والدعاوى الشريرة المثيرة للفتن والعصبيات ، وتمزيق روابط الألفة والمحبة بين الناس .

ولم يكن مجىء الإسلام ، وانشغال العرب بدعوته ، سبباً فى انصراف العرب عن الشعر ، كما زعم ابن سلام ، كما أن اندهاشهم بأسلوب القرآن ونظمه ، لم يكن ليخرسهم عن قول الشعر ، كما زعم ابن خلدون ، إذ أن الواقع الملموس فى تاريخ الدعوة الإسلاميه يدحض هذه المزاعم ، ويقدم الدلائل والشواهد على استمرار حركة الشعر دون توقف أو خمول فى تلك الحقبة ، بل يؤكد ازدهار نشاطها ، وخاصة بعد الهجرة المباركة ، واندلاع معارك الجهاد بين المسلمين والمشركين .

ومن الطبيعى أن نجد في موقف الرسول « ص » من الشعر والشعراء ، تطابقا كاملا مع موقف القرآن الكريم ، وأن نجد فيه من الشواهد والتفصيلات ما يوضح الموقف الإسلامى توضيحا يزيل أى التباس أو غموض . فقد نشأه ربه عز وجل تنشئة خاصة ، تعده لحمل رسالته . فخلصه من كل ميل أو هوى يجذبه إلى مفاسد الجاهلية ، ومنها الميل إلى الغناء والشعر ، ورأينا من الشواهد العديدة ما يؤكد حقيقة ما ذكرته الآيات التى نفت عنه الشاعرية إنشاء أو إنشاد ، فلم يثبت قوله بيتا كاملا صحيحا من الشعر .

وهذا الإعداد الإلهى لم يكن يعنى حرمانه من العلم بالشعر وأساليبه ، والمعرفة بالشعراء وقصيدهم ، أو يعنى فقدانه للذوق الأدبى ، الذى يميز به جيد القول من رديئه ، أو يثير فيه عاطفة الإعجاب بروعة معانيه وجمال أساليبه ؛ إذ رأيناه فى

مواقف عديدة يستنشد الشعراء ، ويطلب من صحابته أن ينشدوه ما يحب سماعه من جيد الأشعار . ويبدي من الإعجاب ما يدل على حسن تذوقه ودقة علمه ، بل قد يصل به التأثر أحياناً إلى حد البكاء . ورأينا من تقديره لأهمية الشعر وخطورة تأثيره ، أن اتخذ منه سلاحاً إعلامياً ، في الجهاد لنشر دعوته والذود عن حياضها ، ضد دعاوى الخصوم ، وتخرصات الضالين من شعراء المشركين . فشجع شعراءه على القول ، وعده جهاداً لا يقل أثراً في نصرة الإسلام ، ولا مثوبة عند الله من جهاد الحرب والقتال . وكانت توجيهاته لهم تدعيما لموقف الإسلام من الشعر ، وما ينبغي أن يلتزم به الشاعر المسلم من المبادىء والمثل .

وخرجت من ذلك إلى تناول مصادر شعر السيرة في الفصل الثاني . فكانت الصدارة للمصادر الأدبية ، باعتبارها ألصق بالشعر وقضاياه ، ودواوين الشعراء وتراجمهم ، ونقد أشعارهم وتقويمها ، ثم ثنيت بالمصادر التاريخية ، لما قدمته من نصوص وفيرة ، وما صحبها من أحداث ومواقف . ثم تناولت المصادر الأخرى ، من دينية ولغوية وجغرافية ، لما تضيفه من نصوص ومعلومات لها فائدتها التي لا تنكر .

وعنيت بإبراز أهمية كل مصدر من هذه المصادر ، بما أورده من أشعار قيلت في فترة السيرة ، وارتبطت بأحداثها ، وما انفرد به كل منها دون المصادر الأخرى، أو شاركها فيه ، وكيفية إيراده للنصوص الشعرية ، وما إذا كان يوردها كاملة أو يورد أبياتاً مختارة منها ، حسب ما يقتضي موضوع الكتاب واتجاه مؤلفه . وبينت مدى عنايته بذكر السند في رواياته ، وتحققه من صحة النص ، وما يدون حوله من آراء نقدية ، أو معلومات عن الشاعر والمناسبة التي قيل فيها الشعر ، وما إلى ذلك من أمور تتصل بالنص الشعري .

ومعرفة هذه المصادر ومؤلفيها ، وتقويم مشاركاتهم في تدوين شعر السيرة ، هو أمر أساسي تقوم عليه الدراسة التوثيقية لهذا الشعر . فمنها نستمد كل مادتنا العلمية ، التي تجلي لنا الحقائق ، وتكشف الغوامض ، وتقدم الشواهد والدلائل التي يستند إليها المحقق في تقرير أحكامه .

وعرضت في الفصل الثالث لقضية الرواية والتدوين لشعر السيرة ، بدءاً بمناقشة ما أثاره ابن سلام عن انشغال العرب ولهوهم عن الشعر وروايته بسبب الفتوحات الإسلامية ، وضياع الكثير منه مع من هلك منهم بالموت والقتل . ولاعتمادهم على الرواية الشفوية في نقله ، وعدم كتابتهم له .

وللتثبت من حقيقة زعم ابن سلام ، تتبعت رواية العرب للشعر ، من بداية عصر الخلفاء الراشدين إلى نهاية العصر الأموى . إذ وجدت الكثير من الأخبار والأقوال التي أوردتها المصادر المختلفة ، والتي تؤكد اهتمام الراشدين والصحابة بالشعر وروايته ، وخاصة عمر بن الخطاب ، الذى كانت معظم الفتوحات فى عهده . ومن ذلك يتبين وهم ابن سلام فيما زعم ، حيث تدحضه الوقائع والشواهد .

واستمر اهتمام العرب بالشعر وروايته فى عصر بنى أمية . بل اتسعت دائرة اهتمامهم بعناية الخلفاء وتشجيعهم للشعر ورواته ، وازدهار الحركة العلمية والأدبية على أيدى العلماء والرواة والشعراء ، الذين عنوا بجمع التراث الشعرى القديم ، بالرواية والنقل ، والحفظ والمدارسة . وكان لشعر السيرة النبوية نصيبه الوافر من هذا الاهتمام .

ولم تكن الرواية الشفوية هى الوسيلة الوحيدة لتناقل شعر السيرة بين المهتمين به ، بل كانت كتابته وتدوينه وسيلة أخرى لتناقله إلى جانب الرواية الشفوية وتثبت الدلائل أن كثيراً من أشعار السيرة كان يكتب منذ إنشادها ، وأنه كان لدى الأنصار ديوان دونوا فيه أشعارهم . كما عنى غيرهم بكتابة شعرهم . وزادت العناية بتدوين هذه الأشعار ، على أيدى العلماء والرواة ، الذين كتبوا السيرة والمغازى . ومن ذلك يتبين لنا أن شعر السيرة حين وصل إلى مرحلة التدوين فى مصادره فى القرن الثانى الهجرى ، لم يكن ينقل خلال هذه الفترة السابقة بالرواية الشفوية وحدها ، وإنما كانت صفحاته المدونة وسيلة أخرى يعتمد عليها الرواة والعلماء .

وعقدت الفصل الرابع لرواة شعر السيرة ، الذين اضطلعوا بروايته ونقله وتدوينه خلال القرون الأولى التالية لفترة السيرة ، فترجمت لأبرزهم ظهوراً فى هذا

المجال ، ترجمة استهدفت التعرف على مكانتهم العلمية بين أقرانهم ممن عاصروهم أو جاءوا بعدهم ، وما اشتهروا به من الأمانة والصدق ، والدراية والحفظ ، أو ما يجرحهم من التهاون وعدم . الدقة والكذب فى رواياتهم ، وما قدموه من جهود فى نقل أشعار السيرة وحفظها ، أو فى تمحيصها وتنقيتها ، أو فى نقدها ومناقشة القضايا والشبهات التى أثيرت حولها . وراعيت فى ترتيب رجالهم التسلسل التاريخى من الأقدم إلى الأحدث ، حسب سنى وفاتهم .

تناولت فى هذه الترجمات ستة عشر رواية ، هم أهم العلماء الذين ترددت أسماؤهم فى رواية أشعار السيرة وأخبارها ، أوضمت مصنفاتهم قدراً من نصوصها والمعلومات المحيطة بها . فمنهم مجموعة لم تعرف لهم مصنفات ، أو لم تصل إلينا مصنفاتهم ، وهم : الشعبى ، والزهرى ، وخلف الأحمر ، ويونس النحوى ، وزياد البكائى ، وأبو عمرو الشيبانى ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد الأنصارى . أو المجموعة الأخرى من أصحاب المصنفات التى وصلت إلينا ، وهم : ابن إسحاق ، والواقدى ، وابن هشام ، وابن سعد ، وابن سلام ، والبلاذرى ، والطبرى ، وأبو الفرج الأصفهانى .

والنتيجة التى تعنينا من تراجم هؤلاء الرواة العلماء ، أن أغلبيتهم العظمى من أهل الثقة والأمانة والصدق والعلم الواسع ، وأن القلة القليلة منهم تراوحت أقوال العلماء فيهم بين التوثيق والاتهام ، وهم : ابن إسحاق ، وخلف الأحمر ، وأبو عمرو الشيبانى ، والواقدى . إلا أن الاتهامات التى وجهت إليهم ؛ قد أمكن حصرها فى نطاقها المحدود ، أو تبين ضعفها ، فابن إسحق يرجع اتهامه إلى عدم علمه بالشعر حسب اعترافه ، ولا يعنى ذلك نزع الثقة منه فى كل ما أورده ، أما خلف وأبو عمرو فقد ترجحت كفة توثيقهما عند كثير من الثقات ، بينما حصر اتهام الواقدى فى الحديث . ومن ذلك يتبين أن الثقة فى جمهور رواة شعر السيرة أرجح كثيراً من الشك والاتهام ، وأن هذه الحقيقة تبعث الاطمئنان فى نفوس الموثقين والدارسين لهذا الشعر .

ودرست فى الفصل الخامس ظواهر التشويه والنقص فى شعر السيرة ، وهى

بطبيعتها تمثل الجانب السلبي في توثيقه ، إذ تتمثل فيها المشكلات والعقبات التي تقف حائلا دون معرفة الشعر الصحيح أو الأصيل .

وقد حصرتها في ثلاث ظواهر ، أولها : ظاهرة النحل والوضع التي تفشت في تراثنا القديم ، ومنه شعر السيرة ، والتي يرجع تفشيها إلى عدة عوامل ، منها عاملان ذكرهما ابن سلام ، كان لهما أثرها في الشعر القديم ، جاهلية وإسلامية ، وهما : عامل القبائل التي استقلت أشعارها فزادت فيها ، وعامل الرواة الوضاعين ، الذين زيدوا في الأشعار ونحلوها الشعراء . ومنها عوامل أخرى تركت آثارها على شعر السيرة ، وهي عامل السياسة وعامل الدين ، وعامل القصص .

ناقشت كل هذه العوامل من خلال الشواهد التي تدل عليها ، ومن خلال أقوال العلماء والباحثين ، الذين عرضوا لها ، من قدماء ومحدثين ، محاولا تحديد نطاق تأثيرها في شعر السيرة ، وننبه علمائنا الثقاة لها ، وتصديهم لمحو آثارها ، وإسقاطهم للأشعار التي ثبت لديهم وضعها . وإذا كانت هناك أشعار ما تزال موضع شك ، فهي قليلة يمكن وضعها في مصفاة التحقيق ، وتقرير الحكم الصائب عليها .

والظاهرة الثانية هي ظاهرة الخلط والتداخل ، التي تعددت وجوهها ، من خلط بين نصوص الشعر ، ومن تنازع في نسبتها بين شاعرين أو أكثر ، ومن تضارب في ذكر مناسبة قولها ، ومن تداخل بين أبيات نصين متشابهين في الوزن والقافية لشاعر واحد أو لشاعرين . وقد عرضت كثيراً من الشواهد الموضحة لكل وجه من هذه الوجوه .

وأسباب هذه الظاهرة تعزى إلى كثرة أحداث السيرة وتتابعها وتشعبها ، وإلى كثرة الشعراء المشاركين فيها ، وكثرة المغمورين منهم الذين لم يعرفوا بقول الشعر ، وإلى تعدد روايات الأشعار وطرق نقلها مشافهة أو كتابة .

وينبغي التنبيه إلى أن هذه الظاهرة لا تشكل خطراً شائعاً في شعر السيرة ، إذ لا تزيد المواضع التي وجدت فيها على أربعين موضعاً ، وهو قدر لا يمثل إلا نسبة ضئيلة بالقياس إلى مجموع نصوص هذا الشعر الذي يقرب من الستمائة .

والظاهرة الثالثة هى ظاهرة الضياع والترك ، التى نتجت عن طول رحلة هذا الشعر عبر الزمن وأجيال الرواة واتجاهاتهم ، وتباين الظروف والأحوال والأحداث ، التى مرت بها دون الإسلام ومجتمعاته ، على هذا المدى الزمنى الطويل . فهناك ما ضاع منه بفعل ظروف خارجة عن الإرادة ، وهناك ما تركه العلماء لأسباب رأوها ، فالشعر الذى وصل إلينا لا يمثل الحقيقة كاملة . وما ضاع وترك من شعر المشركين أكثر مما ضاع وترك من شعر المسلمين .

ونصل إلى المرحلة الأخيرة من البحث ، بتخصيص فصل للتوثيق ضمن السيرة ، فتناولت ما قام به ابن هشام فى سيرته ، حيث انتهج منهجاً توثيقياً وتنقيحياً لما أورده ابن إسحاق من أشعار السيرة ، محاولا به تصحيح ما أفسده بحشده كل ما أوتى به من أشعار بدون نظر أو تمحيص .

ويتشعب منهج ابن هشام فى اتجاهات ثلاثة رئيسية . أولها : حذفه للكثير من الأشعار التى أوردها ابن إسحاق . وقد شمل هذا الحذف كل الأشعار التى ثبت لديه نحلها ، فمنها ما كان مثاراً للنقد العنيف من الباحثين قديماً وحديثاً ، ومنها ما رفض إثباته بعد تحر دقيق لدى أهل العلم بالشعر ، فنجده أحياناً يحذف النص كله ، وأحياناً يحذف منه الأبيات التى لم تصح لديه . كما شمل حذفه الأشعار الرديئة إذ وجد فى إثباتها تشويها لهذا التراث الشعرى ، ونزولا به عن مستوى الجودة اللائق به . وحذف كذلك الأشعار التى نيل فيها من النبى (ص) وصحابته ، والتى وجد فيها إقذاعاً يشنع ذكره . ونجده أيضاً يحذف أشعاراً أخرى بهدف الاختصار والتقليل من كثرتها . وواضح أنه فى ضروب الحذف التى أجراها لم يكن هدفه توثيقياً فحسب ، بل تجاوزه إلى التنقيح والتنقية ، متغاضياً عن التوثيق .

والاتجاه الثانى فى منهجه هو التنبيه على الأشعار المشكوك فيها ، وهذا يعنى أنها أشعار لم يصل فيها إلى حكم قاطع بأنها منحولة . وهو بعد أن يستقصى التحرى عنها وسؤال أهل العلم بالشعر ، يعطينا خلاصة بحثه فى أمانة ودقة ، فنجده يعلق على بعضها بعبارات تذاب الشك فيها أو فى نسبتها ، ويعلق على بعضها الآخر بعبارات تقلل هذا الشك ، ولا يسمح لنفسه أن يعقب عليها بالرفض أو القبول ، بل يترك

الباب مفتوحاً لغيره من الباحثين ، فربما يتأتى لهم من الدلائل فى الحكم عليها أكثر مما تأتى له .

أما الاتجاه الثالث فيتمثل فيما قام به من تمحيص الأشعار ، وتمحيص للروايات المختلفة للنص الشعرى ، ومقارنة بين رواية ابن إسحاق ورواية غيره من الثقات ، محاولا التوصل إلى النص الصحيح . فنجده أحياناً يأخذ برواية ابن إسحاق دون تعديل لها ، وأحياناً أخرى يأخذ برواية غيره فى أبيات كثيرة أو قليلة من النص الشعرى ، أو فى بعض عبارات منه ، ويعلق عليه مبينا ما أجراه من تعديل ، أو ذاكر للرواية الأخرى ، وأحيانا يضيف أبياتا للنص عن غير ابن إسحاق ، بل قد يصل به الأمر أن يضيف نصوصاً كاملة لم يوردها ابن إسحاق : وهو فى كل ذلك يرجع إلى علماء ثقات كأبى زيد الأنصارى وأبى عبيدة ، وغيرهما من رواة البصرة ، فهم عنده أهل العلم بالشعر ، الذين يوثق بهم دون سواهم من رواة الكوفة .

وهو فى تمحيصاته ومقارناته يبين عن علمه باللغة وأدبها ، ويدل على أنه ناقد بصير ، وصاحب ذوق فنى رفيع ، ونراه أحياناً يعلق على النص ناقداً له ، أومقوماً لمستوى جودته ، أو موضحاً لبعض ما غمض منه . وإذا كانت فاتته بعض الأشياء فى تمحيصاته ، فهى قليلة لا تقدح فى عمله العظيم ، الذى يعد أفضل ما قدمه علماؤنا القدامى فى توثيق شعر السيرة وتنقيحه .

وبعد دراسة منهج ابن هشام قدمت منهجاً توثيقيا متكاملا لشعر السيرة ، يقوم على أسس من التحقيق العلمى الدقيق ، الذى يستوجب النظر فى العناصر الرئيسية الثلاثة لهذا الشعر ، وهى : المصادر ، والرواة ، والنص .

فالمصادر التى تتضمن المادة العلمية لشعر السيرة ، ينبغى أن تكون موضع ثقة من ناحية مصنفيها ، ومن ناحية ما تورده من أشعار أو معلومات تتصل بها ، والرواة كذلك ينبغى التحقق من أمانتهم وصدقهم ، من خلال ما ذكر عنهم فى كتب الرجال ، وغيرها من المصادر التى كتبت عنهم . وأن تكون سلاسل الإسناد

في رواياتهم سليمة لا يعتريها خلل . كما يتطلب الامر الحذر من الرواة المتهمين أو المغمورين . ثم ننتهي من ذلك إلى النظر في النص ذاته ، محاولين التغلب على المشكلات التي تعترضنا ، من تعدد رواياته ، وتفاوتها في ذكر الابيات كاملة أو ناقصة أو مختلة الترتيب . هذا إلى ما قد يصادفنا من خلط في الاشعار أو في نسبتها ، ومن شك في صحتها وأصالتها . وكل ذلك يتطلب منا تمحصا دقيقا للوصول إلى الصورة المثلى أو ما يقاربها ، مستعينين في ذلك بما أبداه علماؤنا الثقات من آراء وملاحظات ، ومحكمين المنهج الفني — إذا اقتضى الأمر — للتعرف على الأشعار المختلف فيها ، من خلال الخصائص الفنية للشعراء ، والسمات العامة لشعر هذه الفترة ، مع الاستفادة بالجهود التي بذلت من ابن هشام ، أو من الباحثين الذين قاموا بجمع أشعار بعض شعراء السيرة وتحقيقها .

وفي نهاية المطاف أرجو أن يكون هذا البحث قد حقق النتائج المرجوة منه . وأضاف بها جديداً إلى موسوعة الدراسات الأدبية ، وأحمد الله أن وفقني في النهوض به ، وأعانني على حمل أعبائه ، وأطمع في طيب مثوبته وحسن جزائه .

المصادر والمراجع

١ — الآلوسى — محمود شكرى .

بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب — ط ١٣٤٢ / ١٩٢٤ .

٢ — الآمدى — أبو القاسم الحسن بن بشر .

المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم — تصحيح كرنكو — ط القدسى ١٣٥٤ .

٣ — ابن الأثير — عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى .

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة — ط دار الشعب ١٩٧٠ .

(٢) الكامل فى التاريخ — ط المنيرية ١٣٥٦ .

٤ — أحمد بن على بن الحسين بن على بن مهنا بن عتبة .

عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب — ط بمباى ١٣١٨ .

٥ — الأزرقى — أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد .

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار — ط الماجدية بمكة ١٣٥٢ .

٦ — الأصفهانى — أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الأموى .

الأغانى — ط دار الكتب .

٧ — الأعشى — ميمون بن قيس .

ديوانه . تحقيق الدكتور محمد حسين — ط مكتبة الآداب ١٩٥٠ .

٨ — أمية بن أبى الصلت .

ديوانه . نشر بشير يموت — ط بيروت ١٩٣٤ .

٩ — الباقلانى — أبو بكر محمد بن الطيب .

إعجاز القرآن — تحقيق السيد صقر — ط دار المعارف ١٣٧٤ / ١٩٥١ .

١٠ — البخارى — محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفى .

(١) الجامع الصحيح ـ ط الحلبى ١٣٤٥ .

(٢) التاريخ الكبير ـ ط حيدر أباد .

١١ — بروكلمان — كارل (مستشرق) .

تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ـ ط دار المعارف ١٩٦٨ .

١٢ — البغدادى — أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى .

تقييد العلم ـ تحقيق يوسف العش ـ ط دمشق ١٩٤٩ .

١٣ — البغـــدادى — عبد القادر بن عمر .

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ ط بولاق والسلفية .

١٤ — البكرى — أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز .

(١) معجم ما استعجم ـ تحقيق مصطفى السقا ـ ط لجنـة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥ .

(٢) اللآلى فى شرح أمالى القالى ـ تحقيق الميمنى ط ١٩٣٦ .

١٥ — البكرى — محمد توفيق .

أراجيز العرب ـ ط مصر ١٣١٣ .

١٦ — البكرى — أبو المكارم شمس الدين .

الدرة الكاملة فى فتح مكة المشرفة المبجلة ـ ط مصر ١٢٧٨ .

١٧ — البلاذرى — أحمد بن يحيى بن جابر .

(١) أنساب الأشراف ـ تحقيق محمد حميد الله ـ ط دار المعارف ١٩٥٩ .

(٢) فتوح البلدان ـ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ ط النهضة ١٩٥٦ .

١٨ — بلاشير — ريجيس (مستشرق) .

تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة الدكتور إبراهيم كيلانى ـ ط دار الفكر ، بيروت ١٩٥٦ .

١٩ — البهبيتى — نجيب محمد (دكتور) .
تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجرى ـ ط دار الكتب ١٩٥٠
٢٠ — البيضاوى — عبد الله بن عمر بن محمد بن على .
أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوى) ط الخيرية ١٣١١ .
٢١ — أبو تمام — حبيب بن أوس الطائى .
ديوان الحماسة ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
٢٢ — تيمور — أحمد .
على بن أبى طالب ، شعره وحكمه ـ ط لجنة نشر المؤلفات التيمورية ١٩٥٨.
٢٣ — جان زاده — على فهمى .
حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ـ ط استانبول ١٣٢٤ .
٢٤ — الجاحظ — أبو عثمان عمرو بن بحر .
(١) البيان والتبيين ـ تحقيق عبد السلام هارون . ط ١٩٤٨ .
(٢) رسائل الجاحظ ـ ط الخانجى ١٣٨٤ / ١٩٦٤ .
٢٥ — الجرجانى — عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد .
دلائل الإعجاز ـ ط المنار ١٣٣٠ .
٢٦ — ابن جنى — أبو الفتح عثمان بن جنى .
الخصائص ـ ط الهلال ١٩١٣ .
٢٧ — الجهشيارى — أبو عبد الله محمد بن عبدوس .
الوزراء والكتاب ـ ط الحلبي ١٣٥٧ .
٢٨ — الجوهرى — أبو نصر إسماعيل بن حماد .
تاج اللغة وصحاح العربية ـ تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ١٩٥٦ .
٢٩ — أبو حاتم — أحمد بن حمآن بن أحم الورسانى الرازى .
الزينة ـ تحقيق حسين الهمدانى ـ ط القاهرة ١٩٥٦ .

٣٠ — ابن أبى حاتم — أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى .

الجرح والتعديل — ط حيدر أباد ١٣٧١ / ١٩٥٢ .

٣١ — حاجى خليفة — مصطفى بن عبد الله .

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون — ط استانبول ١٣٦٠/١٩٤١ .

٣٢ — الحامد — عبد الله بن حامد (دكتور) .

(١) الشعر الإسلامى فى صدر الإسلام — ط الإشعاع بالرياض ١٤٠٢/١٩٨١ .

(٢) شعر الدعوة الإسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين — ط رئاسة الكليات والمعاهد العلمية ١٣٩١ / ١٩٧١ .

٣٣ — ابن حجر — شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى .

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة — ط السعادة ١٣٢٣ .

(٢) تهذيب التهذيب — ط حيدر أباد ١٣٢٥ .

٣٤ — حسان بن ثابت الأنصارى .

ديوانه — تحقيق دكتور سيد حنفى — ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤ .

٣٥ — حسن إبراهيم حسن .

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى — ط النهضة المصرية ١٩٥٩ .

٣٦ — حسين نصار (دكتور) .

(١) نشأة التدوين التاريخى عند العرب — ط النهضة المصرية (بدون تاريخ)

(٢) يونس بن حبيب (سلسلة أعلام العرب ٧٥) ط دار الكاتب العربى ١٩٦٨ .

٣٧ — ابن حنبل — الامام أحمد بن محمد بن حنبل .

المسند — شرح أحمد محمد شاكر — ط دار المعارف ١٩٤٦ .

٣٨ — الخازن — على بن محمد بن إبراهيم البغدادى .

تفسير الخازن (لباب التأويل فى معانى التنزيل) ط الوهابية ١٢٧٨ .

٣٩ — الخالديان ـ الأخوان أبو بكر محمد بن هاشم وأبو عثمان سعيد .
الأشباه والنظائر (حماسة الخالديين) ـ تحقيق السيد محمد يوسف ـ
ط القاهرة ١٩٥٨ ، ١٩٦٥ .

٤٠ — الخشني ـ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود .
شرح السيرة . ط هندية ، مصر ١٣٢٩ .

٤١ — ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي .
المقدمة ـ ط البهية .

٤٢ — ابن خلكان ـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق دكتور إحسان عباس .
ط دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ .

٤٣ — أبو داود ـ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي .
كتاب السنن ـ ط حيدر أباد ١٣٢١ .

٤٤ — ابن دريد ـ أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي .
(١) جمهرة اللغة ـ ط حيدر أباد ١٣٤٥ .
(٢) الاشتقاق ـ ط السنة المحمدية ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .

٤٥ — در منغم ـ إميل (مستشرق)
حياة محمد ـ ترجمة عادل زعيتر ـ ط الحلبي ١٣٦٨ / ١٩٤٩ .

٤٦ — دروزة ـ محمد عزة .
عصر النبي وبيئته قبل البعثة ـ ط دار اليقظة دمشق ١٣٦٥ / ١٩٤٦ .

٤٧ — الذهبي ـ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان .
(١) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ـ ط القدسي ١٣٦٧ .
(٢) سير أعلام النبلاء ـ ط معهد المخطوطات مع دار المعارف .
(٣) ميزان الاعتدال ـ ط الحلبي ١٩٦٣ .

٤٨ — الرازي ـ فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر .
تفسير الفخر الرازي ـ ط الشرفية ١٣٠٨ .

٤٩ — الرافعي ـ مصطفى صادق .
(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . ط الرحمانية ١٣٤٥ / ١٩٢٦ .
(٢) تاريخ آداب العرب ـ ط الاستقامة ١٩٤٠ .

٥٠ — ابن رشيق ـ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني .
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ ط مصر ١٣٢٥ / ١٩٠٧ .

٥١ — ابن رواحة ـ عبد الله بن رواحة الأنصاري .
ديوانه ـ تحقيق دكتور حسن باجوده ـ ط دار التراث ١٩٧٢ .

٥٢ — روم لاندو .
الإسلام والعرب ـ ط دار العلم للملايين . بيروت ١٩٦٢ .

٥٣ — الزبيدي ـ أبو بكر محمد بن الحسين .
طبقات النحويين واللغويين ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط ١٩٥٤ .

٥٤ — الزبيري ـ أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب .
كتاب نسب قريش ـ تحقيق ليفي بروفنسال ـ ط دار المعارف .

٥٥ — الزركلي ـ خير الدين .
الأعلام ـ ط مصر ١٩٥٤ — ١٩٥٩ .

٥٦ — الزمخشري ـ محمود بن عمر .
(١) الفائق في غريب الحديث ـ تحقيق البجاوي وأبو الفضل ط القاهرة ١٩٤٥ .
(٢) الكشاف ـ ط البهية ١٣٤٣ .

٥٧ — أبو زهو ـ محمد محمد أبو زهو .
الحديث والمحدثون ـ ط مصر ١٣٧٨ / ١٩٥٨ .

٥٨ — أبو زيد القرشي ـ محمد بن أبي الخطاب .
جمهرة أشعار العرب ـ تحقيق الدكتور محمد الهاشمي ـ ط جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ١٤٠١ / ١٩٨١ .

٥٩ — السدوسي — مؤرج بن عمرو .
كتاب حذف من نسب قريش — نشرة الدكتور صلاح الدين المنجد — ط دار العروبة ١٩٦٠ .

٦٠ — سراقة البارقي .
ديوانه — تحقيق الدكتور حسين نصار — ط ١٩٤٧ .

٦١ — ابن سعد — أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي .
الطبقات الكبرى — دار صادر — بيروت ١٣٧٦ / ١٩٥٧ .

٦٢ — ابن سلام — أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي .
طبقات فحول الشعراء — تحقيق محمود شاكر — ط دار المعارف .

٦٣ — السهيلي — أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله .
الروض الأنف — ط الجمالية ١٣٣٢ / ١٩١٤ .

٦٤ — سيبويه — أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر .
الكتاب — تحقيق عبد السلام هارون — ط دار الكاتب العربي ١٣٨٨/١٩٦٨

٦٥ — سيد حنفي حسانين (دكتور) .
حسان بن ثابت شاعر الرسول — سلسلة أعلام العرب رقم ٣٠ .

٦٦ — سيزكين — فؤاد .
تاريخ التراث العربي — ترجمة دكتور محمود حجازي وآخرين — ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .

٦٧ — السيوطي — جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .
(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة — ط الحلبي ١٣٨٤/١٩٦٤ .
(٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة — ط دار الوطن ١٢٩٩ .
(٣) شرح شواهد المغني — ط مصر ١٣٢٢ .
(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها — ط السعادة — ط دار إحياء الكتب .

٦٨ — شاكر الجودي .
إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام — ط بغداد ١٩٦٦ .

٦٩ — الشايب ـ أحمد .
(١) تاريخ الشعر السياسى ـ ط الاعتماد ١٩٤٥ .
(٢) تاريخ النقائض فى الشعر العربى ـ ط النهضة المصرية ١٩٦٦ .
٧٠ — ابن الشجرى ـ أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة .
(١) الحماسة ـ تصحيح كرنكو ـ ط حيدر أباد ١٣٤٥ .
(٢) مختارات شعراء العرب ، ط العامرة ١٣٠٦ .
٧١ — شوقى ضيف (دكتور)
(١) العصر الجاهلى ـ ط دار المعارف (السابعة).
(٢) العصر الإسلامى ـ ط دار المعارف (الرابعة) .
٧٢ — الصولى ـ أبو بكر محمد بن يحى .
أدب الكتاب ـ تصحيح الأثرى ـ ط السلفية ١٣٤١ .
٧٣ — الطبرى ـ أبو جعفر محمد بن جرير .
(١) تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ ط دار المعارف ١٩٦٨ .
(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى) تحقيق محمود شاكر ـ ط دار المعارف ، ط الميمنية ١٣٢١ .
٧٤ — طه حسين (دكتور)
(١) فى الأدب الجاهلى ـ ط دار المعارف (الرابعة) .
(٢) فى الشعر الجاهلى ـ ط المكتب ١٩٢٦ .
٧٥ — أبو الطيب اللغوى ـ عبد الواحد بن على .
مراتب النحويين ـ مخطوط بمكتبة تيمور بدار الكتب .
٧٦ — ابن طيفور ـ أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر البغدادى .
بلاغات النساء وأشعارهن فى الجاهلية والإسلام ـ ط مدرسة والدة عباس الأول ١٣٢٦ / ١٩٠٨ .

٧٧ — العباس بن مرداس السلمى .
ديوانه ـ تحقيق دكتورى يحى الجبورى ـ ط بغداد ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .
٧٨ — ابن عبد البر ـ جمال الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى
الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ـ تحقيق البجاوى ـ ط نهضة مصر .
٧٩ — ابن عبد ربه ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى .
العقد الفريد ـ تحقيق العريان ـ ط الاستقامة ١٩٤٠ .
٨٠ — عبد الرحمن خليل إبراهيم .
دور الشعر فى معركة الدعوة الإسلامية ـ ط الجزائر ١٩٧١ .
٨١ — عبد العزيز الدورى .
بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ـ ط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٠ .
٨٢ — عبد القادر القط (دكتور) .
فى الشعر الإسلامى والأموى ـ ط النهضة العربية ١٩٧٩ .
٨٣ — ابن عبد الكافى ـ عبد الله ابن عبد الكافى .
شرح المضنون به على غير أهله ـ ط السعادة ١٣٣١ / ١٩١٣ .
٨٤ — عبيد بن شرية الجرهمى .
أخبار عبيد ، ط الهند ١٣٤٧ .
٨٥ — أبو عبيدة ـ معمر بن المثنى التيمى .
(١) مجاز القرآن ـ ط الخانجى ١٣٧٤ / ١٩٥٤ .
(٢) نقائض جرير والأخطل ـ ط بيروت ١٩٢٢ .
(٣) نقائض جرير والفرزدق ـ ط بريل ١٩٠٥ .
٨٦ — ابن عساكر ـ أبو القاسم تقى الدين على بن الحسن بن هبة الله .
تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق المنجد ـ ط مجمع دمشق ١٩٥١ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، بترتيب عبد القادر بدران ـ ط ١٣٢٩ .
٨٧ — ابن العماد ـ أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ـ ط القدسى ١٣٥١ .

٨٨ — ابن فارس ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا .
الصاحبي فى فقه اللغة ـ ط السلفية ١٩١٠ .

٨٩ — الفيروز أبادى ـ مجد الدين محمد بن يعقوب .
القاموس المحيط ـ ط المصرية ١٩٣٣ .

٩٠ — فيليب حتى (مستشرق) .
تاريخ العرب ، ترجمة نافع مبروك ـ ط العالم العربى ١٩٤٩ .

٩١ — القالى ـ أبو على إسماعيل بن القاسم .
الأمالى ـ ط دار الكتب .

٩٢ — ابن قتيبة ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم .
(١) تأويل مشكل القرآن ـ ط الحلبى ١٩٥٤ .
(٢) الشعر والشعراء ـ ط دار المعارف ١٩٦٦ .
(٣) عيون الأخبار ـ ط دار الكتب ١٣٤٣ / ١٩٢٥ .
(٤) المعارف ـ ط دار المعارف ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

٩٣ — القرطبى ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى .
الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ط دار الكتب ـ تصوير دار الكاتب العربى ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .

٩٤ — القفطى ـ جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ ط دار الكتب ١٣٦٩ / ١٩٥٠ .

٩٥ — القلقشندى ـ أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله .
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ـ ط الأميرية ـ تصوير وزارة الثقافة .

٩٦ — القنوجى ـ صديق البخارى .
أبجد العلوم ـ ط بهوبال الهند ١٢٥٩ .

٩٧ — قيس بن الخطيم .
ديوانه ـ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ـ ط دار العروبة ١٣٨١ / ١٩٦٢ .

٩٨ ـــ ابن قيم الجوزية ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر .
زاد المعاد في هدى خير العباد ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ ط السنة المحمدية ١٣٧٠ / ١٩٥١ .

٩٩ ـــ ابن كثير ـ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر .
البداية والنهاية ـ ط السعادة ١٣٥١ / ١٩٣٢ .

١٠٠ ـــ كحالة ـ عمر رضا .
(١) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ـ ط الهاشمية ، دمشق ١٣٧٨ / ١٩٥٩ .
(٢) معجم المؤلفين ـ ط الترقي ، دمشق ١٣٧٦ / ١٩٥٧ .

١٠١ ـــ كعب بن زهير .
ديوانه ـ ط دار الكتب ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ، تصوير الدار القومية .

١٠٢ ـــ كعب بن مالك الأنصاري .
ديوانه ، تحقيق دكتور سامي العاني ـ ط النهضة ، بغداد ١٩٦٥ .

١٠٣ ـــ ابن الكلبي ـ أبو المنذر هشام بن محمد السائب .
الأصنام ـ تحقيق أحمد زكي ـ ط دار الكتب ١٣٤٣ / ١٩٢٤ .

١٠٤ ـــ لبيد بن ربيعة العامري .
ديوانه ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ ط الكويت ١٩٦٢ (سلسلة التراث العربي ٦) .

١٠٥ ـــ ابن ماجه ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
السنن ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط ١٩٥٢ ، ط لاهور ١٣١١ .

١٠٦ ـــ الماوردي ـ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب .
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ـ ط الحلبي ١٣٨٦ / ١٩٦٦ .

١٠٧ ـــ المبرد ـ أبو العباس محمد بن يزيد .
(١) الكامل في اللغة والأدب ـ ط ليبزج .
(٢) الفاضل ـ ط دار الكتب .

١٠٨ — محمد أحمد الغمراوى .
النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى — ط السلفية ١٩٢٩ .

١٠٩ — محمد الخضر حسين .
نقض كتاب فى الشعر الجاهلى — ط السلفية ١٣٤٥ .

١١٠ — محمد خلف الله أحمد :
دراسات فى الأدب الإسلامى — ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ / ١٩٤٧ .

١١١ — محمد ذهنى .
مشاهير النساء — ط دار الطباعة ١٢٩٤ .

١١٢ — محمد طاهر درويش (دكتور)
حسان بن ثابت الأنصارى — ط دار المعارف .

١١٣ — محمد عجاج الخطيب .
السنة قبل التدوين — ط وهبة ١٣٨٣ / ١٩٦٣ :

١١٤ — محمد لطفى جمعة .
الشهاب الراصد — ط المقتطف ١٣٤٤ / ١٩٢٦ .

١١٥ — محمد محمد حسين (دكتور)
(١) الهجاء والهجاءون فى الجاهلية — ط مكتبة الآداب ١٩٤٧ .
(٢) الهجاء والهجاءون فى الإسلام — ط مكتبة الآداب ١٩٤٨ .

١١٦ — المرتضى — على بن الحسين الشريف المرتضى .
غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالى المرتضى) — تحقيق أبو الفضل — ط الحلبى ١٩٥٤ .

١١٧ — مرجليوث (مستشرق)
أصول الشعر العربى ترجمة دكتور يحيى الجبورى — ط بيروت ١٩٧٨ .

١١٨ — المرزبانى ـ أبو عبيد الله محمد بن عمران .
(١) معجم الشعراء ـ تصحيح كرنكو ـ ط القدسى ١٣٥٤ .
(٢) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء ـ ط السلفية ١٣٤٣ .

١١٩ — المسعودى ـ أبو الحسن على بن الحسين بن على .
(١) التنبيه والاشراف ـ تصحيح الصاوى ـ ط مصر ١٩٣٨ .
(٢) مروج الذهب ـ ط البهية ١٣٤٦ .

١٢٠ — مسلم ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى .
الجامع الصحيح ـ ط دار الطباعة ١٣٢٩ .

١٢١ — المقدسى ـ أبو نصر المطهر بن المطهر .
البدء والتاريخ ـ تحقيق هوار ١٨٩٩ ـ تصوير بغداد ١٩٦٢ .

١٢٢ — المقريزى ـ تقى الدين أحمد بن علي .
إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع ـ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤١ .

١٢٣ — ابن منظور ـ جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى .
لسان العرب ـ ط بولاق ـ تصوير المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

١٢٤ — مهدى المخزومى .
مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو ـ ط الحلبى ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .

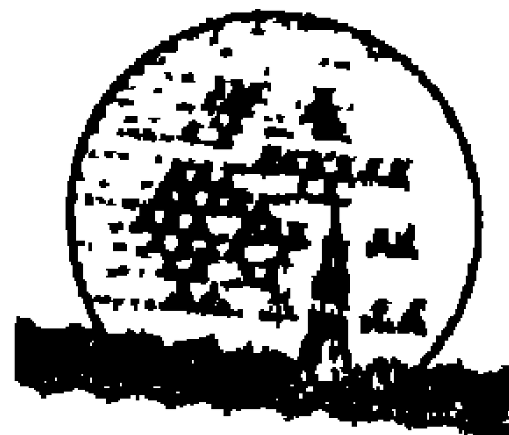
١٢٥ — النابغة الجعدى .
ديوانه ـ تحقيق عبد العزيز رباح ـ ط دمشق ١٩٦٤ .

١٢٦ — ناصر الدين الأسد (دكتور)
مصادر الشعر الجاهلي ـ ط دار المعارف ١٩٨٢ (السادسة) .

١٢٧ — نالينو ـ كارلو .
تاريخ الآداب العربية ـ ط دار المعارف ١٩٧٠ (الثانية) .
١٢٨ — ابن النديم ـ أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب .
الفهرست ـ ط المكتبة التجارية ١٣٤٨ .
١٢٩ — النشار ـ على سامى (دكتور)
شهداء الإسلام فى عصر النبوة ـ ط دار الكتاب العربى ١٣٧٥/١٩٥٦ .
١٣٠ — النعمان عبد المتعال القاضى (دكتور)
شعر الفتوح الإسلامية فى صدر الإسلام ـ ط الدار القومية ١٣٨٥/١٩٦٥ .
١٣١ — أبو نعيم ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى .
حلية الأولياء ـ ط الخانجى ١٣٥١ / ١٩٣٢ .
١٣٢ — النووى ـ أبو زكريا محي الدين بن شرف .
تهذيب الأسماء واللغات ـ ط المنيرية (بدون تاريخ)
١٣٣ — النويرى ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .
نهاية الأرب في فنون الأدب ـ ط دار الكتب ١٩٢٩ .
١٣٤ — النيسابورى ـ أبو الحسن على بن أحمد الواحدى .
أسباب النزول ـ ط الحلبى ١٣٨٨ / ١٩٦٨ .
١٣٥ — هـذيل .
ديوان الهذليين ـ ط دار الكتب ـ تصوير الدار القومية ١٣٨٥/١٩٦٥ .
١٣٦ — ابن هشام ـ أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى .
السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ ط الحلبى ١٣٧٥/١٩٥٥
١٣٧ — الهمدانى ـ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب .
صفة جزيرة العرب ـ ط السعادة ١٩٥٣ .
١٣٨ — هوروفيتس ـ يوسف .
المغازى الأولى ومؤلفوها ـ ترجمة دكتور حسين نصار ـ ط الحلبى
١٣٦٩ / ١٩٤٩ .

١٣٩ — الواقدى ـ أبو عبد الله محمد بن عمر .
المغازى ـ ط كلكتا ١٨٥٥ .
١٤٠ — ولفنسون ـ إسرائيل .
تاريخ اليهود فى بلاد العرب ـ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٢٧ .
١٤١ — ياقوت ـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى .
(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) ط وزارة المعارف
(٢) معجم البلدان ـ ط السعادة ١٣٢٤ / ١٩٠٦ .
١٤٢ — يحيى الجبورى (دكتور) .
(١) الإسلام والشعر ـ ط النهضة بغداد ١٩٦٤ .
(٢) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ـ ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ / ١٩٨١ .
(٣) لبيد بن ربيعة العامرى ـ ط بيروت ١٩٧٠ .
١٤٣ — ابن يعيش ـ أبو البقاء يعيش بن على .
شرح المفصل ، ط المنيرية .

***



الفهرس

رقم الإيداع ٥٠١٨ / ١٩٨٨



دار المأمون للطباعة والنشر
الطالبية — جيزة — ت : ٨٥٦٨٢٠

دار المأمون للطباعة والنشر

أمام سنترال الهرم – الطالبية – جيزة – ت : ٨٥٦٨٢٠